

أربعة مؤرخين
وأربعة مؤلفات
«من دولة المماليك الجراكسة»

د. محمد كمال الدين عز الدين على



اهداءات ٢٠٠١

ا.صلاح راتب

القاهرة



رئيس مجلس الإدارة
د. سمير سرحان

رئيس التحرير
د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير:
عبد العظيم الشبلي

أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات «من دولة المماليك الجراكسة»

تأليف
د. محمد كمال الدين عز الدين على



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٤

الآخراج الفني : مراد تسييم

تقديم

يسرني أن أقدم للمقارئ العزيز هذا الكتاب الهام ، الذي يتناول أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة . وقد كتبها الدكتور محمد كمال الدين على ، مدرس التاريخ الوسيط بكلية الآداب جامعة المنوفية ، ومحقق عدد كبير من كتب التراث ، وبالتالي فهو ذو خبرة في مجال تخصصه .

وتتمثل أهمية هذه الكتب فيما كان لها من تأثير بعيد على الكتابة التاريخية في عصرها ، ، وهي : « المختصر في علم التاريخ ، للمحدي الكافيجي ، و « تاريخ الرسل والملوك » لابن الفرات ، و « الجواهر الثمين في سير الملوك والسلاطين » لابن دقماق ، و « المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، للتحقي المقريزي . وجميعها ظهرت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، فيما بين عامي ١٣٧٤ و ١٤٤١ .

ولاشك أن عرض هذه الكتب يتيح للمقارئ الاطلاع على أربعة نماذج من الكتابة التاريخية في ذلك العصر ، قد لا يتيسر له التعرف عليها الا من خلال هذا العمل العلمي . وفي الوقت نفسه يتعرف على تاريخ هذه الفترة بمنهج تحليلي يكتبه متخصص .

وتعتبر هذه الكتب الأربعة من المصادر الأساسية في كتابة تاريخ هذه الفترة ، ينهل منها الباحثون في التاريخ الاسلامي

والوسيط بقدر ما يستطيعون ، ولكنها تحتاج الى جهد جهيد
لدراستها والتعريف بها وبمؤلفيها ، للفادة منها فى اعادة صياغة
تاريخ مصر . ولم يشأ مؤلف هذا الكتاب التعريف بهذه الكتب فقط ،
بل قام بالتعريف بمؤلفيها بدراسات هامة تعد اضافة قيمة يستفيد
منها الباحث المختص والمتق العادى .

ولقد شاء لى حظى أن أتعامل مع هذا النوع من الكتب التراثية
فى أثناء تأليفى لكتابتى « الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور
الاسلام الى انتهاء الحروب الصليبية » ، الذى صدر من دار المعارف
فى عام ١٩٨٢ ، واكتشفت صعوبة الاستفادة منها ، لما تحويه من
وقائع تحتاج الى تمحيص دقيق وحذر شديد ، ولكنها كانت تبدو
المصادر الوحيدة التى لا غنى عنها لكتابة العصر الاسلامى والوسيط،
وبالتالى لم يكن مفر من بذل الجهد الشاق لاستخراج الحقائق
التاريخية منها . ومن هنا أشفقت على مؤرخى التاريخ الاسلامى
الجادين الذين أثروا المكتبة العربية بمؤلفاتهم القيمة . واعتقد أن
الدكتور محمد كمال الدين ، مؤلف هذا الكتاب ، واحد منهم ، وهذا
ما دعانى الى اللاحاح فى تعيينه مدرسا للتاريخ الوسيط فى كلية
الآداب بجامعة المنوفية ، حتى يستفيد بعلمه الطلبة ، وهو ما دعانى
ايضا الى نشر هذا الكتاب الجاد فى سلسلة تاريخ المصريين .
وأمل أن يجد القارئ فى قراءته ما يبقى من متعة عقلية .

والله الموفق ، ،

رئيس التحرير

د . عبد العظيم رمضان

الاهـداء

الى روح ابنتى ((ولاء)) فى جنات الخلد
بإذن الله .

مقدمة

يحتوى هذا الكتاب على دراسة مركزة فى أربعة كتب رائدة ،
تنسب الى أربعة من المؤرخين الأعلام - فى دولة المماليك الجراكسة
فى مصر - كان لها تأثيرها والى مدى بعيد على الكتابة التاريخية
فى وقتها ، وهى :

« المختصر فى علم التاريخ » للمحيط الكافيجى (ت ٧٨٩ هـ /
١٤٧٤ م) ، و « تاريخ الرسل والملوك » لابن الفرات - الحنفى
(ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م) ، و « الجواهر الثمين فى سيرة الملوك
والسلطين » لابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧ م) ، « المواعظ
والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار » للتنقى المقرئى (ت ٨٤٥ هـ /
١٤٤١ م) .

اذ بفضل ظهور الكتاب الأول « المختصر فى علم التاريخ »
أنشأ « الشمس السخاوى » : « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل
التاريخ » ، كما أنشأ « الجلال السيوطى » : « الشمارىخ فى علم
التاريخ » ، فضلا عن تأثرهما و « ابن الصيرفى الجوهري »
و « عبد الباسط - الحنفى » فى منحاهم التاريخى به .

كما كان كتابا « ابن الفرات » و « ابن دقماق » موردين موردين
رئيسيين لدى من أتى بعدها من المؤرخين ، كالتقى المقرئى ، وابن
حجر العسقلانى ، والبدر العينى ، وابن تغرى بردى ، وقد نقلوا
منهما نصا أو ضمنا .

أما « المواعظ والاعتبار » ، أو « خطط المقرئى » ، فقد حاز
فى وقته - وفى وقتنا كذلك - إعجابا لا نظير له ، لدى المؤرخين ،
الذين وصفوا هذا العمل بالتفرد فى بابيه ، وعدوه أعجوبة من
أعاجيب الكتابة فى حينه ، ونقلوا منه - كذلك - نصا أو ضمنا ،
بحيث لا تخلو كتابة تأريخية واعية عن مصر - منذ الفتح العربى
لها وحتى سقوط الدولة المملوكية الثانية - من منقول أو أكثر منه .
بل لقد كان عمدة فى انشاء العديد من المصادر اللاحقة لدى بعض
المؤرخين ، ومنهم : « ابن تغرى بردى » ، الذى نقل منه فصولا
طويلة فى مؤلفه « البحر الزاخر فى علم الأول والآخ » ، و « ابن
أياس - الحنفى » ، الذى جعله عمدة فى انشاء كتابيه : « نزهة
الأمم فى العجائب والحكم » و « نشق الأزهار فى عجائب الأقطار » .

وفضلا عن ذلك ، فهى أربعة من موضوعات الكتابة التاريخية
آنذاك ، يمثل أولها (المختصر فى علم التاريخ) فلسفة التاريخ
ومنهجيته ، بينما يمثل ثانيها (تاريخ الرسائل والملوك)
التاريخ العام ، فيما بين الخليفة وعصر مؤلفه ، على حين
يمثل ثالثها (الجوهر الثمين) التاريخ للدول من خلال تراجم
الخلفاء والسلاطين ، ويمثل رابعها (خطط المقرئى) التاريخ
(لمصر) بجانبه السياسى والحضارى ، وهى أنماط أربعة من أنماط
الكتابة التاريخية ، لاتزال - فيما أرى تحتاج الى جهد جهيد فى
دراستها والتعريف بها وبمنشئها ، للافادة فى إعادة صياغة تاريخ
مصر ، والتعريف بأعلامه ، والتعرف على سمات المنهج المتبع
- آنذاك - فى التدوين التاريخى .

ويرجع الفضل فى انشاء هذا المؤلف - على هذه الكيفية التى يظهر بها الآن - بعد الله - سبحانه وتعالى - الى ثلاثة من أولى الفضل ، هم على التوالى : أستاذتى الفضلى ، ١٠ د . سيدة كاشف ، التى أشرفت على مادة هذا المؤلف ، وكان لها تأثيرها البالغ فى تكوين الفكر التاريخى لدى مؤلفه : وأستاذى الفاضل ، ١٠ د . عبد العظيم رمضان - المؤرخ والناقد الحصيف - الذى لولا تشجيعه للعلم والعلماء ولمؤلف هذا المؤلف المتواضع لما خرج هذا المؤلف الى حيز النور ، والى ابنتى الأتسة « ولاء » ، التى كان موتها المفاجئ سببا فى انكبابى على مثل هذه الدراسة ، مدعاة للتخفف من أحزاني .

وعلى الله قصد السبيل ،

محمد كمال الدين عز الدين

(القاهرة ، فى : ديسمبر ١٩٨٩ م)

الفصل الأول

المحيى الكافيحي وكتابه ((المختصر في علم التاريخ))

المحيى الكافي (ت ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م)

دراسة حياة

ولد « محيى الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن سليمان بن سعد
ابن مسعود^(١) ، الرومى - الحنفى » ، المعروف « بالكافى »^(٢)

(١) ترجمته هنا مأخوذة عن : ابن تيمى يردى الدليل الشافى ج ٢
ص ٦٢٤ تر ٢١٤٦ ، المنهل الصافى ج ٢ ق ١٠٦ ب - ١٠٧ أ ، السخاوى .
الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٥٩ - ٢٦١ تر ٦٥٥ ، السيوطى . بغية الوعاة ج ١
ص ١١٧ - ١١٩ تر ١٩٨ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٤٩ - ٥٥٠ تر ٥٥ ،
المنجم فى المعجم ق ٧١ ب - ٧٢ ب ، طاشكبرى زادة . مفتاح السعادة ج ٢
ص ١٢٦ - ١٢٨ ، ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب ج ٧ ص ٣٢٦ -
٣٢٨ .

، ، (٢) نسبة الى «الكافية» لابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٩ م) ، والتي
كان يكثر من قراءتها واقرائها ، بزيادة جيم ، كما هي عادة الترك - آنذاك
فى النسب .

راجع : السخاوى . الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٦٠ .

فى بلاد الروم(٣) قبل التسعين وسبعمائة للهجرة - تقريبا(٤) -
ونشأ بها ، متتلماً على جماعة من العلماء(٥) ، منهم : « البرهان
الخافى »(٦) و « الحافظ البزارى »(٧) و « البرهان حيدرة »(٨)
و « عبد الواحد الكوتائى » و « الشمس الفنى »(٩) و « واجد »
و « ابن العزى » و « ابن فرشتا »(١٠) ، وغيرهم . ثم ارتحل الى

(٢) تشير مصادر ترجمته الى أنه ولد فى «كجة كى من بلاد صاروخان»
ويقابلها - حالياً - « كوك جاكى فى الأفاضول » .

راجع : روزنثال . علم التاريخ عند المسلمين ص ٣١٨ .

(٤) أشار السخاوى (الضوء المانع ج ٧ ص ٢٥٩) الى ذلك ، موهناً
قول ابن تغرى بردى (المنهل الصافى ج ٣ ق ١٠٦ ب) بأنه ولد سنة « احدى
وثمانمائة ، للهجرة » .

بينما أرخ السيوطى (المنجم فى المعجم ق ٧١ ب) مولده جزماً بسنة
« ثمان وثمانين وسبعمائة للهجرة » ، وتقريباً (حسن المحاضرة ج ١ ص
٥٤٩) بـ « قبل ثمانمائة تقريباً » .

(٥) لم يمتد الى ترجمة أكثر أساتذته ، كما لم تشأ مصادر ترجمته ان
تحصيهم لنا ، او ان تذكرهم - غالباً - بأسمائهم .

(٦) هو « أمير حيدر » ، احد تلامذة ، التفتازانى - راجع . السخاوى .
الضوء المانع ج ٧ ص ٢٥٩ .

(٧) هو « محمد بن محمد - الحنفى » ، صاحب الفتاوى - راجع :
المصدر السابق ج ١١ ص ١٩٠ .

(٨) ترجمه السيوطى (بغية الوعاة ج ١ ص ٥٤٩ تر ١١٥١) باسم
« حيدرة الشيرازى » ، مشيراً الى أنه مات بعد العشرين وثمانمائة .

(٩) هو « محمد ابن حمزة بن محمد - الرومى » (ت ٨٣٤ هـ / ١٤٣١ م) .
ونسبته الى صنف « الفنىار » . له ترجمة فى : ابن حجر . انباء الغمر ج ٣
ص ٤٦٤ - ٤٦٥ تر ١٣ ، السخاوى . الضوء المانع ج ١١ ص ٢١٨ ،
السيوطى . بغية الوعاة ج ١ ص ٩٧ - ٩٨ تر ١٥٩ ، طاشكبرى زادة . مفتاح
السعادة ج ٢ ص ١٢٤ - ١٢٦ .

(١٠) هو « عبد اللطيف بن عبد العزيز » - راجع : السخاوى . الضوء
المانع ج ١١ ص ٢٦٤ .

الشام والحجاز - حيث حج أكثر من مرة - والقدس ومصر ، التي دخلها في أثناء سلطنة « الأشرف برسباي » (١١) (ت ٨٤١ هـ / ١٤٣٨ م) ، متخذاً من القاهرة موطناً له ، وقد تنزل في « البرقوقية » ، منصرفاً الى الاقراء والتدريس والفتوى ، فاجتمع به مشاهير علمائها وتلاميذها من سائر المذاهب (١٢) ، كما قصده الطلبة من خارجها (١٣) ، وقد رأوا فيه اجتهاداً في تحصيل العلم ، ودأباً في تقريره ، وتقدماً في أكثر فروعهِ ، كالفقه ، والأصول ، والفرائض والكلام ، والحديث ، والتفسير ، واللغة ، والنحو ، والصرف ، والبلاغة ، والفلسفة ، والمنطق ، والهيئة ، والهندسة ، والطبيعية . بحيث عد لدى « السخاوى » : « علامة الدهر ، وأوحد العصر ، ونادرة الزمان ، وفخر هذا الوقت والأوان » (١٤) ، ولدى « السيوطى » : « اماماً كبيراً في المعقولات كلها » (١٥) ، مما أهله لتولى بعض الوظائف الدينية ، اذ أسند اليه « الظاهر جقمق »

(١١) أشار السخاوى (نفسه ج ٧ ص ٢٦٠) الى أن ذلك كان « بعيد الثلاثين وثمانمائة للهجرة » .

(١٢) كابن حجر العسقلانى ، وابن أسد ، والبدر البلقينى ، والتقى الحصنى ، وابن تغرى بردى ، والسخاوى ، والسيوطى . اذ كثيراً ما يتردد اسمه فى ترجمات معاصريه من الأعيان والاساتيد الطلبة .

راجع : ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج ٣ ق ١٠٧ ١ ، السخاوى . الضوء الملامع ج ٧ ص ٢٦٠ - ٢٦١ ، السيوطى . التحدث بنعمة الله ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، المنجم فى المعجم ق ١٧٢ .

(١٣) ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج ٣ ق ١٠٧ ١ .

(١٤) السخاوى . الضوء الملامع ج ٧ ص ٢٦١ .

(١٥) السيوطى . بغية الوعاة ج ١ ص ١١٧ ، المنجم فى المعجم ق ٧١ .

• ب •

(ت ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) • مشيخة « زاوية الأشرف برسباي » (١٦)
فمشيخة الحديث في تربته (١٧) ، كما أسند اليه « الأشرف اينال »
(ت ٨٦٥ هـ / ١٤٦١ م) « مشيخة الشيوخونية » (١٨) فضل - فيما
يبدو - على وظائفه تلك الى حين وفاته في الرابع (١٩) من جمادى
الثانية سنة تسع وسبعين وثمانمائة للهجرة (١٤٧٤ م) ، بعد تعال
- بالزحير (٢٠) وتوالى الاسهال - دام نحو الخمسة أشهر ، خالفا

(١٦) كان ذلك في جمادى الاولى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة للهجرة
(١٤٣٨ م) ، بعد عزل « حسن العجمي » عنها •

راجع : ابن حجر • انباء الغمر ج ٩ ص ٤٧ ، السخاوى • الضوء
اللامع ج ٧ ص ٢٦٠ •

(١٧) كان ذلك عوضا عن « العلاء الرومى » • ولم يؤرخ لشغله لها كل
من السخاوى (نفسه) والسيوطى (بغية الوعاة ج ١ ص ١١٧) •

(١٨) كان ذلك سنة ثمان وخمسين وثمانمائة للهجرة (١٤٥٤ م •)
حين أعرض « ابن الهمام » (ت ٨٦١ هـ / ١٤٥٧ م) عنها • راجع : ابن
تغرى بردى • حوادث الدهور ج ١ ق ٢٩٨ ، السخاوى • الضوء اللامع ج ٧
ص ٢٦٠ ، السيوطى • بغية الوعاة ج ١ ص ١١٧ ، ابن اياس • بدائع الزهور
ج ٢ ص ٣١٨ ، طاشكبرى زادة • مفتاح السعادة ج ٢ ص ٢٧٢ •

(١٩) أرخ السخاوى (الضوء اللامع ج ٧ ص ٢٦١) لذلك بصبيحة يوم
الجمعة ، بينما أرخه السيوطى (بغية الوعاة ج ١ ص ١١٨ ، حسن المحاضرة
ج ١ ص ٥٤٩ ، المنجم فى المعجم ق ٧٢ ١) بليلة الجمعة •

(٢٠) الزحير : ما يصيب المقعدة من أورام صلبة ، مصحوبة بتشققات
وقروح ، من جراء الاصابة بالبرد أو البواسير وما اليها • راجع : ابن
سينا • القانون فى الطب ج ٢ ص ٤٤٧ - ٤٤٩ •

وراء تراثا ضخما (٢١) ، وسيرة حسنة ، نعت فيها لدى مترجميه
بالفطرة السليمة ، حيث صفاء القلب ، وصحة العقيدة ، وحسن
الاعتقاد ، والانهماك فى العبادة ، والصيانة ، والعفة ، والاكثار من
الصدقة ، والبذل والكرم ، وحسن العشرة ، وممازحة الصحاب
ومداعبتهم وملاطفتهم ، فضلا عن احتمال أذى الأعداء والحلم عليهم،
ومزيد الرغبة فى لقاء العلم وتقديره (٢٢) .

(٢١) ذكر السخاوى (الضوء الملامع ج ٧ ص ٢٦٠) أن تصانيفه زادت
على المائة ، واغلبها صغير .

بينما أشار السيوطى (بغية الوعاة ج ١ ص ١١٧ - ١١٨) الى أن
تصانيفه فى العلوم العقلية لا تحصى، وأنه سأل ان يسمى له جميعها ليكتبها
فى ترجمته ، فقال : « لا أقدر على ذلك » ، معللا بأن له مؤلفات كثيرة نسيها ،
فلا يعرف - الآن - أسماءها .

ولعله لم يترك فى مجال « الكتابة التاريخية » سوى مؤلفين ، هما :
« المختصر فى علم التاريخ » ، الذى سوف يعرض له فى الصفحات التالية ،
و « النصر القاهر والفتح الظاهر » ، الذى أشار اليه «روز نثال» فى مؤلفه
«علم التاريخ عند المسلمين» ص ٣٢٠ ، وهو ما لم أتمكن من العثور عليه ،
فضلا عن دراسته وتقويمه .

(٢٢) السخاوى . الضوء الملامع ج ٧ ص ٢٦٠ - ٢٦١ ، السيوطى .
بغية الوعاة ج ١ ص ١١٨ .

المختصر في علم التاريخ

مؤلف لطيف الحجم (١) ، فرغ مؤلفه من تدوينه « ضحى يوم

(١) اعتمدت هذه الدراسة على مخط . دار الكتب المصرية ، ذات الرقم : « ٥٢٨ - تاريخ » ، وتقع في « احدى وعشرين ورقة » ، مقاسها : ١٤ × ١٨ سم ، ومسطرتها نحو « الخمسة عشر سطرا » ، وقد نسخها « على بن داود الجوهري » (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٥ م) بعد ثمانية أيام - فقط - من انتهاء « الكافي » من تحرير مادة الكتاب .

مع مقابلتها بثلاث نسخ خطية أخرى ، وهي :
في خمس وخمسين ورقة ، ذات قطع صغير ، مسطرتها نحو ثلاثة عشر
(١) مخط . معهد سمياط الديني ، ذات الرقم : « ٥٥ - تاريخ » ، وتقع في خمس وخمسين ورقة ، ذات قطع صغير ، مسطرتها نحو ثلاثة عشر سطرا ، وقد نسخها « شرف الدين ، يحيى بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد الدمشقي ، الشافعي ، المعروف بسبط الخسراقي » (له ترجمة في : السخاوي . الضوء اللامع ج ١٠ ص ١٥١ - ١٥٢ تر ١٠٢٧) - أحد تلامذة « الكافي » المختصين به - في الخامس من رمضان ، سنة سبع وثمانين وثمانمائة للهجرة .

(ب) نسخة ندوة العلماء (لكنز) ، وتقع في عشرين ورقة ، مقاسها : ١٣٥ × ١٨٥ سم ، ومسطرتها نحو سبعة عشر سطرا ، يضمها الى غيرها

□

مجموع يحمل رقم : « ٣٦١ » ، وقد نسخها « محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن سعد ، الديري الحنفى » (له ترجمة فى السخاوى . الضوء اللامع ج ٨ ص ٣٦ تر ١٤) - أحد تلامذة « الكافيجى » وأخصائه - فى الثالث عشر من ذى الحجة ، سنة ثمان وسبعين وثمانمائة للهجرة .

(ج) نسخة دار الكتب المصرية ، ذات الرقم : « ١٨١٤ » - تاريخ ، طلعت ، ، وتقع فى « احدى وأربعين ورقة » ، مقاسها : ١٦ × ١٢ سم ، ومسطرتها نحو ثلاثة عشر سطرا ، وهى مجهولة النسخ ، وان أرخت فى آخرها بسلخ جمادى الأولى ، سنة ثمان وستين وثمانمائة للهجرة .

ومع اشتراك هذه النسخ الأربع فى الكثير من الاسقاطات والحذف ، فان النسخة الأولى تعتبر - الى حد ما - سليمة فى معظمها ، فضلا عن أن ناسخها ممن شاركوا فى « الكتابة التأريخية » - تأليف ونسخا - ولذا كان التعويل فى الاحالة على صفحاتها فى الحواشى دون سواها . وان كان « فرانز روزنثال » قد نشر هذا الكتاب ضمن مادة مؤلفه « علم التامىخ عند المسلمين (راجع : تر ٥٠ ص ١٩٦٣ م ، بغداد ، ١٩٦٣ م ، ص ٣٢٥ - ٣٧٠) ، اعتمادا على ثلاث مخط ، هى : مخط دار الكتب المصرية ذات الرقم « ٥٢٨ - تاريخ » ، وأيا صوفيا رقمى : « ٣٤٠٢ » و « ٣٤٠٨ »

وهى نشرة كثيرة التحريف والحذف ، ويمثل الأول قوله : « ٠٠٠ وفى أول حكم دور السنة (= السنبله) ظهر النوع الانسانى » (نفسه ص ٣٥٥) ، بينما يمثل الثانى قوله : « ٠٠٠ وأول السنة - أعنى المحرم - هو يوم الخميس بحسب أمر الأوسط ، ولما كان مشتهرا عند القوم اعتبروه ، وأما بحسب الرؤية وحساب الاجتماعات ، فهو يوم الجمعة » (نفسه ص ٣٣٢) ، وقوله : « ٠٠٠ فسميت السنة الأولى من سننى مقام النبى - صلى الله عليه وسلم - (بالدينة) سنة الاذن بالرحيل ٠٠٠ » (نفسه) ، وقوله : « ٠٠٠ فان قلت . هذا الذى ذكرته من علم التاريخ لا يفيد واقعة واحدة بخصوصها بالبديهة ، فضلا عن افادة وقائع كثيرة ، (فيكون) كشجرة لا ثمرة لها » (نفسه ص ٣٣٥) ، وقوله : « ٠٠٠ وأنت تعلم أن فى (مثل) هذا القول

الثلاثاء ، ثامن رجب سنة ٨٦٧ هـ / ١٤٦٣ م « (٢) ، مرتباً له على
على مقدمة ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة .

أما المقدمة ، فقد اشتملت على ستة عناصر ، وهي :

١. - **الإشادة بقوائد : « علم التاريخ »** ، إذ هو « من جملة
العلوم النافعة في المبدأ والمعاد وما بينهما » ، كما أن « فوائده
وغرائبه لا تعد ولا تحصى ، وهو بحر الدرر والمرجان ، لا يحيط
بمنافعه نطاق التحديد والتبيان ، وفيه عجائب الملك والملوكوت ، وفيه
ايصال الى جناب الحق ذي العظمة والجبروت » .

٢. - **دافعه الى تأليفه : « ... وقد دعانى الحذب على اهل**

نوع رمز ، (نفسه) ، وقوله : « ... وكذلك كل واحد بخصوصه من كل
واحدة من هذه الطبقات معلوم بوجه ، وأما علم كل واحد بعينه من كل
واحدة من هذه الطبقات فدون ذلك خسر القتلاد ، وشييب
الغراب » (نفسه ص ٣٣٨) ، وقوله : « ... ثم دفن بمكة ، في غار في
جبل أبي قبيس ، (وجبل أبي قبيس) هو أول جبل وضع في الأرض » (نفسه
ص ٣٥٤) ، وقوله : « ... وعاشت حواء بعده سنة (واحدة) » (نفسه) ،
مسقطاً ما بين القوسين . كما لم يفرق في هذه النشرة بين الشعر والنثر
ولذا وردت فيها ثلاثة شواهد شعرية مفتورة . وهي قوله « الرمل »
كل خط ليس في القرطاس ضاع كل سر جاوز الاثنين شاع
وقوله : « الكامل »

والعلم فائدة بلا شبهة فا علم ، فعلم المرء ينفعه
وقوله : « البسيط »

ما الفخر الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرء ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم أعداء

راجع ص ٣٣٦ ، ٣٤٢ ، ٣٦٢ من هذه النشرة .

(٢) الكافي ج١ . المختصر في علم التاريخ ق ٢١ أ .

الأدب والأرب الى جمعه فى قوانين الضبط والبيان ، بقدر الوسع والامكان » .

٣ - عنوان الكتاب : اتفقت النسخ الأربع على تسميته بـ « المختصر فى علم التاريخ » ، وتطابقت هذه التسمية - كذلك - وما جاء فى خواتيمها ، وفى ديباجتى نسختى « دار الكتب المصرية ، ذات الرقم : ٥٢٨ - تاريخ » و « معهد دمياط الدينى ، ذات الرقم : ٥٥ - تاريخ » ، وان أبدل فى ديباجة نسخة « لكنو ، ذات الرقم : ٣٦١ » بقوله : « كتاب علوم التاريخ » ، وديباجة نسخة « دار الكتب المصرية ، ذات الرقم : ١٨١٤ - تاريخ » بقوله : « كتاب المختصر المفيد فى علم التاريخ » ، مما يجعل العنوان الأول أولى بالاثبات والتعويل عليه .

٤ - تنظيم مادة الكتاب : « ورتبته على ثلاثة أبواب » .

٥ - الغرض من تأليفه : « اتحاف الاخوان » ، « راجيا من الله - تعالى - الذكر الجميل فى الأولى ، والأجر الجزيل فى الأخرى » .

٦ - الاحتياط لما هو بصدد الكتابة فيه : ان أن جمعه لمادته « بقدر الوسع والامكان » ، كما أن جامع « بمراحل من جانب التصدى لذلك الخطب العظيم الشأن » .

وأما الأبواب الثلاثة ، فقد جعل الأول منها « فى مبادئ علم التاريخ » ، باحثا فيه نقاطا عشرا ، وهى :

١ - التعريف بلفظة « التاريخ » لغة : « تعريف الوقت » واصطلاحا : « تعيين وقت لينسب اليه زمان مطلقا ، سواء كان قد مضى ، أو كان حاضرا ، أو سيأتى » ، أو « تعريف الوقت بأسناده الى أول حدوث أمر شائع ، كظهور ملة ، أو وقوع حادثة هائلة ،

من طوفان أو زلزلة عظيمة ، ونحوهما من الآيات السماوية والعلامات الأرضية » ، أو « مدة معلومة بين حدوث أمر ظاهر وبين أوقات أخرى » . وتلك تعريفات اصطلاحية ثلاثة للفظ « التاريخ » مقابلا بها معناها اللغوي ، وإن لم يترجح أى منها لدى مؤرخنا ، إيماننا منه بأن « كل أحد له أن يصطلح على ما يشاء ، كيف يشاء ، لغرض صحيح » ، فضلا عن أنه « لكل أحد من هذه الاصطلاحات وجه وجيه » ، فإنه لا يدعنا دون التعريف بالتاريخ كعلم : « ٠٠٠ أما علم التاريخ ، فهو علم يبحث فيه الزمان وأحواله ، وعن أحوال ما يتعلق به ، من حيث تعيين ذلك وتوقيته » ، وكان قد انتهى قبل إلى أن الفرق بين التاريخين : اللغوي والاصطلاحي « بالعموم والخصوص فاللغوي أعم من التاريخ الاصطلاحي عموم الحيوان من الإنسان » .

٢ - التعريف بالزمان : « الوقت ، أو مقدار الحركة » ، والميقات : « الوقت ، أو الموضع المعين لأمر من الأمور » ، والتوقيت : « تحديد الأوقات » ، والموقت : « مفعول من الوقت » . منتهيا إلى أن « الزمان » هو الذى يحتاج « أهل التاريخ » إلى معرفته .

٣ - التعريف بأقسام الزمان - لغويا وفلكيا - من سنة (شمسية أو قمرية) ، وشهر ، ويوم ، وليل ، ونهار ، وساعة (مستوية أو زمانية) .

٤ - السبب فى اتخاذ المسلمين التاريخ (الاختلاف زمن عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - فى صك محله شعبان ، فلم يدرى أى الشعبان هو) ، والاشارة إلى أن لفظة « التاريخ » معربة عن « ماه روز » الفارسية .

٥ - العلة فى التاريخ من لدن الهجرة : « ٠٠ فاتفقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الاسلام من لدن هجرة النبى - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى المدينة ، لأن وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد ،

بخلاف وقت وفاته - صلى الله عليه وسلم - وإن كان معيناً ، فلم يحسن أن يجعلوه مبدأ التاريخ ، فإن جعله أصلاً غير مستحسن عقلاً ، لكن جعل وقت الهجرة لكونه وقت استقامة ملة الاسلام ، وتوالي الفتوح ، وترادف الوفود ، واستيلاء المسلمين أصلاً أولى ، لأنه مما يتبرك به ويعظم وقعه في النفوس » .

وإن كان هذا التاريخ مراعاة للسنة - فقط - دون غيرها ، فالهجرة كانت « يوم الثلاثاء ، لثمان خلون من شهر ربيع الأول ، وأول السنة هو » المحرم » .

٦ - التاريخ لاتخاذ المسلمين « التاريخ » - بعد أن « كانوا يسمون كل سنة باسم الحادثة التي وقعت فيها ، ويؤرخون بها ، بسنة « سبع عشرة » للهجرة » .

٧ - حصر التواريخ المشهورة في زمن مؤرخنا في : « سنة تاريخ الهجرة ، والروم ، والفرس ، والملكي ، واليهود ، والترك » .

٨ - تحديد موضوع « علم التاريخ » : « ... وأما موضوعه ، فهو أمور حادثة غريبة ، لاتخلو من مصالح وترغيب وتحذير وتنشيط وتثبيط ونصح واعتبار وبسط وانفعال ، بحيث يلاحظ فيها ضبطها بتحرير تحديد ، وتقرير تعيين ، وتوقيت لغرض صحيح في ذلك ، كوقائع متعلقة بالأنبياء والرسل ... وكسائر حوادث الأمور السماوية والأرضية ، من حدوث ملة وظهور دولة وزلزلة وطوفان وموتان ، الى غير ذلك من الحوادث الصائلة العظام ، والأمور الهائلة الجسام » .

٩ - التعليل لوجوب الاحتياج الى « علم التاريخ » ، ان هو « واجب على سبيل الكفاية ، كوجوب سائر العلوم ، لضبط زمن المبدأ والمعاد وما بينهما » على وجه كلى معتبر فيه ، لدوران الأحكام مع المصالح وجوداً وعدماً .

ولا يقدح في الاحتياج اليه استغناء الأوائل عن تدوينه ،
لانسحاب ذلك على غيره من العلوم ، فضلا عن كونهم « في زمان
صدق وصفاء » عارفين بما سنخ لهم من الأمور والوقائع » ، « وقد
كانت الحوادث قليلة في ذلك الزمان ، وأما الحوادث والوقائع فقد
كثرت جدا في هذا الزمان » .

١٠ - الشرط الواجب توافرها في المؤرخ : « ٠٠٠ وينبغي
أن يشترط في المؤرخ ما يشترط في راوي الحديث من أربعة أمور :
العقل ، والضبط ، والاسلام ، والعدالة . لكون كل واحد منهما
معتمدا في أمر الدين ، أمينا فيه ، ولتزداد الرغبة في تأريخه ،
« للاحتراز عن المجازفة والافتيات ، فيحصل له الأمن من الوقوع في
الضلالة والاضلال » . وان جوز للمؤرخ رواية « القول
الضعيف » في باب الترغيب والترهيب والاعتبار ، شريطة التنبيه
على ضعفه ، واضطحابه بمسند له فيه ، من سماع أو اقراء أو
اجازة أو مناولة أو كتابة أو وجادة .

بينما جعل الباب الثاني « في أصول علم التاريخ ومسائله » ،
وقد أشير من خلاله إلى أن مقصود المؤرخ نوعان : « نوع مقصود
أصلا وبالعرض » ، وهو ضبط الانسان في طبقاته الثلاث : العليا
(الأنبياء والرسل) والوسطى (الأولياء والمجاهدين والأبرار)
والسفلى (من غداهما) على وجه معتبر ، و « نوع مقصود تبعا
وبالعرض » ، فإذا أراد المؤرخ تأريخ واحد بعينه من كل واحدة من
هذه الطبقات يحصل له - حينئذ - عنده اعتبارات ممكنة عقلا ،
وبحالات محتملة ، سواء كانت واقعة في نفس الأمر أو ليست بواقعة ،
وسواء كانت ممكنة الاجتماع في الواقع أولا . وتلك الاعتبارات
يمكن حصرها استقرائيا على سبيل غلبة الظن في خمسة أوجه ،
وهي :

(أ) اعتبار وجه الحضور والعيان •

(ب) اعتبار وجه العلم واليقين •

(ج) اعتبار وجه غلبة الظن •

(د) اعتبار وجه تعارض بلا ترجيح ، وفيه يكون التأريخ مع التنبيه على وقوع الاختلاف فيه بلا جزم بأحد طرفيه ، وتكون العلة فى تأريخه منحصرة فى الرغبة فى الاطلاع على ما فيه ، ان « العلم فائدة بلا شبهة » ، و « السعى والاجتهاد انما هو بحسب الطاقة والامكان » ، و « مالا يدرك كله لا يترك كله » ، فقد يظهر رجحان أحد جانبيه فيما بعد وان لم يترجح فى حينه ، ان انتفاء التصديق به لا يستلزم انتفاء تصديق به فى الجملة ، فضلا عن انتفاء تصوره •

(هـ) اعتبار وجه غير هذه الوجوه الأربعة السالفة ، وهو مما لا ينصح « الكافيجى » بتأريخه - نفيا أو اثباتا - « للاحتراز عن الرجم بالغيب والافتيات والتبخيت » ، ولئن أرخ بين حاله بأنه مجهول عنده ، مع الاعتراف بالعجز عنه ، « ان ربما يحصل الاطلاع عليه فيما بعد وان لم يحصل الاطلاع عليه فى الحالة الراهنة » ، كما ذكر فى الذى قبله •

تلك هى « نظرية الكافيجى » فى « علم التأريخ » ، وهى مما شاء أن يدونه مختصرا ، وقد اقتضبت عناصرها فيما هو أشبه برؤوس الموضوعات ، مع تنبيه الى ذلك وتوكيد عليه : « ... ولولا خوف سامة الخواطر من الاطناب لذكرنا ههنا غرائب وعجائب تسر بها خواطر أولى الألباب ، لكن فيما ذكرنا كفاية لكل ذهن سليم وقاد ، وارشاد لكل طبع مستقيم نفاد » •

ولا يدعنا « الكافيجى » بصدد نظرية مجردة ، دون أن يوجد لها التطبيق الذى تضطرد معه وتقاس به ، « فاذا قرعنا من تقرير

القواعد والأصول ، فلنشرع لايضاها فيما يتعلق بها من رجال الطبقات الثلاث ، على سبيل الأنموذج والايجاز » ، جاعلا من باقى مادة الباب الثانى مادة لهذا « الايضاح » ، حيث تطرق الى ذكر الأنبياء ، من خلال التحدث عن ثلاثة منهم ، وهم : « آدم » و « نوح » و « محمد » - صلوات الله عليهم - وان تخللت مادة الحديث عن أولهم استطرادات عديدة ، اشتملت على : بيان الأمور السبعة المخصوصة بالأنبياء (القربان ، والسفينة ، والسلسلة ، والنار ، والصاع ، والحفرة ، والقلم) ، خلق الكون وتاريخه ، التفرقة بين الجن والجن ، قصة ابليس فى طوريه ، ملك الموت وقبض الأرواح المؤمنة والكافرة ، التعليل للاختلاف بين البشر فى الألوان والأخلاق . . ثم تبع ذلك بالتأريخ المقتضب جدا (٣) لدولة الخلافة الراشدة ، والتعريف بأئمة المذاهب السنية الأربعة .

أما الباب الثالث ، فقد جعله « فى بيان شرف أهل العلم ، وفى فضل العلم ، وفى بيان مايفيد التذكير والاعتبار » ، مدلا على صحة المقصد الأول بالقرآن - الكريم - والسنة والأثر والمعقول ، منتها الى « أن لذة العلم أعظم اللذات ، كما أن ألم الجهل أشد الآلام » ، مقرنا ذلك بقصصتين قصيرتين تأتيان فى باب « التذكير والاعتبار » ، مع سهولة مأخذهما ، والوقوف على مغزاهما ، وهما :

(١) قصة « العنقاء » - طير معروف الاسم مجهول الجسم - مع سليمان - عليه السلام - ومغزاها أن الايمان بالقضاء والقدر أمر حتمى لا مفر منه .

(٣) ان اكتفى فى التأريخ للخلفاء بذكر الأسماء مجردة - دون تتبع سلسلة نسبهم - والتنبيه على صحة خلافتهم ، وتقدير أعمارهم حال الوفاة .

(ب) قصة « ذى القرنين » و « درفائيل » ، والبحث عما يسمى : « عين الحياة » - وهى عين « من شرب منها شربة لا يموت حتى يكون هو السائل للموت » - ومغزاها دفع ما جلبت عليه النفس الانسانية من النهم والرغبة فى التملك وحياسة الدنيا ، وتوكيدا لقوله عليه السلام : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب » .

ولذا يؤكد مؤرخنا تلو هذا فى عنصر مستقل على « أن كل أحد ينتقل من هذه العوالم الجسمانية الملكية الى جناب تلك العوالم الروحانية النورانية البرزخية الملكوتية ، ويحيى أثره ، ويبقى ذكره فى هذا العالم بالتأريخ والحديث ، ولاشئ يدوم » ، فلا اقل من أن يكون « حديثا جميل الذكر » . . . متطرقا الى مزية « التأريخ » وضرورة الاحتياج اليه بما هو ادخل فى مجال المدح له ، خاتما هذا الباب بالاشادة بمصر ، وبيان ما اختصت به من الأمن والبركة ، وما أضفاه عليها موقعها بصدد ذلك .

واما الخاتمة ، فقد شغلت عدة سطور ، أريد بها التأريخ لفراغ مؤلفه من تحريره ، على نحو ما نبه اليه قبل .

أسلوب الكتاب :

أسلوب الكتاب - فى غالبه - سليم الى حد كبير ، وهو ادخل فى المجال « العلمى المتأدب » منه فى مجال « الأدب » ، بحيث تداعت فيه معطيات العلم والأدب ، توكيدا لنظرية « الكافيجى » وتقريرا لعباراتها ، فبان « الكافيجى » من خلاله صاحب مهارات .

تفسيرية^(٤) ، حديثية^(٥) ، فقهية ، كلامية ، وعظية ، أدبية^(٦) ، لغوية^(٧) ، نحوية ، بلاغية ، فلكية ، الى جانب مهاراته التاريخية .

مصادر مادة الكتاب :

لم يشأ مؤرخنا أن يصرح بمصادر كتابه في خطبته ، أو أن ينسب اليها من خلال مادته ، اللهم الا في ثلاثة مواضع - فقط - نسب في أولها الى « الشيرازي » (ت ٧١٠ هـ / ١٣١١ م) ، صاحب كتاب « نهاية الادراك في دراية الأفلاك » ، وفي ثانيها الى « السيف الأمدى » (ت ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م) ، صاحب كتاب « أبكار الأفكار » ، وفي ثالثها الى « الجوهري » (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م) ، صاحب كتاب « الصحاح في اللغة » .

لكن استقراء مادة الكتاب يشير الى اعتماده - فضلا عن ذلك - على « عرائس المجالس » للثعلبي ، و « فضائل مصر »^(٨) لعمر بن

(٤) اذا استشهد في مواضع متفرقة من الكتاب بثلاثة وأربعين آية قرآنية ، أو جزء من الآية ، مقرنا بعضها بأراء تفسيرية .
راجع : المصدر السابق ق ١٧ ، ١٠ ب ، ١٣ أ .

(٥) اذا استشهد بخمسة عشر حديثا نبويا - على اختلاف درجاتها - في مواضع متفرقة من الكتاب .

نفسه ق ٦ ب ، ٩ ب ، ١١ ، ١٥ أ ، ١٧ ب ، ٢٠ ب .

(٦) اذا استشهد بتسعة شواهد شعرية في مواضع متفرقة من الكتاب .
نفسه ق ٣ ، ٨ ب ، ١١ أ ، ١٧ ، ١٨ .

(٧) اذا كان حريصا على اقتران المعنى الاصطلاحي بالمعنى اللغوي .
نفسه ق ٣ ب ، ١٢ أ .

(٨) نقل « الكافي » عنه في الباب الثالث من الكتاب ، فيما تعلق بالاشادة بمصر وبيان ما حبيت به من ميزات (المختصر ق ٢٠ ب - ٢١ أ = ابن الكندي . فضائل مصر ص ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٤٤ ، ٤٥) .

محمد بن يوسف الكندي ، بالاضافة الى القرآن - الكريم - والحديث
النبوي - الشريف - وما اتصل بهما من معارف .

تقويم مادة الكتاب :

يعد هذا الكتاب - وان اقتضبت مادته اقتضابا جعلها في كثير
من جوانبه أشبه برؤوس الموضوعات - مهما في بابه ، لكونه الكتاب
التراثي الوحيد - فيما أعلم - المؤلف في « مصطلح علم التاريخ »
مستوفيا لجانبه النظري والتطبيقي ، انما سبقه لا يعدو كونه فصولا
مطولات في صدر بعض الموسوعات التاريخية ، على النحو الوارد
في كتابي « تاريخ مدينة دمشق » لابن عساكر ، و « الوافي بالوفيات »
للصفدي ، وما أثبتته « ابن خلدون » في مقدمته .

كما كان فاتحة للتأليف المستقل في موضوعه - مع الفارق
في استيفاء عناصر الموضوع - بحيث ألف « السخاوي » كتابه
« الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ » ، وألف « السيوطي » كتابه
« الشماريخ في علم التاريخ » ، استمدادا منه ، واطافة الى عناصر
مادته .

ومهما قيل في تضعيف أكثر أمثلة الجانب التطبيقي منه ،
وتفاهة موضوعاتها (٩) ، وقرب مأخذها ، فان اثباتها على هذه
الكيفية كان موجها بمنهج علمي مدرك لدى مؤرخنا ، أريد به التاريخ
أرجال الطبقات الثلاث (العليا ، والوسطى ، والسفلى) بتلك
الوجوه الخمسة المبحوثة في الجانب النظري من الكتاب : مع معالجة
صيف الكتابية المقترنة بها .

(٩) راجع : روزنتال . علم التاريخ عند المسلمين ص ٣١٨ .

الفصل الثانى

ابن الفرات وكتابه « تاريخ الرسل والملوك »

ابن الفرات

(٧٣٥ - ٨٠٧ هـ / ٤ - ١٣٣٥ - ١٤٠٥ م)

دراسة حياة

ولد « ناصر الدين ، محمد (١) بن عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد » (٢) ، المعروف بابن الفرات ، المصري ، الحنفى سنة (٧٣٥ هـ / ٥ - ١٣٣٥ م) . فى مصر ، لعائلة ذات مكانة محترمة فى مجتمعها .

(١) ترجمته - هنا - مأخوذة عن : ابن حجر . انباء الغمر ج ٢ ص ٣١٢ تر ٢٣ ، ذيل الدرر الكامنة ق ١٨٧ ، المجمع المؤسس (مخط . مكتبة بلدية الاسكندرية) ق ١٧٠ ، ابن فهد المكي . لحظ الألاحظ ص ٢٤٢ ، ابن تغرى بردى . الدليل الشافى ج ٢ ص ٦٣٦ تر ٢١٨٧ ، المنهل الصافى ج ٢ ق ١١٩ ، السخاوى . الضوء اللامع ج ٨ ص ٥١ تر ٥٨ ، السيوطى . حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٥٦ تر ٢٢ ، ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب ج ٧ ص ٧٢ .

(٢) استفيد هذا النسب مما ذكره مؤرخنا (التاريخ ج ٨ ص ٢١٨ ، ج ٩ ص ٣٦٣) فى سياق نسب بعض أقاربه .

فجده لأبيه «نور الدين ، أبو الحسن ، علي» (٣) (ت ٧٤٢ هـ /
١٣٤٢ م) . كان مسند رحلة ، يحدث عن « القطب القسطلاني» (٤)
بقطعة من جامع « الترمذى » .

كما كان شقيقه « شمس الدين ، محمد بن الحسن » (ت
٦٩٥ هـ / ١٢٩٦ م) - عم أبيه (٥) - عالما بصناعة التوقيع ، يكتب
ويوقع عن قضاة القضاة في الديار المصرية .

وكان أبوه « عز الدين ، عبد الرحيم » (٦) (ت ٧٤١ هـ /
١٣٤١ م) . فقيها محدثا ، اشتغل بتدريس الفقه الحنفى في
« الحسامية » (٧) ، والاعادة في « المنصورية » (٨) ، وناب في الحكم
عن بعض قضاة القضاة في الديار المصرية ، وشهر بالاجادة والتمهر
في الشروط والفتيا .

(٢) له ترجمة في ابن رافع . الوفيات ج ١ ص ٤١٣ - ٤١٤ تر ٣١٣ ،
ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٠ تر ٩١ .
(٣) هو : « قطب الدين ، أبو بكر ، محمد بن أحمد بن علي بن محمد ابن
الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون ، التوريزى ، المصرى » (ت ٦٨٦ هـ /
١٢٨٧ م) .

راجع : ابن الفرات . التاريخ ج ٨ ص ٥٩ - ٦١ .

(٥) له ترجمة في : ابن الفرات . نفسه ج ٨ ص ٢١٨ .

(٦) له ترجمة في : ابن رافع . الوفيات ج ١ ص ٣٩١ تر ٢٨١ . القرشى
الجواهر المضية ج ٢ ص ٤١٤ تر ٨٠٣ ، المقرئى . السلوك ج ٢ ص ٥٥٣ ،
ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٥٨ تر ٢٣٩٧ ، ابن تغرى بردى . النجوم
الزاهرة ج ٩ ص ٢٢٦ .

(٧) هو التعريف بها ، راجع : ج ١ ص ٣٣٥ ، حاشية ٣ من هذا
البحث .

(٨) نسبة الى المنصور قلاوون ، راجع : المقرئى . الخط ج ٢ ص ٣٧٩
- ٣٨٠ .

وكان عمه « صدر الدين ، عبد الخالق » (٩) (ت ٧٩٤ هـ /
١٣٩٢ م) مدرسا للفقهاء المالكي في « المنكوتيرية » (١٠) ، ومعيدا في
« القبة المنصورية » (١١) ، واماما في ايوان المالكية بالمدرسة
الصالحية (١٢) ، وموقعا عن قاضي القضاة الشافعية في الديار
المصرية .

أما مؤرخنا « ناصر الدين ، محمد » ، فلا يعلم من أمره الا
أنه أسمع حدثا على « أبي الفرج بن عبد الهادي » (١٣) و « أبي
الفتوح الدلاصي » (١٤) و « أبي بكر بن الصناج » (١٥) و « أبي بكر بن

-
- (٩) له ترجمة في ابن الفرات . التاريخ ج ٩ ص ٣٢٠ - ٣٢١ .
(١٠) نسبة الى الأمير منكوتر الحسامي (ت ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م) ،
وكانت محلا لتدريس في فقه المالكية والحنفية .
راجع : المقرئ . الخطط ج ٢ ص ٣٨٧ - ٣٨٨ .
(١١) نسبة الى المنصور قلاوون - راجع : المقرئ . الخطط ج ٢ ص
٣٨٠ - ٣٨١ .
(١٢) نسبة الى الصالح نجم الدين أبوب ، وكانت محلا لتدريس الفقه
على المذاهب الأربعة .
راجع : المقرئ . الخطط ج ٢ ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .
(١٣) هو « عبد الرحيم بن محمد بن عبد الهادي » - راجع : ابن
تغري بردي . المنهاج الصافي ج ٣ ق ١١٩ .
(١٤) هو « نجم الدين ، أبو الحاسن ، يوسف بن محمد بن محمد بن
أبي الفتوح القرشي ، المعروف بالدلاصي » ، مؤذن جامع عمرو بن العاص ،
وكان السماع عليه في شوال سنة (٧٤١ هـ / ١٣٤١ م) راجع . ابن الفرات .
التاريخ ج ٩ ص ٣٩ ، ٣٦٣ .
(١٥) هو « أبو بكر بن يوسف بن عبد العظيم بن يوسف بن علي بن
داود بن حميد » (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م)
له ترجمة في : المصدر السابق ج ١ ص ٣٥١ تر ٢٣٦ ، ابن حجر . الدرر
الكامنة ج ١ ص ٤٦٩ تر ١٢٦٣ .

الرضى « (١٩) و « ابن قامتيت » (١٧) ، وأجيز من « المزى » (١٨) و « البندنجى » (١٩) و « الذهبى » (٢٠) ، كما سمع شيوخا على

(١٦) هو « أبو بكر بن محمد بن الرضى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار ، المقدسى ، الصالحى ، القطان » (ت ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م) .

له ترجمة فى : الذهبى . دول الاسلام ج ٢ ص ٢٤٤ ، ذيل العبر ص ٢٠٠ ، معجم الشيوخ ج ٢ ص ٤١٦ تر ١٠٢١ ، اليافعى . مرآة الجنان ج ٤ ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ، ابن رافع . الوفيات ج ١ ص ٢٠٧ - ٢٠٨ تر ٨٢ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٥٩ تر ١٢٣٤ .

(١٧) هو « أبو العباس ، أحمد بن محمد بن حسن اللواتى » . راجع : ابن الفرات . التاريخ ج ٩ ص ٣٦٣ .

(١٨) هو « جمال الدين ، أبو الحجاج ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف بن على ، المزى ، الدمشقى » (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١م)

له ترجمة فى : الذهبى . تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٤٩٨ - ١٥٠٠ ، معجم الشيوخ ج ٢ ص ٣٨٩ - ٣٩٠ تر ٩٨٥ ، المعجم المختص ص ٢٩٩ - ٣٠٠ تر ٣٨٠ ، الحسينى . ذيل العبر ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، الاسنوى . طبقات الشافعية ج ٢ ص ٢٦٤ - ٢٦٥ تر ١١٤٨ ، ابن رافع . الوفيات ج ١ ص ٣٩٥ - ٣٩٧ تر ٢٨٦ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٩١ - ١٩٢ ، ابن قاضى شعبة . طبقات الشافعية ج ٢ ص ٩٩ - ١٠١ تر ٦٣١ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٥٧ - ٤٦٠ تر ١٢٦١ ، النعيمى . الدارس ج ١ ص ٣٥ ، ابن الطولونى . القلائد الجوهريّة ج ٢ ص ٤٥١ - ٤٥٣ .

(١٩) هو « شمس الدين ، أبو الحسن ، على بن محمد بن ممدود بن جامع ، البغدادى ، الصوفى » (ت ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م) له ترجمة فى : الذهبى . دول الاسلام ج ٢ ص ٢٤٣ ، ذيل العبر ص ١٨٩ ، اليافعى . مرآة الجنان ج ٤ ص ٢٩٢ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٧٤ - ١٧٥ ، المقرئى . السلوك ج ٢ ص ٢٠٦ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص ١١٩ - ٣٢١ تر ٢٧٢ .

(٢٠) مر التعريف به ، راجع : ج ١ ص ٣٠٤ ، حاشية ١ من هذا البحث .

« البرهان الأميوطي » (٢١) ، وتتلذ على جماعة ، منهم : « الزين بن البسطامي » (٢٢) ، و « العز ابن جماعة » (٢٣) ، وحدث بصحيح مسلم ، والمتقى من مسند أبي العباس السراج ، والشفاء للقاضي عياض ، ودلائل النبوة للبيهقي . وقولي خطابة « المدرسة المعزية » (٢٤) ، و « عقود الأنكحة » ، وناب في الحكم عن بعض قضاة القضاة الحنفية ، في حانوتي « الملك » و « حدره البقرة » ، ظاهر القاهرة (٢٥) .

ويبدو أن هذه الوظائف ظلت بيده الى حين وفاته ليلة عيد الفطر سنة (٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م) . خالفا وراءه سيرة حسنة ، نعت فيها « بالخير ، والدين ، والسلامة » (٢٦) ، وتراثا ضخما ،

(٢١) هو « ابراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن ابراهيم بن يحيى بن أبي المجد ، اللخمي ، الأميوطي » (ت ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م) وكان السماع عليه لصحيح البحاري ، بقراءة « البرهان الحلاوي » في مجاورة مؤرخنا في الحرم المكي سنة (٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م) . راجع : ابن الفرات . التاريخ ج ٩ ص ٤٠ ، ٤٧٦ ، ابن حجر . انباء الغمر ج ١ ص ٣٥٦ تر ٣ ، الدر الكامنة ج ١ ص ٦٠ - ٦١ تر ١٦١ ، والمجمع المؤسس ق ١٧ .

(٢٢) راجع . ابن الفرات . التاريخ ج ٧ ص ٢٥٧ ، ج ٨ ص ٢٠٦ .
وراجع : ابن الفرات . المصدر السابق ج ٧ ص ٧٠ .

(٢٣) نفسه ج ٩ ص ٣٦٣ ، ابن حجر . انباء الغمر ج ٣ ص ٣١٣ ،
المجمع المؤسس ق ١٧٠ ١ .

(٢٤) نسبة الى « المعز أبيك التركماني » ، راجع : ابن دقماق .
الانتصار ج ٤ ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢٥) راجع : ابن الفرات . التاريخ ج ٩ ص ٤٧ ، ٢٩١ ، ٤٢١ ، ٤٧٦ .

(٢٦) راجع : ابن حجر . المجمع المؤسس ق ١٧٠ ، السخاوي . الضوء
اللامع ج ٨ ص ٥٩ .

جديرا بدراسته والانتفاع به ، وابنا (٢٧) عالما ، أجاز بالتدريس والفتيا من نحو ثلاثين ومائتي شيخ ، وناب في الحكم عن بعض قضاة القضاة الحنفية كأبيه ، وحدث ، فكان رحلة زمانه ، بحيث رام تلامذته أن يتفرغ لهم من أول النهار الى الزوال ، نظير « مال له وقع » يساعده به في نفقة عياله ، فامتنع قائلا : « لا آخذ على التحديث جعلاً ، » .

مجهوداته في الكتابة التاريخية

أشار « ابن حجر العسقلاني » الى أن مؤرخنا « كان لهجا بالتاريخ ، لا يزال مكبا على كتابته ، وقد جمع فيه كتابا كبيرا جدا ، بيض منه المئين الثلاثة الأخيرة في نحو عشرين مجلدا . . . وقد بيع مسودة لعدم اشتغال ولده بذلك ، وكان لا يحسن الاعراب ، فيقع بخطه اللحن الفاحش ، الا أن كتابه كثير الفائدة ، من حيث الفن الذي هو بصده ، وآخر ماكتبه من تاريخه الى آخر سنة ثلاث وثمانمائة » (٢٨) .

كما لم تنسب المصادر الى مؤرخنا مؤلفا غير هذا التاريخ ، الذي لم تسمه ، وان تفاوت تقديرها لعدد مجلداته بين ستيين (٢٩)

(٢٧) هو « عز الدين عبد الرحيم » (ت ٨٥١هـ / ١٤٤٨م . له ترجمة في : ابن تغري بردي . حوادث الدهور ج ١ ق ٦١ ، الدليل الشافى ج ١ ص ٤١٠ - ٤١١ ، المنهل المصافى ج ٢ ق ٢١٦ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٥٢٤ ، السخاوى . التبر المسبوك ص ١٩٢ - ١٩٤ ، السيوطى . نظم العقيان ص ١٢٧ - ١٢٨ تر ١١ .

(٢٨) ابن حجر . المجمع المؤسس ق ١٧٠ .

(٢٩) ابن حجر . نفسه ق ١٧٠ ١ .

ومائة (٣٠) ، بيض منها بين عشرين (٣١) وخمس وعشرين
مجلة (٣٢) .

وهكذا ، فإن مؤرخنا قد اقتصرته مجهوداته التأليفية - فيما
يرجع - على مؤلف واحد ، هو التاريخ ، الذي سوف يعرض له
بالدراسة في الصفحات التالية .

-
- (٣٠) ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ج ٣ ق ١١٩ ب ، السخاوى
الضوء اللامع ج ٨ ص ٥١ .
(٣١) ابن حجر ، المجمع المؤسس ق ١٧٠ ١ .
(٣٢) ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ج ٣ ق ١١٩ ب .

تاريخ الدول والملوك

عنوان الكتاب

حملت الأجزاء المتقدمة من الكتاب اسما ، هو : « الطريق الواضح السلوك الى معرفة تراجم الخلفاء والملوك » ، بينما حملت الأجزاء المتأخرة منه اسما آخر ، هو « تاريخ الدول والملوك » ، وليس هذان عنوانين لكتابين مختلفين ، وإنما هما تسميتان لمؤلف واحد ، اتخذ له « ابن الفرات » - مؤرخنا - فى الابتداء بعنواننا مسجوعا ، لا يكشف عن محتواه ، ثم عمد فى الأجزاء المتأخرة منه الى تعديل العنوان ليطابق المحتوى ، فاتى التعديل ملازما للأجزاء المتأخرة والمبيضة من الكتاب ، بينما أهمل تدوين هذا التعديل فى الأجزاء المتقدمة ، ولعله لو قدر لمؤرخنا أن يفرغ من تبييض مادة كتابه لعدل العنوان فى الأجزاء المتقدمة ، لتكون مطابقة وماورد فى أجزائه المتأخرة ، ان كان تبييض الكتاب يتم بطريقة زمنية عكسية على النحو المفهوم من قول ابن حجر العسقلانى :

« ... كان لهجا بالتاريخ ، فكتب تاريخا كبيرا جدا ، بيض بعضه ، فأكمل منه المائة الثامنة ، ثم المائة السابعة ، ثم السادسة ،

ثم هكذا صنع في نحو من عشرين مجلدا ، ثم شرع في الخامسة ،
وشرع في تبلييض المائة الرابعة ، فأدركته الوفاة ، وكتب شيئا يسيرا
من أول القرن التاسع « (٣٣) » .

محقواہ وتنظيمه :

تبعثرت مجلدات هذا التاريخ في كثير من مكتبات العالم ،
وفقدت بعض أوراقه ، كما اختلف ترتيبها في بعض الأجزاء ، بينما
لم يكشف بعد عن مظان وجود أكثر مجلداته ، ولذا فإن جبل معلوماتنا
عن هذا التاريخ قد انحصرت في الألمان بمحتوى ثمان عشرة مجلدا
منه - فقط - حفظت في مكتبات : باريس ، ولندن ، والفاتيكان ،
وفيينا ، وتركيا ، وتونس ، بيانها كالتالى :

- مخط . المتحف البريطانى ، وهو جزء من الكتاب ، يحمل
اسم : « الطريق الواضح المسلولوك الى معرفة تراجم الخلفاء
والملوك » ، ويشتمل على الفقرة من « شيت » الى « اسحاق » عليهما
السلام (٣٤) .

- مخط . مكتبة « حسين شلبى » - فى تركيا - ويشتمل على
أربعة أجزاء من الكتاب ، حملت اسم : « الطريق الواضح المسلولوك
الى معرفة تراجم الخلفاء والملوك » - كذلك - هى بحسب تجزئ
المؤلف : السادس ، والتاسع ، والعاشر ، والحادى عشر .

أما السادس ، فقد استفتح بمبحث فقهى فى « حكم الساحر
المسلم » ، لعله تمة لحديث سابق عن « موسى - عليه السلام -

(٣٣) ابن حجر . انباء الغمر ج ٢ ص ٣١٣ .

(٣٤) د . قسطنطين زريق . مقدمة تحقيق ج ٩ من تاريخ ابن الفرات .
بيروت ، الجامعة الأمريكية ، ١٩٣٦ ، ص « ك » .

أتبع بالحديث عن « يونس » و « شعيا » و « زكريا » و « مريم » و « ويحيى » و « عيسى » - عليهم السلام - ومن عاصرهم من ملوك « بني اسرائيل » ، وقد نوقشت من خلال ترجماتهم بعض القضايا الفقهية والتفسيرية ، كالتبطل وطلب الولد ، والاختلاف في معنى أخوة « مريم » لهارون ، الواردة في قوله تعالى ، « يا أخت هارون » (٢٨ : مريم) ، وجواز لحن شريف النسب ان كفر ، وموقف الفقهاء من التعريض الذى يقوم مقام التصريح .

وقد نص فى آخره على أن الجزء التالى (السابع) سوف يخص الحديث عن الرسل الثلاثة المذكورين فى سورة « يس » عند قوله تعالى :

« ان أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما ، فعززنا بثالث ، فقالوا : انا اليكم مرسلون » (١٤ : يس) .

وأما التاسع : فقد ترجم فيه لشعراء الجاهلية بترجمات قصيرة ، متعجلة المادة ، أتبعنا بالعديد من النماذج الشعرية الممثلة لأدبهم ، وقد اقترنت بما يفسر غريب لغتها .

بينما نصص العاشر للتعريف بأيام العرب - فى الجاهلية - والتأريخ لحياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة ، معرفا بأبويه ، وجده (عبد المطلب) ، مؤرخا لمولده ، مشيرا الى رضاعه ، متبعا ذلك بالتأريخ للحوادث المعاصرة - فيما بين المولد والبعث - من خلال العديد من الحوليات المتتابعة ، مع التنبيه الى الحوليات الخالية مما يستحق التدوين ، كنعو قوله :

« ٠٠٠ سنة احدى واثنين وثلاث وأربع وعشرين من مولده - عليه السلام - لم يحر ما يكتب ، فأسقطت ذلك » .

وقوله :

« ٠٠٠ وفى سنة سبع وثلاثين من مولده - عليه السلام -
لم يقع ما يكتب ، فأسقطت ذلك » .

وفى الجزء الحادى عشر ، يتابع « ابن الفرات » التأريخ
للسيرة النبوية ، ابتداء بالمبعث وانتهاء بغزوة « بنى النضير » - فى
اثناء السنة الثالثة للهجرة - من خلال ست عشرة حولية مقتابعة ،
أرخت بالمبعث فالهجرة يسبقها مبحث فى اختلاف العلماء فى تحديد
أول من أسلم من الرجال ، وقد أشير فى آخره الى أن الجزء التالى
(الثانى عشر) سوف يبدأ بغزوة « قرقرة الكدر » .

- مخط ٠ المكتبة الأهلية - فى باريس - ويشتمل على مجلدين
حملت احدهما عنوانا هو « الأول من تاريخ ابن الفرات » واستفتحت
بديباجة ، هى :

« ٠٠٠ يقول جامعه ، محمد بن عبد الرحيم بن على بن الحسن
ابن الفرات الحنفى ، عامله الله بلطفه الخفى :

باب فى ذكر الحوادث التى وقعت بعد وفاة سيدنا ونبينا محمد ،
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى القرن الأول .

أعلم أن ابتداء القرن الأول حين هاجر سيدنا ونبينا رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - من مكة المشرفة ، وآخره سلخ السنة
المكاملة لعدد مائة سنة من حين الهجرة النبوية ، وقد قدمت ماوقع
من الحوادث من ابتداء هذا القرن الى حين وفاة سيدنا ونبينا محمد
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسأذكر فى هذا الباب ماحدث
بعد وفاته - صلى الله عليه وسلم - الى آخر هذا القرن ، كل سنة
على حداثها ، خلا من توفى فى هذا القرن من أصحاب سيدنا ونبينا
محمد ، رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورضى عنهم ، من
التابعين ، فأنى أذكره فى باب على حدة ، بعد تمام ذكر ماحدث فى

هذا القرن ان شاء الله - تعالى - ليكون أسهل على من أراد النظر في ذلك ، وأسأل الله أن يوفقني لاتمامه ، ويعينني على اختتامه ، انه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير .

متبعاً هذه الديباجة بالتأريخ لخلافتي أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - من خلال عدد من الحوليات المتتابعة ، ابتداء بحولية إحدى عشرة للهجرة ، وانتهاء بحولية تسع عشرة للهجرة ، حيث انخرم هذا الجزء في أثنائها ، لتتضم اليه عدة أوراق من « الكامل في التاريخ » لابن الأثير .

أما المجلدة الثانية ، فقد حملت عنواناً ، هو : « الطريق الواضح المسلك الى معرفة تراجم الخلفاء والملوك » وقد خصصت لأخبار الملوك الساسانيين ، ونبه في آخرها الى ابتداء الجزء التالى بأخبار شعراء الجاهلية ، مما يشير الى أنها تمثل الجزء « الثامن » من الكتاب ، حسب تجزئ مؤلفه ، والى أنها تنتمى الى مجموعة « مكتبة حسين شلبى » السابق التعريف بها .

- مخط . دار الكتب الوطنية - فى تونس - ويقع فى مجلدة واحدة ، حملت اسم : « أسماء الصحابة » ، وتحتوى على عدد من الترجمات المنظمة على حروف المعجم ، ابتداء بإبراهيم بن محمد - صلى الله عليه وسلم - وانتهاء بترجمة حزم بن أبى كعب ، ضمن الباب المعقود لذكر من توفى من الأعيان فى القرن الأول للهجرة .

- مخط . فينا ، ويشتمل على تسعة مجلدات ، رقمت ترقيماً حديثاً ، بيانها كالتالى :

- المجلد الأول : ويحتوى على الحوليات من ٥٠١ : ٥٢١ هـ .
- المجلد الثانى : ويحتوى على الحوليات من ٥٢٢ : ٤٤٣ هـ .
- المجلد الثالث : ويحتوى على الحوليات من ٥٤٤ : ٥٦٢ هـ .

المجلد الرابع : ويحتوى على الحوليات من ٥٦٣ : ٥٩٩ هـ .

المجلد الخامس : ويحتوى على الحوليات من ٦٠٠ : ٦٢٤ هـ .

المجلد السادس : ويحتوى على الحوليات من ٦٦٠ : ٦٧١ هـ .

المجلد السابع : ويحتوى على الحوليات من ٦٧٢ : ٦٨٢ هـ .

المجلد الثامن : ويحتوى على الحوليات من ٦٨٣ : ٦٩٦ هـ .

المجلد التاسع : ويحتوى على الحوليات من ٧٨٩ : ٧٩٩ هـ .

وقد اختلف ترتيب أوراق بعض هذه المجلدات ، فضلا عن احداث العديد من الثلم ، مما أفقدها الكثير من المعلومات ، التى يمكن اجمالها على النحو التالى :

أولا : اختلال ترتيب الأوراق المحتوية على حوادث حولية
٥٢٩ هـ) من المجلد الثانى ، والمحتوية على حوادث حولية
(٥٤٥ هـ) من المجلد الثالث ، والمحتوية على وفيات حولية
(٥٩٩ هـ) من المجلد الرابع ، لتأتى بعد حولية (٦٠٠ هـ) فى أثناء
المجلد الخامس .

ثانيا : انخرام المجلد الثانى فى عدة مواضع ، أفقده حوادث
حوليتى (٥٣٢ هـ) و (٥٣٣ هـ) ، وحولية (٥٣٦ هـ) بأكملها ،
وأول وفيات حولية (٥٣٧ هـ) ، وآخر حوادث حولية (٥٤٠ هـ)
ووفياتها ، وأول حوادث حولية (٥٤١ هـ) ، ووفيات حولية
(٥٤٣ هـ) .

وانخرام المجلد الثالث ، مما أفقده حولية (٥٦١ هـ) كلها .

وانخرام المجلد الرابع ، مما أفقده سبع عشرة حولية ، حصرت
فيما بين سنتى ٥٦٨ و ٥٨٥ هـ ، وبالإضافة الى أول حوادث حولية
(٥٨٦ هـ) ، وحوادث حوليتى (٥٨٩ هـ) و (٥٩٠ هـ) ، ووفيات

حولية (٥٩١ هـ) ، وأواخر حولية (٥٩٢ هـ) ووفياتها ، وحولية (٥٩٣ هـ) ، وأواخر حوادث حولية (٥٩٤ هـ) .

كما توجد فجوة بين المجلدين الخامس والسادس ، وأخرى بين المجلدين الثامن والتاسع .

— مخط • الفاتيكاني : ويحتوى على مجلد واحد ، يشتمل على الحوليات من ٦٣٩ : ٦٥٩ هـ (٣٥) .

ولم يطبع من الكتاب — فيما أعلم — سوى المجلدات : الرابع والخامس بتحقيق د • « حسن محمد الشماع » ، والسادس والثامن والتاسع بتحقيق د • « قسطنطين زريق » منفردا ، أو بالاشتراك مع د • « نجلاء عز الدين » .

وتلك نشرات تحتاج الى اعادة نظر وتدقيق ، فقد وقع د • زريق وزميلته فى خطأ تمثل فى تحويل ما استدركه « ابن الفرات » فى الهامش مضيبا على عبارة المتن ، الى حواشى النص المحقق ، مما قطع سياق النص ، وأخل بعبارته ، فضلا عن اهمالهما رد النقول الواردة فى المتن الى مصادرها المعروفة ، أو تحقيقها بمصاحبتها ليامنا التصحيح أو التحريف . بينما أتت نشرة د • « الشماع » ، مثلا أسوء التحقيق ، لما اعترأها من تصحيف وتحريف ، فضلا عن التبييض للكثير مما انفلق عليه فهمه من عبارة النص ، والجهل بمصادر مادة ما كان بصدد تحقيقه ، ومن أمثلة ذلك قوله :

« • • • » ونى المحرم من هذه السنة (٥٦٣ هـ) تسلم الأمير محمد الدين ابن الداية نائب السلطة (= السلطنة) بحلب • • • »
وقوله :

(٣٥) د • قسطنطين زريق • مقدمة تحقيق مج ٩ من تاريخ ابن الفرات •
ص « ي » •

» ٠٠٠ سمع أبا سعيد بن حشيش (= خشيش) وثابت بن
بندار وابن النظر (= البطر) وغيرهم ،

وقوله :

» ٠٠٠ ولما مات أخرج هو وولده ، فدفنا عند رباط الزورى
(= الزوزنى) المقابل لجامع المنصور ،

وقوله :

» ٠٠٠ أخبرنى الأمير شهاب الدين أحمد ابن الأمير جمال
(= جمال الدين) بن عبد الله السهير (= الشهير) الأوحدى
(= بالأوحدى) ، وقال : زرت العرافة (= القرافة) ، عرافة
(= قرافة) مصر المحروسة ،

وقوله :

» ٠٠٠ تفقه على أسعد المهنى (= الميهنى) ، وبرع فى
المنظرة ،

وقوله :

» ٠٠٠ يكنى أبا جعفر السماك (= السباك) ،

وقوله :

» ٠٠٠ وولى القضاة (= القضاء) بعزبة (= بقرية) عبد الله
ابن واسط ،

وقوله :

» ٠٠٠ سمعت من أبى الخطاب نصر بن أحمد بن النظر
(= البطر) وأبى عبد الله الحسين بن أحمد بن طلحة الثعالبي
(= النعالى) ،

وقوله :

« ٠٠ ٠ وصلّى عليها الجامع (= بجامع) القصر » .

وقوله :

« أحمد بن عمر بن محمد بن لبيد (= لبيدة) الأزجى » .

وقوله :

« ٠٠٠ ٠ وسمع من أبى (= ابن) خيرون » .

وقوله :

« ٠٠٠ ٠ وكانت جماعة من نواة بغداد يفضّلونه على أبى
الفارسى (= أبى على الفارسى) » .

وقوله :

« ٠٠٠ ٠ وحدثنى عبد الحيانى (= عبد الله الجبائى) » .

وقوله :

« ٠٠٠ ٠ وبيّخداد من أبى العزيز كادس (= أبى العز ابن
كادش » .

وقوله :

« وكيف دين الفرض (= الرفض) مذهبه » .

وقوله :

« عبد الكريم بن هوزان القشنوى (= ابن هوازن القشيرى »

وقوله :

« ٠٠٠ ٠ وصنف كتابا فى المذاهب (= المذهب) مشهورا » .

وقوله :

« ... عبد الواحد بن الشيخ .. (= أصيل خراسان) أبي
الحسن علي ابن الامام علم الزهاد أبي عبد الله محمد بن حمويه بن
محمد بن حمويه ، الحموي النيسابوري الجويني .. (= الحموي
النيسابوري) » .

وقوله :

« محمد (= محمود) ابن أبي نصر محمد بن أحمد » .

وقوله :

« ... سمع الحديث من شيخ الشيوخ أبي البركات اسماعيل
ابن أبي سعيد (= سعد) النيسابوري وغيره » .

وقوله :

« عبد الله بن اسماعيل بن أبي بكر .. (= الكنانى الأغماتى)
الفيهي » .

وقوله :

« ... والفيهي أبي طاهر بن عون زيد (= بن عوف ،
وبدمشقي) بن (= من) الحافظ أبي القاسم ابن عساكر ، وبالقاهرة
من أبي عمسرو عثمان بن سعيد بن فرع ... (= ابن فرح
العبدري) » .

وقوله :

« الحسن بن نصر بن عقيل بن أحمد بن علي علي العبيدي
(= العبيدي) الواسطي » .

وقوله :

« ٠٠٠ وكتب بخطه ٠٠٠ (= وخرج التخاريج والأصول) ، » .

وقوله :

« ٠٠٠ وسمع من أبي (= ابن) الحصين ، وأبي عبد الله البارع ، وأبي بكر المرزوقي (= المزرفي) ، » .

وقوله :

« ٠٠٠ انتهى ما قاله ابن السباعي (= الساعى) ، » .

وقوله :

« ٠٠٠ وكان أحد ٠٠ (= الطواشية) المشار اليهم » .

وقوله :

« ٠٠٠ الشيخ المستند (= المسند) ، » .

وقوله :

« عبد الله بن خلف بن رافع بن ريش (= ريس) بن عبد الله المكي (= المسكى) الأصل ، » .

وقوله :

« ٠٠٠ وغنموا (= وكمنوا) قطعة وافرة منهم ، وسرحوا جماعة ٠٠ (= تراءوا) لأهل جبلة » .

وقوله :

« إبراهيم بن ثابت (= ثابت) بن عيسى ٠٠٠ (= الربيعي القناري) ، المصري » .

وقوله :

« ... لحظ (= يتري كخط) بين هذب جقونه » .

وقوله :

« ... وشيئا من الروض الأريض مرفقا (= مزخرفا) » .

وقوله :

« ... ينضو على أعلام جوشن (= جوشن) موهفا » .

وقوله :

« وحللت بألوادي المقدس ... (= قابسا) » .

وقوله :

« وبدا (= وغدا) غياث الدين مبتهجا بها » .

وقوله :

« والملك قد كادت (= قرت) قواعده بكم

... بشموسها (= مذ غرتم لشموسه) أن تكسفا

... أيكة أو ميدت (= ماغردت أيكية أو صيدت)

أيدى النسيم من الأوائك (= الأراكة) معطفا » .

وقوله :

« ... وكان ... (= ممولا) غير أنه كان عاميا تاجرا » .

وقوله :

« ... ونازل حصنا يعرف بقربوس (= بغرقوس) » .

وقوله :

« ٠٠٠ وحد المواضى بالـ ٠٠٠ (= وخد المواضى بالنجيع)
موردا » .

وقوله :

« ٠٠٠ ووكل الملك العادل فى التزويج شمس الدين ابن ٠٠
(= التنبى) » .

وقوله :

« ٠٠٠ مايحمله خمسون بغلا ومائة ٠٠٠ (= بختى) » .

وقوله :

«أبو جعفر ، وهو شرف الدين ابن البلدى (= أبو جعفر ، أحمد
ابن ابراهيم بن الزبير الثقفى الغرناطى) » .

وهكذا ، فان « ابن الفرات » قد أرخ فى تاريخه لفترة طويلة ،
امتدت من مبدأ الخليقة حتى آخر سنة (٨٠٣ هـ / ١٤٠١ م) ،
منوعا فى منهجه التنظيمى لمادته حسب الموضوعات المتناولة فيه ،
حيث أنشأ الكتاب على الترجمات ، مرتبا لها ترتيبا زمنيا ، ثم
عمد الى التأريخ حسب الموضوعات ، كما فى شعراء الجاهلية ،
وأيام العرب ، وملوك الساسانيين ، والسيرة ، ثم عمد الى التأريخ
الهجرى حسب القرون ، فاصلا فى الأجزاء المتقدمة بين الحوادث
والترجمات ، جامعا بينهما فى الأجزاء المتأخرة ، حيث أتت الحوادث
فى صدر الحوليات معنونة بقوله : « ذكر الحوادث فى سنة ٠٠٠ » ،
مردفا إياها بترجمات وفياتها ، وقد فصل بينهما بقوله : « ذكر من
توفى فى هذا العام ، وبعض أخبارهم » .

أما الحوادث المعاصرة ، فقد أتت فى حولياتها متتابعة حسب

تأريخ وقوعها ، وقد نظمت على الأيام فى الشهور الواقعة فيها ، وان
أتت بعض الحوادث مؤرخة بأوائل أو أواخر أو وسط الشهر الواقعة
فيه ، كندو قوله :

« ٠٠٠ وفى أوائل شهر ربيع الآخر ، الشهر المذكور ٠٠٠ »

« ٠٠٠ وفى أواخر شهر الله المحرم ، الشهر المذكور ٠٠٠ »

« ٠٠٠ وفى العشر الأوسط من شهر رمضان ٠٠٠ »

« ٠٠٠ وفى العشر الأخير من شهر رمضان ، الشهر
المذكور ٠٠٠ »

أو مؤرخة بالشهر ، أو السنة — فقط — وقد أثبتت تلو الحوادث
المؤرخة تأريخاً تاماً ، فى نهاية حوادث الشهر أو الحولية ، كندو
قوله :

« ٠٠٠ وفى ذى القعدة ، الشهر المذكور ٠٠٠ »

« ٠٠٠ وفى هذه السنة ٠٠٠ ، وفيها ٠٠٠ ، وفيها ٠٠٠ »

• وهى حوادث متنوعة ، أرخ فيها للنواحي السياسية (٣٦) •

(٣٦) كالعلاقة بين دولة المماليك والمغول والفرنج والروم وملوك أو
أمراء اليمن ودهلك وماردين وبسطام ، وقد اشير من خلالها الى ما كان بينهم
من حروب ، أو مكاتبات وسفارات (راجع . المصدر السابق ج ٩ ص ١١ —
١٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٤٩ ، ٢٢١ ،
٣٤٢ ، ٤١٦ ، ٤٢٨ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩) ، وصراع العربان مع السلطنة (نفسه
ج ٩ ص ٢٠ ، ٢٤ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ٤٤٠ — ٤٤١) ، وما يحدث فى مصر
والشام من انقلابات عسكرية ، تطيح ببعض السلاطين أو النواب (نفسه ج ٩
ص ٥١ — ١٦٩) ، حيث أحداث الفتنة « اليلغاوية المنطاشية » •

والادارية (٣٧) والاقتصادية (٣٨) والاجتماعية (٣٩) والدينية (٤٠) ، فضلا عن بعض الظواهر الكونية (٤١) ، ليس في مصر وحدها ، وانما في الشام والحجاز والعراق واليمن وبلاد المغرب العربي كذلك ، مما حقق للكتاب شمولين : نوعي ومكاني ، وان استأثرت حوادث « دولة المماليك » في مصر والشام بالحيز الكبير من حوايات الكتاب ، باعتبار أنها دولة الخلافة ، وباعتبار انتماء « ابن الفرات » اليها بالمولد والنسأة والوفاة .

والملاحظ أن مكان الصدارة في تلك الحوايات لم يفرد لنوع بعينه من الحوادث ، وانما كان ذلك قسمة مشتركة بين سائر أنواعها ،

(٢٧) من ذلك الاشارة الى العديد من الاستقرارات الوظيفية ، وما يلحقها من تعديلات ، وما يتبع ذلك (في الوظائف العسكرية) من تغاير على الاقطاعات ، مما لم تخل حولية منه .

(٣٨) كتبع أحوال النيل - زيادة ونقصانا - وما يرتبط به من ارتفاع أو انخفاض في الأسعار (نفسه ج ٩ ص ٨٠٧، ٢٥٠، ٢٧، ٢١، ٣٨٧، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٥، ٤٢٨، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٥٧) ، وما يكون من صك أو استحداث بعض العملات (نفسه ج ٩ ص ٦) ، وابطال بعض الكوس (نفسه ج ٩ ص ٨٥، ٨٦، والمصادر (نفسه ج ٩ ص ١٦ ، ٤٣١) .

(٣٩) كالتكافل الاجتماعي أثناء النكبات المصاحبة لانخفاض النيل أو تفشي الطواعين والكثير من الأمراض الحارة (نفسه ج ٩ ص ٢٧ - ٢٨ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤) ، والتأريخ لبعض الزيجات (نفسه ج ٩ ص ٣٤ ، ١٤٥) ، والضرب على أيدي المفسدين (نفسه ج ٩ ص ٩) .

(٤٠) كالتأريخ للحج (نفسه ج ٩ ص ٣٥١ ، ٤٤٢ ، ٤٧٠) ، والمولد النبوي (نفسه ج ٩ ص ٣٦٥) ، وما يكون فيهما كل عام من الاحتفال ، والمجالس المعقودة بالعلماء للتعجيل بأخذ الزكاة (نفسه ج ٩ ص ١٢ - ١٣) ، أو بحث أمور الأوقاف (نفسه ج ٩ ص ١٠ - ١١ ، ٢٠) .

(٤١) كالتأريخ لسقوط بعض الأمطار ، وما يصاحبها من رعد وبرق ، أو تزلق في الطرقات ، وظهور بعض النجوم والكواكب ، أو ما يحدث للقمر من خسوف (نفسه ج ٩ ص ٩ ، ١٠، ٢٥٤، ٤٤١، ٤٦٣) .

اللهم الا أن تكون للحوادث المفردة بالصدارة ، أو الطاغية بمادتها
على سائر العناصر غلبة على العصر ، لما لها من تأثير على الرأى
العام - آنذاك - كما هو الشأن فى احداث الفتنة « اليلبغساوية -
المنطاشية » ، المتوسطة لفترتى حكم « الظاهر برقوق » ، والمثبتة فى
حوليتى احدى واثنتين وتسعين وسبعمائة للهجرة .

وأما الترجمات ، فلم تقتصر على الوفيات ، وانما ترجم فيها
الى جانب ذلك للعديد ممن لم تقدر وفياتهم فى الحوليات المنتظمة
لترجماتهم ، على النحو المدرك من قول مؤرخنا :

« ... ومن لم أقف له على تاريخ وفاة ، ووقفت على تاريخ
مولد ، من أول هذا القرن الى سبعين سنة منه ذكرته فيه ، ومن
لم أقف له على تاريخ مولد أو وفاة وله ذكر فيه أو مع أحد من أهل
هذا القرن ذكرته فيه » .

وقوله وقد ترجم لابراهيم بن يحيى بن مقلد القوصى ضمن
وفيات حولية أربع وستمائة للهجرة ، وهى سنة سماعه على الفخر ،
أبى عبد الله محمد بن ابراهيم :

« ... ولم أقف له على تاريخ مولد ولا وفاة ، وانما ذكرته
هنا ، فانه مذكور فى هذه السنة ، فلذلك ذكرته فيها ، والله أعلم
بحاله » .

وقوله وقد ترجم لابراهيم بن نابت القناوى فى حولية اثنتين
وستمائة للهجرة ، وهى سنة سماعه على بعض الشيوخ :

« ... ولم أقف له على تاريخ مولد ولا وفاة ، ووجدت له ذكرا
فى هذه السنة - سنة اثنتين وستمائة - فلهذا ذكرته هنا ، والله
أعلم بحاله » .

وتلك الترجمات مرتبة فى حولياتها على حروف الهجاء فى الاسم العلم ، مع الفصل بين ترجمات الرجال وترجمات النساء ، حيث أتت الثانية تلو الأولى فى الترتيب ، وقد ترجم فيها للأعلام المشاهير فى الجنس ، أو فى الأصل ، أو فى الديانة ، أو فى المذهب ، أو فى المنصب أو الحرفة أو الوظيفة ، بمايجمع بين كل فئات الناس فى مجتمعه - غالبا - « من الملوك ، والأمراء ، والفرسان الشجعان ، والشعراء ، ورواة الحديث النبوى ، والقضاة ، والعلماء ، والفقهاء ، والنحاة ، ، والأدباء » ، وغيرهم .

وهى ترجمات يمكن تصنيف عناصرها - بعد دراستها مجتمعة - على النحو التالى :

(أ) الاسم :

ويتصدر الترجمة - دائما - وقد تسلسل - فى مواضع يسيرة - ليحتوى على اسم المترجم له ، فوالده ، فأجداده ، كنحو قوله :

« عثمان بن سليمان بن رسول بن أمير يوسف بن خليل بن فرج » .

أو يرد ثلاثيا ، وقد احتوى على اسم المترجم له ، فوالده ، فجدده ، كنحو قوله :

« يحيى ابن الشريف صدر الدين مرتضى ابن الشريف جلال الدين يحيى الحسينى » .

أو يرد ثنائيا ، ليحتوى على اسم المترجم له فأبيه ، وكثيرا ما يكون ، وعنه قوله :

« أحمد بن مطيع المصرى » ، و « اسماعيل ابن الشيخ يوسف الامبابى » .

أو يأتي أحاديا ، وقد اشتمل على اسم المترجم له دون سواه ،
ومنه قوله :

« أحمد القبانى » ، و « محمد الصفدى » .

وقد تأتى بعض الترجمات خلوا من هذا العنصر ، كنحو
قوله :

« والددة الملك الصالح حاجى ، ابن الملك الأشرف شعبان ابن
الملك الأعبد جمال الدين حسين ابن الملك الناصر محمد ابن الملك
المنصور قلاوون ، الألفى ، الصالحى ، النجمى ، زوجة الأمير صلاح
الدين محمد ابن الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير الكبير سيف
الدين تنكز الحسامى » .

(ب) اللقب :

ويرد مع ما يضاف إليه ، كنحو قوله : « . . . يلقب صارم
الدين » و ، « . . . ويلقب شهاب الدين » ، و « . . . ويلقب سيف
الدين » ، وليس : الصارم ، والشهاب ، والسيف .

(ج) الكنية :

وترد ، وقد اقتصر فيها على المترجم له فحسب ، كنحو قوله :
« . . . يكنى أبنا العباس » ، و « . . . يكنى أبنا على » ،
و « يكنى أبنا اليمى » .

(د) اسم الشهرة :

وتد يشتهر المترجم له بغير اسمه العلم ، وقد تكون شهرته
بـ « . . . » أو « يشتهر بـ . . . » أو « الشهير بـ . . . » ، كنحو
بغير لقبه أو كنيته ، ولذا ورد اسم الشهرة مسبوqa بقوله : « يعرف
قوله :

« ٠٠٠ ويعرف بزادة » .

« ٠٠٠ يشهر بابن ريشة » .

« ٠٠٠ الشهير بالمكينى » .

وه حريص فى مواضع متعددة على تفسيره ، كندو قوله :

« ٠٠٠ يعرف باللازوردى ، لأنه كان يصنع اللازورد » .

(ه) النسب :

وتكون بنسبة المترجم له الى الجنس ، كندو قوله : « ٠٠٠ التركى الأصل » ، أو الى المذهب ، كندو قوله : « المالكى » أو « الشافعى المذهب » ، أو « الحنبلى » .

وقد تتوالى النسب الى المواضع ، ليكون المقصود بالانتساب الى الأول تحديد الأصل الذى انحدر منه المترجم له ، وبالثانى الى الموضع الذى ولد فيه أو نشأ به ، أو توفى فيه ، كندو قوله :

« ٠٠٠ السكندرى الأصل ، المصرى الدار والوفاة » ، و « ٠٠٠ الزرعى الأصل ، المصرى المولد والدار والوفاة » .

(و) الألقاب العلمية والصفات الأصيلة :

كندو قوله :

— « ٠٠٠ رئيس المغنين فى وقته » .

— « ٠٠٠ رئيس المشببين فى زمانه » .

— « ٠٠٠ الفقيه المالكى ، قاضى القضاة المالكى بالديار المصرية » .

- ـ « ٠٠٠ الأديب الفاضل ، شاعر العصر ، الناظم النادر ، » .
- ـ « ٠٠٠ الكاتب الأديب ، الشاعر المشهور » .
- ـ « ٠٠٠ الفاضل العلامة ، أوجد الزمان ، فريد العصر والأوان ، كاتب السر الشريف بالشام المحروس » .
- ـ « ٠٠٠ المحدث ، المسند الصالح ، الزاهد ، الناسك الخاشع » .

(ز) المولد :

- ويرد مؤرخاً بالشهر فالسنة ، أو بالسنة فقط ، أو على وجه التقريب ، كنحو قوله :
- « ٠٠٠ (ولد) فى شوال سنة ثلاث عشرة وسبعمائة » .
- « ٠٠٠ مولده كان بدرب الأتراك بقرب الجامع الأزهر داخل القاهرة ، فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة » .
- « ٠٠٠ ولد - تقريبا - سنة عشر وسبعمائة ، رأيت ذلك بخطه » .
- « ٠٠٠ ولد - فيما كتب بخطه - فى سنة سبع عشرة ، أو ثمان عشرة ، أو تسع عشرة وسبعمائة ، على الشك منه » .

(ح) تقدير عمر المترجم له :

- وغالبا ما يجتهد فى تقدير عمر المترجم له حال الوفاة ، وان ورد هذا التقدير لديه تقديريا فى أحوال كثيرة ، وعنه قوله :
- « ٠٠٠ وله خمس وسبعون سنة » .
- « ٠٠ وتقدير عمره خمس وعشرون سنة » .

- « ٠٠٠ قارب المائة سنة أو جاوزها »
- « ٠٠٠ وقد ناهز الخمسين سنة »
- « ٠٠٠ كانت وفاته عن نيف وستين سنة »

(ط) الوفاة :

وهى مؤرخة لديه فى مواضع كثيرة على سبيل الاكتمال ،
باليوم من الأسبوع ، ومن الشهر ، فالشهر ، فالسنة ، كنحو قوله :
« ٠٠٠ توفى بالقاهرة ، قبل طلوع الشمس من يوم الجمعة ،
سابع عشر شعبان المكرم سنة احدى وتسعين وسبعمائة ، هذه
السنة »

أو مؤرخة بأوائل ، أو منتصف ، أو آخر ، أو سلخ الشهر ،
كنحو قوله :

« ٠٠٠ توفى فى أوائل شهر صفر سنة احدى وتسعين
وسبعمائة »

« ٠٠٠ توفى فى العشر الأوسط من المحرم سنة احدى وتسعين
وسبعمائة »

« ٠٠٠ توفى فى العشر الأخير من شهر رجب الفرد سنة ست
وتسعين وسبعمائة »

« ٠٠٠ توفى فى أواخر شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين
وسبعمائة »

وقد تأتى الوفاة مؤرخة بالشهر أو السنة فقط ، كنحو قوله :

« ٠٠٠ توفى فى المحرم سنة احدى وتسعين وسبعمائة »

« ٠٠ توفى فى سنة تسع وتسعين وسبعمائة »

وهو معنى — فى مواضع كثيرة — بذكر موضع الوفاة ، كندو قوله :

« ... توفى بداره بحارة الكافورى بالخرنقش ، داخل القاهرة المحروسة » .

« ... توفى بمنزل سكنه بالدار المعروفة ببهادر المنجكى ، بقرب المشهد الحسينى ، داخل القاهرة » .

« ... قتل بجب السقا وخان شيخو ، مابين معرة النعمان وكفر طاب » .

وكثيرا مايعنى بتحديد كيفية الوفاة ، من موت طبيعى ، أو قتل ، والعلة المتسببة عنها الوفاة ، كنحو قوله :

« ... توفى قتيلا موسطا بحلب » .

« ... توفى خنقا باذن السلطان » .

« ... توفى قتيلا ، مسمرا ، موسطا فى المحائر ، بظاهر القاهرة المحروسة » .

« ... توفى بالطاعون » .

« ... ضرب ضربا عظيما مرة بعد أخرى الى أن توفى بخزانة شمائل » .

« ... توفى تحت العقوبة والضرب » .

« ... توفى من جراحاته » .

وكذا حال المترجم له عند موته من العمل والاشتغال ، أو التبطيل والعزل ، كنحو قوله :

« ... تعطل فى آخر عمره » .

« ٠٠٠ أقلم في بيته بالقاهرة المحروسة بطالا » .

« ٠٠٠ انقطع في آخر عمره بدمشق ، وترك الإقطاع والوظائف وبقى يتردد إلى الجامع الأموي أوقات الصلوات ، ويحضر الخانقاه السميحية ، ويواظب تلاوة القرآن العزيز » .

« ٠٠٠ توفي وهو متولى قضاء الحنفية بالديار المصرية » .

أو من حيث الأمانة والتعذيب ، كنحو قوله :

« ٠٠٠ وأقلم في المصادرة والعقوبة قريب السسنة ، وتوفي بخرانة شمائل » .

أو من حيث التمريض والضعف ، أو الموت الفجأة ، كنحو قوله :

« ٠٠٠ حصل له في آخر عمره رعدة عظيمة ، انقطع بها مدة » .

« ٠٠٠ حصل له مرض شديداً إلى أن احتل عقله والحكمة سرساب » .

« ٠٠٠ حصل له استسقاء ومرض اليرقان وطلال به » .

« ٠٠٠ خرج متصيذاً ، فحصل له ضعف ، فأعيد إلى منزله محمولا في محفة ، وأشاع بعض الناس أنه سقى ، وأشاع بعضهم أنه حصل له رجفة من السلطان . . توفي من ضعفه هذا » .

« ٠٠٠ مرض يوماً واحداً وتوفي » .

« ٠٠٠ كانت وفاته فجأة » .

« ٠٠٠ توفي فجأة بعد أن صلى عشاء الأخوة » .

أو ما يكون عرض له في حياته من آفة ، كنحو قوله :

« ٠٠٠ كف في آخر عمره » .

مع الاعتناء بذكر ما يتبع الوفاة من جنازة ودفن ، مفصحا عن موضع الدفن ، ووقع الوفاة على أنفس الناس فى وقته ، كندو قوله :

« ٠٠٠ توفى يوم الجمعة ، خامس جمادى الأولى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ، هذه السنة ، وصلى عليه بالجامع الحاكى ، ودفن بزاويته التى بدرب الزراق بالحكر ، بالقرب من سوقة الريش ، بظاهر القاهرة المحروسة » .

« ٠٠٠ خرجت جنازته فكانت حفلة ، مشى فيها السلطان الملك الظاهر برقوق فمن دونه من أعيان الأمراء بالديار المصرية الى تربة ابن عم السلطان بالقرب من قبة النصر ، ودفن بها ، وأمر السلطان أن تبنى له تربة بالشارع خارج بابى زويلة أحد أبواب القاهرة المحروسة ، فانشئت له هناك تربة نقل اليها » .

« ٠٠٠ أخرجت جنازته ، وحضرها جماعة من جيران منزله ، من سوقة وغيرهم ، ولم يحضرها أحد من الأعيان ، فسبحان من بيده ملكوت كل شىء ويعز وينزل ، ويحيى ويميت ، وهو على كل شىء قدير » .

« ٠٠٠٠ وكانت جنازته حفلة بالفقراء وغيرهم ، وفى هذا اليوم عمل الملك الظاهر برقوق مولده ، وتأسف من حضره على سليمان المذكور وما فاتته ، لأنه كان رسمه فى مثل هذا المولد ألف درهم » .

وما يتبع الوفاة من التصرف فى تركته أو وظيفته ، كندو قوله :

« ٠٠٠ وأهينت زوجته بعد وفاته ، من جهة المواريت وغرامة و « نالها » اخراق كثير » .

« ٠٠٠ وتولى عوضا عنه باستيفاء أوقاف السيدة نفيسة القاضى علم الدين ابن وجيه الطلبة » .

(ي) النشأة والتكوين :

وتختلف المادة المشكلة لهذا العنصر تبعا للاختلاف في نوعية المترجم لهم ، ومن ذلك قوله مترجما بزلار الناصري :

« ٠٠٠ أصله مملوك الملك الناصر حسن ، ابن الملك المنصور قلاوون الصالحى . كان الناصر حسن رباه صغيرا مع أولاده ، ثم تنقل فى الاقطاعات والامريات الى أن صار نائب السلطنة بدمشق المحروسة » .

وقوله مترجما سودون المظفرى :

« ٠٠٠ نشأ بحلب عند مخدومه الأمير قطربغا المظفرى - أحد مقدمى الألوفا بها - وتنقلت به الأحوال الى أن تولى نيابة السلطنة بحماه ، ثم ولى نيابة حلب » .

(ك) منزلة المترجم له ومكانته :

ويأتى هذا العنصر فى عبارات ناعنة للمترجم له ، كنهو قوله :

« ٠٠٠ صار فى مذهبه مفتى الفرقة ، أوجد العلماء ، علامة العصر ، نادرة الوقت ، نسيج وحده ، ووحيد عصره فى فنون عديدة ، منها : الحديث والنحو واللغة والأصول والميقات ، وغير ذلك من العلوم » .

« ٠٠٠ كان أميرا محترما ، مكرما ، ذا وجاهة بين أرباب الدولة » .

« ٠٠٠ لم يزل أميرا كبيرا ، محترما عند الناس وعند السلطان الى أن مات » .

« ٠٠٠ كان رئيس القراء التلايين ، وشيخ الوعاظ المتكلمين ، وكان قد انتهت اليه رئاسة أهل جوق المقرئين ، وكان لو اجتمع جميع الجوق لم يقرأ أحد قبله ، ولم يتقدم عليه أحد ، وكان معظما عند أرباب الدولة من الأمراء وغيرهم . . . ولم يزل مستمرا على رياسته الى أن توفى » .

« ٠٠٠ كان من العلماء الأكابر ، وانتهت اليه رئاسة السادة الشافعية ببغداد ، ولم يكن - يومئذ - ببغداد من يماثله ولا يضاهيه في علومه ورياسته وعلو مرتبته » .

« ٠٠٠ وبموته انقطعت الولاية بكتابة السر من بيتهم ، بعد أن أقامت فيهم تسعة وستين سنة » .

« ٠٠٠ كان وجيها عند السلطان الظاهر برقوق ، « وبعد أكابر أمراء الأعيان » .

« ٠٠٠ له وجاهة عند الناس » .

(ل) وظائفه :

كنحو قوله :

« ٠٠٠ تولى تدريس الحنفية بالمدرسة الأشرفية التي بالقرب من المشهد التقيسى ، وتولى مشيخة خانقاة الركنى ببيرس داخل القاهرة المحروسة ، وتولى بعد وفاة أكمل الدين مشيخة خانقاة الشيخونية ، ودرس الحنفية بجامع الأمير سيف الدين شيخون العمرى » .

« ٠٠٠ تولى نظر ديوان الجيوش المنصورة بالديار المصرية ، وقضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية ، ولم تجمع هاتان الوظيفتان مع غيره فيمن تقدم فيما نعلمه » .

(م - مهمات :

كنحو قوله :

« ... كان عاملا ، عارفا فيما يتعلق بالجندية والفروسية ولعب الرمح ورمى النشاب والضرب بالسيف ولعب الكرة والصيد بالجوارح من الطير ، وغير ذلك من مهمات الامرية » .

« ... كان عارفا بصناعة الكتابة ، ويكتب خطا حسنا » .

« ... ويكتب مليحا » .

« ... ويعرف علم الحساب والكتابة الجيدة » .

(ن - اعماله :

ويقتصر في هذا العنصر على اهم الاعمال ، وهي مختلفة ، تبعا للتباين في الوظائف ، ونوعية المترجمين ، ومن امثلة ذلك قوله :

« ... احسن الى الناس في مباشرته (وكالة الوريثة) ، ورفع عنهم كلف الثبوت .. ووجد الناس بذلك رفقا عظيم ، وشكروه في مباشرته » .

« ... كان له نظم ونثر » .

« ... حصل مال جزيل ، لأنه كان اعزب ، فاشترى ريعا وأوقفه ، وشرط ريعه لمدرسين شتافعى وعشوة طلاب يحضرون في وقت الدرس بجامعة الأزهر ، داخل القاهرة » .

« ... كان مجتهدا في فعل الخير ، وعمارة المساجد والسبل ، وجهات المعروف ، وله آثار حسنة بالديار المصرية والبلاد الشامية » .

(س) - السجایا والصفات :

وفى هذا العنصر يعنى مؤرخنا بذكر ما يتصل بالترجم له من هيئة ، أو أخلاق ونعوت ، ومقدرة عقلية ، ودين ، كأن يكون حسن الوجه ، لطيف الذات ، جميل الهيئة ، محبوب الصورة ، طوالا من الناس ، أو أن يكون مقداما ، شجاعا ، ذا همة عالية ، ومروءة ، وكرم ، أو متقشفا ، أو أن يكون ذكيا ، وافر العقل ، فطنا ، متيقظا سيوسا ، جيد التركيب ، ملسانا ، أو ذا سكون وتواضع وانقطاع عن الناس ، أو خفيف الحركات ، أو دمث الأخلاق ، محتشما ، خيرا ، دينيا ، يحب العلم وأهله ، طاهر اللسان والفرج ، أو ذا أخلاق شرسة ، « مولعا بسلب أعراض الناس ، مستهزئا بأقوال الأكابر من العلماء والصلحاء ، مواظبا على النفاق والاساءة وإخلاف الوعد ، ومعاداة الأحياء بسوء ظنه وتخيله الفاسد » ، « كثير الخباط واللباط ، والفن ، وسوء الرأى والتدبير فى كل وقت » أو حادا عند الغيظ يبسا فى المعاملات .

(ع) - علاقته بمؤرخنا :

كما لم يغفل « ابن الفرات » اثبات علاقته بالترجم لهم ديه ، كقوله :

« ... كان لى به أنس عظيم » .

وقوله :

« ... كان رفيقا بحانوت الحنفية بحدرة البقر » .

النسب والتعبير

« ابن الفرات » عامى العبارة ، كثير الأخطاء النحوية واللفوية ، لايعنى بتنميق اللفظ ، أو حبك العبارة ، وهو مع ذلك قريب المأخذ ، واضح اللفظ ، مفهوم القول .

ومن تلك الأخطاء الشائعة في مؤلفه قوله :

« ٠٠٠ وليولي (= يول) أحدا من النواب » (٤٢) .

« ٠٠٠ وهم خمس (= خمسة) نواب » (٤٣) .

« ٠٠٠ وصل الخواتين الذين حضروا (= اللاتي حضرن)
ة القان أحمد » (٤٤) .

« ٠٠٠ رأت امرأة النبي - صلى الله عليه وسلم - وكانت
ما يوجعا وجعا شديدا ، حتى أن الكهالين حاروا فيها ، فلما
النبي - صلى الله عليه وسلم - شكت إليه ما بها ، فقال لها :
، إلى المكان الفلاني ، وأشار إلى مكان بسفح الجبل المقطم ،
من الحصص الذي هناك واعملهم كحل وتكحلي تبرأى ،
هت إلى المكان الذي أشار إليه النبي - صلى الله عليه وسلم -
ت من ذلك الحصص وعملته كحل ، واكتحلت به ، فبرأت ، وحصل
شفاء ، فعرف الناس ، فاهرعوا إلى ذلك المكان ، وأخذوا من
لحصصا واكتحلوا به فنفعهم » (٤٥) .

كما أنه كثير التضمين للأمثال الشائعة ، ومن ذلك قوله :

« ٠٠٠ ورحل الفرنج عائدين إلى بلادهم بخفي حنين » (٤٦) .
وقوله :

« ٠٠٠ ما أحسن قول القائل : معادة العاقل ولا مصاحبة
بل » (٤٧) .

(٤٢) المصدر السابق ج ٩ ص ٢٢١ .

(٤٣) نفسه ج ٩ ص ٢٩٨ .

(٤٤) نفسه ج ٩ ص ٣٦٨ .

(٤٥) نفسه ج ٩ ص ٣٨٦ - ٣٨٧ .

(٤٦) نفسه ج ١/٤ ص ٢٨ .

(٤٧) نفسه ج ٩ ص ١٤٧ .

وقوله :

« ... فنكان جركس الخليلي كما قيل : بأحث عن ظلقه
بظفره » (٤٨) •

وقوله :

« ... لكن المقدورات لا ينفع معها الحذر » (٤٩) •

وقوله :

« ... فنكان كما قيل : من لم يمت بالسيف مات بغيره » (٥٠) •

-
- (٤٨) المصدر السابق ج ٩ ص ٦١
 - (٤٩) نفسه ج ٥ ص ١١٧
 - (٥٠) نفسه ج ٩ ص ٦٦

المصادر مادة الكتاب

أولاً : أنواع المصادر :

اعتمد « ابن الفرات » فى بناء مادة كتابه على أربعة أنواع من المصادر ، وهى :

(١) المشاهدة والمشاركة :

ويمثلها قوله مترجماً « منهاج الدين العجمي » :

« ... ومن حين رأيناه يحضر جامع (ابن) طولون لم نسمعه يدرس فيه شيئاً من الفقه ، وإنما كان بعض الجماعة يقرأ عليه فى كراس بعض شىء من أصول الفقه ، ويستحسن هو ما يقرأه القارئ ، ويتكلم فى بعض الأحيان بكلام لا يفهمه » .

وقوله مشيراً الى « الشرف الدمامنى » ناظر الجيش :

« ... وفى يوم الثلاثاء ، ثامنه (ربيع الآخر سنة ٧٩٩ هـ) شاهدت القاضى شرف الدين الدمامنى ناظر الجيوش المنصورة بالدير ، للصورية راكب فى عربكبه وهو لا يسن فوقانية خضراء ، صواف وعذبتة مسبلة عليها ، فعجبت من ذلك ، لأننا لم نعهد فى زماننا هذا

نشأنا أن أحدا من قضاة القضاة ولا من أعيان المتعممين من كتاب السر ونظار الجيوش والوزراء وغيرهم إذا ركبوا يلبسوا صوف ملون من فواقين أو فراجى ، أو نما يلبسوا الصوف الأبيض خاصة ، ثم شاع أن السلطان قال لكاتب السر : لأى شىء أنتم ماتطلعوا قدامى الا بهذا القماش الأبيض خاصة ؟ فقال : بمرسوم مولانا السلطان يلبسوا الملوك . فقال : نعم . وشاع أن السلطان أمر المتعممين أن يلبسوا الصوف الملوك ، فسألت من قاضى القضاة برهان الدين ابراهيم ابن قاضى القضاة ناصر الدين ناصر الله الحنبلى عن ذلك ، فأخبرنى أن السلطان أمر بذلك ، فقلت له : وقضاة القضاة ؟ فقال : نعم ، فقلت : أمركم بذلك مشافهة ؟ فقال : لا الا على لسان كاتب السر » .

وهكذا ، فإن مؤرخنا لم يكتف باثبات مشاهدته وما صاحبها من التعجب ، وإنما قرن ذلك بما يفسرها استمدادا من الرواية الشفهية كذلك .

(ب) المشافهة :

وتكون عن رفاقه أو شيوخه ، ويمثلها قوله مترجما « الزمخشري » :

« ... وسمعت جماعة من مشايخى يقولون : انه تاب عن مذهب الاعتزال قبل وفاته ، والله أعلم أى ذلك كان » .

وقوله مترجما « الشهاب القرشى » :

« ... وسمعت برهان الدين ابراهيم ابن نور الدين على ابن الحلوانى الواعظ يقول : القرشى بفتح القاف ، منسوب الى قرشة ، قرية من قرى الشام ، والله أعلم » .

وقوله وقد عمر « جسر الشريعة » بطريق الشام :

« ٠٠٠ أخبر القاضي أوجد الدين عبد الواحد ابن القاضي تاج الدين اسماعيل ابن زكى الدين ياسين الحنفى ، كاتب السر الشريف بالديار المصرية بأن طوله مائة وعشرون ذراعا فى عرض عشرين ذراعا » .

وقوله فى حوادث شعبان من حولية (٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م) :

« ٠٠٠ وأخبرنى العبدل تاج الدين محمد الزرعى ، الفقيه الحنبلى ، وكان ساكن بربع الخطيرى ببولاق أنه رأى يلغا الناصرى دخل جامع الخطيرى وهو متكئ على اثنين ، وصلى يلغا المذكور - الصبح بجامع الخطيرى مسفرا فى هذا اليوم ، وتسلمه رئيس الحراقة مقيدا ليوصله الى ثغر اسكندرية » .

وقوله فى حوادث حولية أربع وتسعين وسبعمائة للهجرة :

« ٠٠٠ وسمعت ابن أبى الرداد القياس يقول : انتهت الزيادة فى هذه السنة الى عشرين أصبع من عشرين ذراع ، ثم تناقص على جارى العادة » .

وقد تكون المشافهة عن أقارب المترجم له ، ومنها قوله مترجما « ابن الزمردى » :

« ٠٠٠ توفى كما أخبرنى أخوه السيد الشريف ناصر الدين محمد - أحد رجال الحلقة المنصورة - فى يوم الثلاثاء ، ثامن جمادى الأولى سنة تسعين ، هذه السنة » .

(ج) الوثائق والخطوط :

ولعل أهم ما يميز تاريخ « ابن الفرات » استمداده الكثير من المعلومات التاريخية من هذا النوع من المصادر ، وحرصه على اثبات

العديد من النصوص الواردة فيها، سواء كان الاطلاع عليها في صورتها الأصلية أم، نقلاً عن المصادر المتقدمة الموردة لنصوصها ، ومن ذلك قوله :

« ... وفي يوم الاثنين ، سابع شوال - الشهر المذكور - رأيت كتاب من بعض المجريين إلى الشام ، بعثه إلى أهله ، فقرأته ، فكان من جملة ما ذكر فيه ... »

وقوله :

« ... وأريت بخط القاضي القضاة موفق الدين أحمد ابن قاضي القضاة تاجر الدين نصر الله الحنبلي ، حين وصل كتاب والده إليه من عمرة يخبره فيه بوصولهم إليها ، ومضمون خط القاضي موفق الدين ... »

وقوله :

« ... والذي سمعته من بعض الإخوان قال : في يوم الاثنين ، سادس صفر المذكور ، وصل إلى الأبواب الشريفة بقلعة الجبل بريد من جهة الأمير علاء الدين على الطشلاقي متولى قطيا ، وصحبته كقلب عليه ، خط الملك الظاهر يرقوق ، كان أرسله إلى الأمير علاء الدين - المذكور - وأوصاه بحفظ الطرقات ، وأن يقبض على كل من مر ممن انهزم من العساكر المصرية ، ومضمون الكتاب بعد البسملة الشريفة والعلامة السلطانية ماضيته ... »

وقوله :

« ... وفي يوم الخميس ، تاسع صفر المذكور ، بلغني أن كتاب من جهة الأمير سيف الدين طوغان - آستادار العالية - وصل إلى بعض أصحابه ، فسألته عنه ، فأخبره إلى ، ونقلت منه ما صيغته ... »

وقوله :

« ٠٠٠ وفى جمادى الأولى المذكور ، وصل كتاب السيد الشريف صاحب الينبع ، فيه تهنئة السلطان بعوده الى مملكته ، ومن مضمونه ٠٠٠ »

وقوله :

« ٠٠٠ وفى العشر الأخير من شهر رمضان المذكور ، رأيت كتاب مطالعة من متولى البقاعين ، ناصر الدين محمد ، الى ملك الأمراء مضمونه ٠٠٠ »

وقوله :

« ٠٠٠ وأشيع أن عمر وأبو بكر ولدى الأمير نعيم - أمير العرب - وجماعة من عربه فارقوه لما طال عليهم الهجاج فى البلاد ، ودخلوا فى طاعة السلطان الظاهر ، وأن ولدى نعيم حضراً الى نائب السلطنة بدمشق المحروسة وسألاه أن يشفع فيهما عند السلطان بأن يرضى عنهم ، وأن الأمير سيف الدين تنم - نائب السلطنة بدمشق - أرسل صحبة الأمير عامرين طاهر ، ابن أخى نعيم كتب الى السلطان تتضمن الشفاعة فى ولدى نعيم ومن معهما ، وأرسل نائب الشام ولدى نعيم كتب الى الأمراء بالديار المصرية ، يسألوهم الشفاعة عند السلطان بأن يرضى عنهم . »

فأما المطالعات المختصة بالسلطان فأنى لم أقف عليها ، وأما كتاب نائب الشام الأمير سيف الدين بتخان حاجب الحجاب بالديار المصرية ، فأنى وقفت عليه ، ومن مضمونه ٠٠٠ وأما كتاب أولاد نعيم الى الأمير بتخان حاجب الحجاب ، فأنى وقفت عليه . - أيضاً - ومن مضمونه ٠٠ »

وقوله مترجيماً أيا الفتح الكنائى :

« ٠٠٠ ولد فيما كتب بخطه فى سنة سبع عشرة ، أو ثمان عشرة ، أو تسع عشرة وسبعمائة ، على الشك منه » .

وقوله مترجما ابن الطرز :

« ٠٠٠ ولد - تقريبا - سنة عشر وسبعمائة ، رأيت ذلك بخطه » .

(د) المؤلفات السابقة :

وتعد البنية الأساسية ، والمورد الرئيسى لمادة الأجزاء غير المعاصرة من الكتاب ، فضلا عن مشاركتها فى بناء مادة القسم المعاصر ، ويمكن اجمالها على النحو التالى :

- الكشف للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٤ م) .
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض (ت ٥٤٤ هـ - ١١٤٩ م) .
- الأنساب للسمعاني (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) .
- تاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م) .
- المنتظم لابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) .
- معادن الذهب فى تاريخ الخلفاء والملوك وذوى الرقب لابن أبى طى (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) .
- تاريخ ذى الرياستين لابن دحية (ت ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م) .
- التاريخ المظفرى لابن أبى الدم الحموى (ت ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) .
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٣ م) .
- تاريخ الجمال اليفمورى (ت ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م) .

- محاسن الفنون وحدائق العيون لابن الساعى (ت ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) .
- وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) .
- مفرج الكروب لابن واصل (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) .
- صلة الصلة لابن الزبير الغرناطى (ت ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) .
- ذخيرة الكاتب لابن منظور (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) .
- زبدة الفكرة لببيرس الدوادار (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) .
- ذيل مرآة الزمان للمقطب اليونينى (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) .
- المختصر فى أخبار البشر لأبى الفداء (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) .
- حوادث الزمان وانبيائه ووفيات الأكابر الأعيان من ابنائه للشمس الجزرى (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٩ م) .
- الطالع السعيد للكمال الأدفوى (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) .
- مشتبه النسبة للشمس الذهبى (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) .
- الوافى بالوفيات للصفدى (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) .
- المختصر الكبير فى سيرة البشير النذير للعز ابن جماعة (ت ٧٦٧ هـ / ١٣٦٦ م) .
- الاحاطة فى أخبار غرناطة لابن الخطيب (ت ٧٦٦ هـ / ١٣٧٤ م) .
- درة الأسلاك فى دولة الأتراك لابن جبيب (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) .
- طبقات الفقهاء لابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ / ١٤٠١ م) .

- الدر المنضد في وفيات أئمة محمد ، ونزهة الأنام في تاريخ الاسلام لابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧ م) .
 - خطط الأوحدي (ت ٨١١ هـ / ١٤٠٨ م) .
 - نظم السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك للبيسطامي (ت ٨٤٣ هـ / ٣٩ - ١٤٤٠ م) .
- فضلا عن :

- التاريخ المنصوري لابن نظيف الحموي .
- جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام لأبي الفنائم .
- الجوهر المنتخب في اخبار اهل العلم والادب ، لأبي الحسن علي ابن أبي العلاء بن غالب البليدي .
- نزهة المقلتين في تاريخ الدولتين (الفاطمية والأيوبية) لأبي محمد ، عبد السلام بن الحسن الفهرى ، القيسرائي .
- وصاحب المعجم ، الذي لم يشأ « ابن الفرات » أن يفصح عن تمام تسميته ، أو يشير إلى مؤلفه باسمه .

ثانيا : الاسناد الى المصادر :

لم تكن طريق « ابن الفرات » في الاسناد الى المصادر واحدة واتما كانت مختلفة متنوعة ، يمكن اجمالها في الآتي :

(١) الاسناد الى المصدر القريب المنقول لديه عنه :

ويمثله قوله مترجما « الشهاب القناري » :

« ٠٠٠ قال الشيخ جمال الدين الانقوي ما صيغته : رأيت سماع ابراهيم سنة اثنتين وستمئة ، وقد كتب له الخطيب أبو الرضى : سمع على الامام العالم النحوي شهاب الدين ، انتهى ما قاله » .

ويقابله لدى الادفوى فى « الطالع السعيد » قوله :

« ٠٠٠ رأيت سماعة سنة اثنتين وستمئة ، وقد كتب له الخطيب أبى الرضى : سمع على الامام العالم النحوى شهاب الدين » .

(ب) الاسناد الى المصدر الرئيسى ، مع التصريح بالمصدر القريب المنقول لديه عنه :

ويمثله ماورد فى الجزء الثانى من مخط . (فينا) ، من الاسناد الى « بيبرس الدوادار » ، وقد اقترن بابن الاثير ، بينما لم يطلع « ابن الفرات » على ثانيهما .

(ج) الاسناد الى المصدر الرئيسى ، اهمالا للمصدر القريب المنقول لديه عنه :

كنحو قوله فى حوادث حولية سبع وثمانين وخمسماية للهجرة :

« ٠٠٠ وقال القاضى بهاء الدين بن شداد : لقد شهدتهم (الفرنج فى حرب نسيقلان) وفى ظهر الواحد منهم النشابة والعشرة مغروزة ، وهو يسير على هيئته من غير انزعاج ، وثم قسم آخر من الرجالة مستريح ، يمشى على جانب البحر لا قتال عليهم ، فاذا تعب هؤلاء المقاتلة وأثخنهم الجراح ، قام مقامهم القسم المستريح ، واستراح القسم العمال . هذا والخيالة فى وسط الرجالة ، لا يخرجون عنهم الا وقت الحملة لا غير ، وقد انقسموا ثلاثة أقسام : الملك العتيق اللعين جفرى وجماعة الساحلية معه فى المقدمة ، واللعين الانكلتير ، والافرنسية معه فى الوسط ، وأولاد الست أصحاب طبرية وطائفة أخرى فى الساقة ، وبرج القوم فى وسطهم على عجلة ، وعلمهم يسير فى وسطهم - أيضا - كالمنازة العظيمة على عجلة ،

وسار السلطان صلاح الدين فى جيوشه مساوقا لهم ، وسوق الحرب قائمة بين الفريقين ، والمسلمون يرمون من جوانبهم بالنشاب ، وهم يسيرون سيرا رقيقا الى أن أتوا المنزلة ، فنزلوا ، وكانت منازلهم قريبة لأجل الرجالة ، فان المستريحين منهم كانوا يحملون أثقالهم وخيمهم لقلّة الظهر عندهم .

وطاف الجاليش عليهم ولزومهم بالنشاب ، وكلما ضعف قسم عاونه الذى يليه ، وهم يحفظ بعضهم بعضا ، والمسلمون محدقون بهم من ثلاثة جوانب .

ويقابله لدى ابن واصل فى « مفرج الكروب » - المصدر القريب المنقول لديه عنه - قوله :

« . . . قال القاضى بهاء الدين بن شداد : لقد شاهدتهم وفى ظهر الواحد منهم النشاب والعشرة مغروزة ، وهو يسير على هيئته من غير انزعاج ، وثم قسم آخر من الرجالة مستريح يمشون على جانب البحر ، لا قتال عليهم ، فاذا تعب هؤلاء وأثخنهم الجراح قام مقامهم القسم المستريح ، واستراح القسم العمال ، هذا والخيالة فى وسط الرجالة لا يخرجون عنهم الا فى وقت الحملة لاغير ، وقد انقسموا ثلاثة أقسام : الملك العتيق جفرى ، وجماعة الساحلية معه فى المقدمة ، والانكلتير والافرنسيصة فى الوسط ، وأولاد الست أصحاب طبرية وطائفة أخرى فى الساقة ، وبرج القوم فى وسطهم كالمنارة العظيمة على عجلة .

وسار السلطان فى جيوشه ، وسوق الحرب قائمة بين الفريقين ، والمسلمون يرمون من جوانبهم بالنشاب ، وهم يسيرون سيرا رقيقا ، الى أن أتوا المنزل ، فنزلوا ، وكانت منازلهم قريبة لأجل الرجالة ، فان المستريحين منهم كانوا يحملون أثقالهم وخيمهم لقلّة الظهر

عليهم ، وطاف الجاليش حولهم ولزوهم بالانشاب ، وكلما ضعف
قسم عاونه الذى يليه ، وهم يحفظ بعضهم بعضا . والمسلمون
يرمونهم من ثلاثة جوانب » .

(د) الاسناد الى مذهبهم :

كنحو قوله :

« قال صاحب المعجم : ٠٠ » .

وقوله :

« ٠٠٠ وهذه خلاط من أعظم الممالك ، وذكر بعض المؤرخين
أنها تقارب الديار المصرية فى المنزلة ، وأنها تشتمل على نحو سبعين
بلدا ، وانما خربت هى وغيرها من البلاد لما ملكها التتر » .

وهو منقول عن مفرج الكروب ، لابن واصل ، وقد ورد النص
فيه على النحو التالى :

« ٠٠٠ وهذه خلاط كانت من أعظم الممالك ، وذكر أنها تقارب
الديار المصرية فى المنزلة ، وأنها تشتمل على نحو سبعين بلدا ،
ويعرف اقليمها بأرمينية ، وانما خربت هى وغيرها من البلاد لما
ملكها التتر » ٠٠

وقوله :

« ٠٠٠ قال علماء التاريخ : فى هذه السنة وصل السلطان
غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان السلجوقى الى مرعش ،
ليقصد بلاد ابن لاون ، فأرسل الملك الظاهر - صاحب حماه - اليه
جماعة من عسكره يكونون فى خدمته مع الأمير سيف الدين بن علم
الدين جندر والأمير عز الدين أيبك قطيس ، فسار السلطان غياث

الدين كيخسروا ، ودخل بلاد ابن لاون وعاث فيها ، ونازل حصنا يعرف بغرقوس ، وافتتحه بالأمان ، وأبقاه ، وشيد عمارته ، وشحنه بالرجال ، وفتح قلاعا أخرى وخربها .

ثم رجع السلطان غياث الدين الى بلاده ، لما وقع الثلج ، وقد فتح كثيرا من الحصون » .

ويقابله لدى « ابن واصل » - المصدر المأخوذ لديه عنه - قوله فى « مفرج الكروب » :

« . . وفى هذه السنة وصل غياث الدين كيخسرو بن قلع أرسلان السلجوقى - صاحب بلاد الروم - الى مرعش ، لقصد بلاد ابن لاون ملك الأرمن . فأنفذ اليه الملك الظاهر جماعة من عسكره ، يكونون فى خدمته مع سيف الدين بن علم الدين بن جندر ، وعز الدين أيبك فطيس . فدخل غياث الدين بلاد ابن لاون ، وعاث فيها ، ونازل حصنا يعرف بغرقوس ، وافتتحه بالأمان ، وأبقاه وشيد عمارته ، وفتح قلاعا أخرى وخربها .

ثم رجع غياث الدين لما وقع الثلج ، وقد فتح كثيرا من الحصون » .

(هـ) أهمال الأسسناد الى المصدر :

حيث وجد أن « ابن الفرات » لم يصرح فى مواضع كثيرة من كتابه بالنقل عن مصادره ، وإن كان النقل فى كثير منها عن المصدر نقلا متتابعا ، ومن ذلك قوله :

« . . . وفى هذه السنة (٥٦٣ هـ) وصل الحاج العراقى سالمين ، فخرج عليهم بنو خفاجة فى طريق الحلة ، فقطعوا قطعة من الحاج ، فأخذوا أموالهم وقتلوا جماعة » .

ويقابله لدى ابن الجوزى فى « المنتظم » قوله :

« ٠٠٠ فمن الحوادث فيها أن الحاج وصلوا الى العراق سالمين ،
فخرجت عليهم بنو خفاجة فى طريق الحلة فقطعوا قطعة من الحاج ،
فأخذوا أموالهم وقتلوا جماعة » .

وقوله :

« ٠٠٠ وفيها (٦٠٠ هـ) كانت زلزلة عظيمة عمت أكثر البلاد ،
مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرص والموصل
والعراق ، ويقال : انها بلغت الى سبقة من أقصى المغرب ، والله
أعلم » .

ويقابله لدى ابن واصل فى « مفرج الكروب » قوله :

« ٠٠٠ وفى هذه السنة كانت زلزلة عظيمة ، عمت أكثر البلاد :
مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقلية وقبرص والموصل
والعراق ، ويقال : انها بلغت سبقة من أقصى المغرب » .

وصاحب هذا التنوع فى « طريق » الاسناد الى المصادر
التنوع فى صيغ الاسناد الى المصادر كذلك ، بحيث يمكن اجمال هذه
الصيغ على النحو النالى :

(١) الاسناد الى المصدر ، مصرحا باسم الكتاب دون مؤلفه :
ويمثله قوله :

« قال صاحب التاريخ المظفرى ٠٠ » مهمل الاشارة الى ابن
أبى الدم الحموى مؤلف الكتاب .

وقوله :

« قال صاحب كتاب الجوهر المنتخب فى أخبار أهل العلم والأدب
ما صيغته ٠٠ » . مغفلا التصريح بأبى الحسن البلدى .

(ب) الاستناد الى المصدر ، مصرحا باسم المؤلف دون كتابه :

ويمثله قوله :

« قال جمال الدين يوسف اليعمورى ، ومن خطه نقلت ، ما صيغته ٠٠ »

(ج) الاستناد الى المصدر ، مصرحا باسم المؤلف وكتابه :

ويمثله قوله :

« ٠٠ وقال الشيخ جمال الدين ، محمد بن سالم بن نصر بن واصل الحموى ، فى تأليفه مفرج الكروب فى أخبار دولة بنى أيوب ٠٠ » .

وقوله :

« ٠٠٠ قال أبو الغنائم ، فى كتاب جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام ٠٠٠ » .

وهو حريص مع ذلك - فى مواضع كثيرة من كتابه - على تحديد بدايات النقول ونهاياتها ، ومن ذلك قوله :

« ٠٠٠ وذكره القاضى صلاح الدين الصفدى ، فقال : ٠٠٠ انتهى كلام القاضى صلاح الدين » .

وقوله :

« ٠٠٠ وقال القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان ٠٠ انتهى كلامه » .

وقوله :

« قال الشيخ محمد بن نظيف الحموى ما صيغته ٠٠ انتهى كلامه » .

ثالثا : طريق النقل :

لم يلتزم « ابن الفرات » - غالبا - بعبارة مصادره التزاما صارما ، اذ نادرا ما تكون عبارته مطابقة وعبارة المصدر المنقول لديه عنه ، وانما هو متصرف في النسق التعبيري لمنقوله عن مصدره مع الحفاظ على النسق الترتيبي المصاحب له ، أو هو متصرف فيهما معا .

ومن نماذج التطابق لديه قوله :

« قال علماء التاريخ رحمة الله عليهم : في هذه السنة تحرك الفرنج - لعن الله من مضى منهم ، وخذل من بقى فيهم - الى جهة الساحل ، واجتمع منهم بعكا جمع كثير ، فخرج الملك العادل من دمشق المحروسة ، وترددت بينهم الرسل ، حتى تقررت بينهم الهدنة مدة معلومة » .

ويقابله لدى ابن واصل - المصدر المنقول لديه عنه - قوله في « مفرج الكروب » :

« ... وفي هذه السنة تحركت الفرنج الى جهة الساحل ، واجتمع منهم بعكا جمع كثير ، فخرج الملك العادل من دمشق ، وترددت بينهم الرسل ، حتى تقررت بينهم الهدنة مدة معلومة » .

وقوله :

« دخلت هذه السنة ، والسلطان صلاح الدين على شفر عم ، وأخوه الملك العادل قاطع حيفا ، والبديل متصل الدخول الى عكا » .

ويقابله لدى « ابن واصل » قوله في مفرج الكروب :

« ٠٠٠ » ودخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، والسلطان على
شفر عم ، وأخوه الملك العادل قاطع نهر حيفا ، والبديل متحصن
بالمدخل الى عكا » .

ويقرب منه قوله :

« ٠٠٠ » وفي ثامن صفر ، الشهر المذكور ، عبر العيارون من
الجانب الغربى من بغداد الى الجانب الشرقى الى الحاج ، وقد
تحصنوا فى داخل البلد ، فأخذوا أموالهم ، وانحدروا فى السفن
يضرّبون الطبل ، ولم يطلبوا ، ثم وقع منهم أقوام ، وظهر عليهم شيء
يسير » .

ويقابله لدى « ابن الجوزى » - المصدر المنقول لديه عنه - فى
المنتظم قوله :

« ٠٠٠ » وفى ثامن صفر عبر العيارون من الجانب الغربى الى
الشرقى الى الحاج ، وقد تحصنوا بالبيوت داخل البلد ، فأخذوا
أموالهم ، وانحدروا فى السفن يضرّبون الطبل ، ولم يطلبوهم ، ثم
وقع منهم أقوام ، فظهر عليهم شيء يسير » .

وهكذا ، فإن التطابق بين عبارتي « ابن الفرات » ومصدره
لا يعنى الالتزام الصارم بعبارة المصدر المنقول لديه عنه ، وإنما يعنى
النقل عنه باللفظ - اسقاطاً أو إضافة - مع الحفاظ على النسب
الترتيبى المصاحب له فى المصدر .

ومن نماذج التصرف فى النسق التعبيرى قوله :

« ٠٠٠ » وقال الشيخ محمد بن نظيف الصموى ماصيغته : وفى
سنة احدى عشرة وستمئة عاد الملك العادل الى الديار المصرية
وصحبته كليم » .

ويقابل له لدى « ابن نظيف » قوله :

« ٠٠٠ وفيها عاد الملك العادل الى الديار المصرية ، وكلياً لا يفارقه » .

وقوله :

« ٠٠٠ وفي ليلة النصف من شعبان من شهور هذه السنة اتفقت ببغداد حادثة عجيبة ، وهي أن انساناً كان قاعداً عند عطار ، بشارع دار الرقيق ، فجاء نفاط يلعب بقوارير النفط ، فخرجت من يده بغير اختياره ، فتعلقت بثياب الرجل ، فلم ينزع ثيابه حتى انسلخ جلده من عنقه الى مشد سرواله ، وهرب النفاط ، ومات الرجل » .

وبقابل له لدى « ابن الجوزي » في « المنتظم » قوله :

« ٠٠٠ وفي ليلة النصف من شعبان اتفقت حادثة عجيبة ، وهي أن انساناً كان قائماً عند دكان عطار بشارع دار الرقيق ، فجاء نفاط يلعب بقوارير النفط ، فخرجت من يده بغير اختياره ، فأهلك ما في الدكان كله ، وتعلقت بثياب ذلك الرجل القائم هناك الى أن نزع ثيابه ، انسلخ جلده من عنقه الى مشد سروايله ، وأخذ النفاط فحس ، وجبرت فتنة ، فتخلص النفاط » .

وهكذا ، فإن « ابن الفرات » قد نقل في هذا الموضع عن مصدره بالفكرة .

ومن نماذج التصرف في النسق الترتيبي قوله مترجماً أبا العباس الأزجي :

« أحمد بن عمر بن محمد بن لبيد الأزجي البغدادي ، يكنى أبا العباس ، قرأ القرآن - العزيز - بالقراءات ، وسمع من أبي

خيرون وابن السلال وابن الحصين وأبي منصور القزاز ، وكان فيه خير • توفي في طريق مكة المشرفة ، وكان خرج الى الحج في سنة خمس وستين هذه السنة ، ودفن بزيالة » •

ويقابله لدى « ابن الجوزي » قوله :

« أحمد بن عمر بن محمد بن لبيد ، أبو العباس ، الأزجي • قرأ القرآن ، وسمع من ابن الحصين ، وابن خيرون ، والقزاز ، وابن السلال ، وغيرهم • وكان فيه خير ، خرج الى مكة فتوفي في الطريق ، ودفن بزيالة في هذه السنة » •

النقد التاريخي

المطلع على مادونه « ابن الفرات » فى تاريخه يجده مؤرخا على درجة كبيرة من الوعى التاريخي ، كما يلحظ له اتجاها نقديا من خلال ما أثبت فيه من حوادث ، يمكن تصنيف عناصره فى المجالات الآتية :

(أ) وصف الحوادث بالتفرد فى بابها :

ويمثله قوله معقبا على مناداة المشاعلية فى القاهرة ومصر وظواهرهما بجلوس « الظاهر برقوق » للحكم بين الناس يومى الأحد والأربعاء :

« ... وهذا لم يعهد من ملك قبله ممن أدركناه ، ولا سمع به من مشايخنا » ..

(ب) استحياس التصرف فى بعض الحوادث :

كنحو قوله :

« ... وفى صفر - الشهر المذكور - رتب القاضى نجم الدين الطنبدي محتسب القاهرة المحروسة جماعة من الفقهاء ، فى كل

سوق من أسواق القاهرة وظواهرها فقيه ، يعلم التجار وأصحاب الصنائع والمتعبدون سورة الفاتحة وغيرها من السور ، ليقرأوا ذلك ، وجعل لكل فقيه على كل من يعلمه فلسين جدد ، وهذا ترتيب حسن لأبأس به » .

(ج) التهكم ، أو السخرية من التصرف في بعض الحوادث :

كنحو قوله :

« ٠٠٠ وفي يوم الاثنين ، سابع عشرين صفر - الشهر المذكور - أرسل الملك الظاهر برقوق إلى الأمير سيف الدين اينال اليوسفي - أتابك دمشق - تقليد ابنيابة حلب ، عوضا عن الأمير يلغا الناصري ، فكان كما قيل :

وجادت بوصل حيث لا ينفع الوصل » .

وتعقيبه على تولية « جركس الخليلي » لحسين بن باكيش نيابة غزة ، قائلا :

« ٠٠٠ فكان شر العشرة على أهل الديار المصرية ، ومن يصل إليه من جملةهم ، وكان عوننا عظيما لمن يصل إليه من جهة الأمير يلغا الناصري ، وخامر معه ، فكان جركس الخليلي كما قيل : باحث عن ظافه بظفره ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » .

(د) تفسير بعض الحوادث ، بالكشف عن العلة فيها :

كنحو قوله معقبا على زواج « جمال » محمود القيصري « بابنة ابن الطولوني :

« ٠٠٠ ولم يسمع حصل لأحد غير القاضي جمال الدين عقد نظير هذا العقد ، والأغلب أن ذلك جميعه فعل اكراما لابن الطيلوني ، لا لأجل جمال الدين محمود ، والله أعلم بجلية الحال » .

(هـ) الكشف عن مواطن العبرة والعظة في الحوادث :

كنحو قوله معقبا على طواعين مصر ، وفقن الشام :

« ٠٠٠ وكان قد اجتمع في أهل مصر وعسكرها في هذا الشهر الطاعون بمصر والطنين بالشام ، فكان كما قيل :

من لم يمت بالسيف مات بغيره » .

وقوله :

« ٠٠٠ ثم أسفرت العاقبة أن الأمير الكبير منطاش طلب ممالك الملك المظاهر برقوق الذين قاتلوا معه (أى مع منطاش خذلانا لأستأذهم) ليحضرُوا النفقة ، فلما حضروا وصاروا بالاصطبل أغلق باب السلسلة ، وقبض على تقدير مائتى مملوك منهم ، ورمى ممالك منطاش من سور الاصطبل على الغلمان بالذشاب ، فهربوا فكان كما ورد :

من أعان فلنا سلط عليه » .

وتعقيبه على ما تردد من أن « النور الحاضري » قال لصديقه « الحسام الكوراني » - والى القاهرة - وقد ذكر اسم « برقوق » : « ان كتبه تأتي الى جماعة بالقاهرة ، وتعود أجوبتها » ، ونبه عنه لمنطاش ، الذى استجوبه ، فلما أنكر معرفته بذلك ضرب وعصر حتى أشرف على الموت ، ثم حبس ، قائلا :

« ٠٠٠ هذا فائدة كثرة الفضول فيمالا يعنى الانسان ، ما أحسن قول القائل : معادة العاقل ولا مصاحبة الجاهل » .

(و) الإفصاح عن عاطفته تجاه بعض الحوادث :

وهى عاطفة دينية قوية ، مجلة للسلطة ، متأسفة لما يصيب المسلمين من انقسام الكلمة في الداخل ، أو يفرض عليهم من مكوس،

ولما يلحقه بهم الأعداء من هزائم ، داعية لجيوش الاسلام بالنصر .
وللمسلمين باجتماع الكلمة وصلاح الأمور ، ولجيوش أعدائهم
بالخذلان واللعنة .

ومن ذلك قوله فى أحداث الفتنة « المنطاشية » - جمادى الأولى
سنة ٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م - وقد حضر القضاة الأربعة الى مشهد
السيدة نفيسة لقراءة تقليد ابن الخليفة بولاية النظر عليه :

« ٠٠٠ وشاع أن القضاة بعد الفراغ من قراءة تقليد ابن الخليفة
مضوا الى المكان الذى به آثار سيدنا ونبينا محمد رسول الله
ـ صلى الله عليه وسلم ـ بظاهر مصر المحروسة ، وقرأوا هناك
صحيح البخارى ، ودعوا الله ـ عز وجل ـ بالنصر للسلطان وعسكره
فالله ـ تعالى ـ يحسن العاقبة ، ويؤلف الكلمة ، ويصلح أحوال
المسلمين ، قانهم فى ضيق عظيم بسبب هذه المفتنة التى لم نر
مثلاً فى زماننا ، فانا لله وانا اليه راجعون » .

وقوله فى خروج الأمراء مطلبين لملاقاة الخسارجين على
« الظاهر برقوق » فى الشام ، فى الأحداث ذاتها :

« ٠٠٠ ثم خرج بعد طلب الأمير جركس طلب المساليك
السلطانية ، وكان عليهم من الهيبة والوقار ما اقشعرت منه الجلود ،
وحصل لى أسف عظيم ، حيث رأيت هذه الأطلاب كيف لم يكن خروجها
لجهاد الكفار ونصرة دين الملك القهار ، فانا لله وانا اليه راجعون » .

وقوله :

« ٠٠٠ وفى هذا اليوم (الأربعاء ، سابع جمادى الآخرة سنة
٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م) أعيد جميع المكوس على ما كانت عليه ، فانا
لله وانا اليه راجعون » .

وقوله ، وقد أخذ « الفرنج » جربة :

« ٠٠٠ وفي هذا اليوم (الأربعاء ، سادس عشر صفر سنة ٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م) . اشيع أن وردت الأخبار الى الملك الظاهر بأن الفرنج - خذلهم الله تعالى - أخذوا جزيرة جربة من المسلمين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » .

وقوله ، وقد خرج الأمراء لملاقاة المغول في الشام :

« ٠٠٠ وسافر الأمراء الأربعة المقدمين الألوف وأتباعهم الى الشام ، فآله - تعالى - يصحبهم بالسلافة ، ويعينهم على ما هم بصدده ، ويحسن عاقبتهم ، ان شاء الله تعالى » .

واقترن لفظتي « الفرنج » و « القتر » لديه - في غير موضع - بقوله :

« لعن الله من مضى منهم ، وخذل من بقى فيهم » .

ونعته كبار شخصيات « الفرنج » باللعين ، كنحو قوله :

« ٠٠٠ اللعين ملك الألمان » ، (٠٠٠ اللعين حري » : « ٠٠٠ ملك الانكلتير لعنه الله » ، « ٠٠٠ اللعين ملك الانكلتير » ، « ٠٠٠ اللعين ابن لاون » .

فضلا عن الدعاء عليهم بالهلاك ، ومنه قوله :

« ٠٠٠ فعن ملك الألمان أن يسبح في النهر ، فسبح ، فعرض له مرض شديد ، أداه الى الموت ، عجل الله بروحه الى النار ، وأراح المسلمين منه » .

تقويم مادة الكتاب

تضاءلت القيمة الفعلية لمادة الكتاب في غير الأجزاء المعاصرة والتي لم يبق منها سوى الجزء التاسع من « مخط . فينا » ، الحاوي للحوليات فيما بين سنتي (٨٧٩ هـ / ١٣٨٧ م . و ٧٩٩ هـ / ١٣٩٧ م) ، حيث لم يكن « ابن الفرات » فيها سوى ناقل عن مصادرهِ وكفى ، اللهم الا في مواضع يسيرة جدا ، قابل فيها بين منقولين في الحدث الواحد عن مصدرين متعارضين ، كابن واصل وابن نظيف^(٥١) ، مرجحا أولهما على ثانيهما ، دون اقتران الترجيح لديه بعلة ترجع الى الحدث ذاته ، أو الى المصدر الراجع أو المرجوح .

كما كان النقل لديه - في هذه الأجزاء غير المعاصرة - عن بعض المصادر نقلا متتابعا ، والاعتماد عليها في بناء الكثير من

(٥١) راجع : ابن الفرات . التاريخ ج ١/٥ ص ٢٤ (= ابن واصل . مفرج الكروب ج ٣ ص ١٧٢ ، ابن نظيف . التاريخ المنصوري ق ٢٥٣ - ٢٥٤) ، ج ١/٥ ص ١٧٣ (= ابن واصل . مفرج الكروب ج ٢ ص ١٩٠ ، ابن نظيف . التاريخ المنصوري ق ٢٦٢ - ٢٦٣) .

أجزاء الكتاب اعتماداً رئيساً ، بحيث ظهرت الى جانبها المصادر الأخرى المصرح بالأخذ عنها مصادر ثانوية ، ومن ذلك الاعتماد في بناء مادة الجزء السادس من « مخط . حسين شلبي » على تفسير القرطبي ، وفي الجزء الحادي عشر منه على المنتظم لابن الجوزي ، وفي « مخط . ياريس » ، المعنون « بالأول من تاريخ ابن الفرات » على التاريخ المظفرى لابن أبى الدم الحموى والمنتظم لابن الجوزي ، وفي « مخط . تونس » على الدر المنضد في وفيات أمة محمد لابن دقماق ، وفي الأجزاء الثلاثة الأولى من « مخط . فينا » على زبدة الفكرة لببيرس الدوادار ، وفي الجزئين الرابع والخامس منه على مفرج الكروب لابن واصل . . وهكذا .

أما الجزء المعاصر ، فقد انتظم الكثير من حوادث الفترة التي عاشها مؤرخنا ، وسجلها بتفصيلاتها ، فكان بذلك مصدراً رئيساً ، اكتسب سمة الأصالة ، مما جعله مورداً رئيساً للمؤرخين المعاصرين ، كالمقرئزي ، وابن حجر ، والبدر العيني ، الذين نقلوا عنه مباشرة أحداث تلك الفترة في بعض مؤلفاتهم التاريخية ، نصاً أو تلخيصاً .

وهكذا ، فإن الأجزاء غير المعاصرة من الكتاب لا تكتسب قيمتها العلمية الا بقدر حفاظها على الكثير من النصوص المنقولة عن بعض المصادر التي لم يكشف بعد عن مظان وجودها .

على أنه ليس صحيحاً ما رده بعض المحدثين الباحثين ، من أن ابن الفرات « لم يكتف بنقل ما جمعه - (في هذه الأجزاء غير المعاصرة) - ولكنه صحح جوانب تاريخية مهمة ، كان سابقوه قد أغفلوها ، كما شرح كثيراً مما دونه وأحكم ما سجله ، ونقى ما ظنه بعيداً عن الأخبار التاريخية الصادقة » (٥٢) ، إذ المتردد في تلك

(٥٢) د . أحمد الشامي . دراسة في مخطوط تاريخ الدول والملوك (مجلة الدارة مج ١٠ ، ج ٢ ، ص ٧٤ .

الأجزاء غير المعاصرة من جوانب النقد التاريخي وما شاكله منقول
- غالبا - عن مصادرهم ، وليس لمؤرخنا فيه أدنى ابتكار أو إبداع ،
ومنه نقده المذهب بعض المتصوفة في طلب الولد ، قائلا عقب قوله
تعالى : « هنالك زكريا ربه ، قال : رب هب لى من لدنك ذرية طيبة ،
انك سميع الدعاء » (٣٨ : آل عمران) :

« ١٠٠ » وبذلك هذه الآي على طلب الولد ، وهى سنة المرسلين
والجديقيين ، قال الله تعالى : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا
لهم أزواجا وذرية » . وفى صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص
- رضى الله عنه - قال : أراد عثمان - رضى الله عنه - أن يتبتل ،
فنهاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولو أجاز له ذلك
لاختبينا . وخرج ابن ماجه عن عائشة - رضى الله عنهما - قالت :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : النكاح من سنتى ، فمن لم
يعمل بسنتى فليس منى ، وتزوجوا فانى مكاثركم الأمم ، ومن
كان ذا طول فليتكح ، ومن لم يجد فعليه بالصيام ، فانه له وجاء .
وفى هذا رد على بعض جهال المتصوفة حيث قال : الذى يطلب الولد
أحمق ، وما عرف أنه هو الغبى الأخرق ، قال الله - تعالى - مخبرا
عن الخليل إبراهيم عليه السلام : « واجعل لى لسان صدق فى
الآخرين » ، وقال عز وجل : « والذين يقولون ربنا هب لنا من
أزواجنا وذرياتنا قررة أعين » . وقد ترجم البخارى - عفا الله عنه -
على هذا باب طلب الولد . قال النبى - صلى الله عليه وسلم -
لأبى طلحة حين مات ابنه : أعرستم الليلة ؟ قال : نعم . قال :
بارك الله لكما فى غابر ليلتكما . قال : فحملت . وفى البخارى :
قال سفيان : فقال رجل من الأنصار : فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرأ
القرآن . وترجم - أيضا - باب الدعاء بكثرة الولد مع البركة ،
وساق حديث أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : قالت أم

سلمة (٥٣) : يا رسول الله ، (خادمك أنس) ، أبيع الله له • فقال : اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته • وقال صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين • خرجه البخاري ومسلم • وقال صلى الله عليه وسلم : تزوجوا الولود الودود ، فاني مكاثركم الأمم • أخرجه أبو داود • والأخبار في هذا المعنى كثيرة ، تحت على طلب الولد وتندب إليه ، لما يرجوه الانسان من نفعه في حياته وبعد موته • قال صلى الله عليه وسلم : اذا مات أحدكم انقطع عمله الا من ثلاث ، فذكر من جملة : أو ولد صالح يدعو له ولو لم يكن الا هذا الحديث لكان فيه كفاية •

ويقابله لدى المقرطبي قوله :

« ... دلت هذه الآية على طلب الولد ، وهي سنة المرسلين والصديقين ، قال الله تعالى : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية » • وفي صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال : أراد عثمان أن يتبتل ، فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو أجاز له ذلك لاختصينا • وخرج ابن ماجه عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : النكاح من سنتي ، فمن لم يعمل بسنتي فليس مني ، وتزوجوا فاني مكاثركم الأمم ومن كان ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصوم فانه له وجاء • وفي هذا رد على بعض جهال المتصوفة حيث قال : الذي يطلب الولد أحقق ، وما عرف أنه هو الغبي الأخرق ، قال الله - تعالى - مخبرا عن ابراهيم الخليل : « واجعل لي لسان صدق في الآخرين » ، وقال : « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين » • وقد

(٥٣) كذا في الأصل ، وصحته : « أم سليم » •

ترجم البخارى على هذا باب طلب الولد . وقال صلى الله عليه وسلم لأبى طلحة حين مات ابنه : أعرستم الليلة ؟ قال : نعم . قال : بارك الله لكما فى غابر ليلتكما . قال : فحملت . فى البخارى : قال سفيان : فقال رجل من الأنصار : فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرأوا القرآن . وترجم - أيضا - باب الدعاء بكثرة الولد مع البركة ، وساق حديث أنس بن مالك ، قال : قالت أم سلمة : يارسول الله ، خادمك أنس ، أدع الله له . فقال : اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته . وقال صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين . خرجه البخارى ومسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم : تزوجوا الولود الودود ، فأنى مكاثركم الأمم . أخرجه أبو داود . والأخبار فى هذا المعنى كثيرة ، تحت على طلب الولد وتندب اليه ، لما يرجوه الانسان من نفعه فى حياته وبعد موته . قال صلى الله عليه وسلم : إذا مات أحدكم انقطع عمله الا من ثلاث . فذكر : أو ولد صالح يدعو له . ولو لم يكن الا هذا الحديث لكان فيه كفاية .

وقوله ناقدًا أسامة بن منقذ ، من خلال الحديث عن قطب الدين، مودود :

« . . . وذكر أسامة بن منقذ فى كتاب له صغير ، ذكر فيه من أدركه فى عمره من ملوك البلاد : أن قطب الدين - المذكور - توفى سلخ شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمس مائة ، وليس بصحيح ، فان أخاه الملك العادل نور الدين ، كان فى الموصل فى شهر ربيع الآخر ، وجاءته رسل الخليفة وهو مخيم على الموصل فى الشهر المذكور - كما سنذكره ان شاء الله تعالى - ولم يتوجه الملك العادل نور الدين اليها الا بعد وفاة أخيه السلطان قطب الدين » .

ويقابله لدى ابن خلكان قوله :

» ٠٠٠ وذكر أسامة بن منقذ فى كتاب له صغير ذكر فى من أدركه فى عمره من ملوك البلاد : أن قطب الدين - المذكور - توفى سلخ ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسائة ، وليس بصحيح ، فإن أخاه نور الدين كان بالموصل فى شهر ربيع الآخر ، وجاءته رسل الخليفة وهو مخيم على الموصل فى الشهر المذكور ، ولم يتوجه نور الدين إليها إلا بعد وفاة أخيه قطب الدين .

وقوله :

» ٠٠٠ حكى القاضى عماد الدين الأصفهانى الكاتب ، قال . لما كثرت الأخبار بمصر ، بما يعتمده ضياء الدين ابن الأثير - وزير الملك الأفضل صاحب دمشق - من الأحوال الرديئة والسيرة المذمومة بالشام ، تحركت عزائم الملك العادل للسفر بعساكر الملك العزيز ، ووعد بإزالة ضياء الدين بن الأثير وطرده عن البلاد ، واصلاح ما فسد من الأحوال .

والظاهر أن الشيخ عماد الدين الكاتب - رحمه الله تعالى - إنما ذكر ذلك تقيّة فى ذلك الوقت ، وخوفاً من الملك العادل ، والا فالذى ذكره جماعة من جهات عديدة ، أن الملك العادل لما قدم الى دمشق نجدة للملك الأفضل ، ورأى من نكبة الملك الأفضل مارأى ، حدثته نفسه بالاستيلاء على دمشق وتملكها ، وصار يعمل الحيلة فى ذلك ، فلما قصد الملك العزيز بلاد الشام بعساكره - كما قدمنا شرحه - توصل الملك العادل الى تحصيل عزمه ، بإيقاع الخلاف بين الصلاحية والأسدية وبين الأسدية والملك العزيز ، ونفر كلا منهما من الآخر ، وأوجب ذلك رجوع الملك العزيز الى مصر .

ويقابله لدى ابن واصل قوله :

» ٠٠٠ لما كثرت الأخبار بمصر بما يعتمده ضياء الدين بن الأثير - وزير الملك الأفضل - من الأحوال الرديئة والسيرة المذمومة

بالشام ، تحركت عزيمة الملك العادل للسفر بعساكر الملك العزيز ،
ووعده بإزالة ضياع الدين ابن الأثير وطرده عن البلاد ، واصلاح
ما فسد من الأحوال .

قلت : هكذا حكى عماد الدين الكاتب . وعندى أنه ربما ذكر
ذلك تقيّة في ذلك الوقت ، وخوفاً من الملك العادل ، والأ فالذى
أعتقده وبلغنى من جهات عديدة ، أن الملك العادل لما قدم دمشق نجدة
للملك الأفضل ، ورأى من ريكة الملك الأفضل ما رأى ، خدشته نفسه
بالاستيلاء على دمشق وتملكها ، وصار يعمل الحيلة فى ذلك ، ولما
قصد الملك العزيز البلاد بعساكره ، توصل الملك العادل الى تحصيل
غرضه بإيقاع الخلف بين الصلاحية والأسدية ، وبين الأسدية والملك
العزيز ، ونفر كلاً منهم من الآخر ، وأوجب ذلك رجوع الملك العزيز
الى مصر .

وقوله :

« . . وأشار جماعة من الأمراء على الأمير عز الدين أسامة
بتسليم كوكب وعجلون ، الى الملك المعظم ، ويأخذ عوضاً عنهما ،
فما فعل لم يطرأ عليه ما طرأ - مما سنذكره - من الاعتقال وأخذ
الأموال . لكن المقدرات لا ينفع معها الحذر » .

ويقابله لدى ابن واصل - أيضاً - قوله :

« . . . وقد قيل : ان جماعة من الأمراء كانوا أشاروا على
أسامة بتسليم كوكب وعجلون الى الملك المعظم ، ويأخذ عوضاً عنهما ،
فما فعل ، ولم يطرأ ما طرأ من الاعتقال وأخذ أمواله ، وكانت
جميع أمواله وذخائره بكوكب ، فاستصفيت جميعها » .

الفصل الثالث

ابن دقماق وكتابه ((الجواهر الثمين
في سير الملوك والسلاطين))

ابن دقماق « ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧ م »

دراسة حياة

هو « صارم الدين ، ابراهيم (١) بن محمد بن أيدير العلاني » ،
المعروف بابن دقماق (٢) .

(١) ترجمته هنا مأخوذة عن : المقرئ : درر العقود الفريدة ق ٢٢
ب - ٢٣ ، ابن حجر . انباء الفهرج ج ١ ص ٢٣٤ ، ٣٦٠ تر ١ ، ذيل الدرر
الكامنة ق ٨٧ ، المجمع المؤسس ق ١٢٠٠ ، ابن تغري بردى . الدليل الشافى
ج ١ ص ٢٥ تر ٦٣ ، المنهل الصافى ج ١ ص ١٣٨ - ١٤٠ تر ٦٤ ، الصيرفى .
نزهة النفوس والأبدان ج ٢ ص ٢٣٧ تر ٤٥٨ ، السخاوى . الضوء اللامع
ج ١ ص ١٤٥ - ١٤٦ ، السيوطى . حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢١ ، ابن
العماد الحنبلى . شذرات الذهب ج ٧ ص ٨٠ .

(٢) أخطأ كل من : ابن تغرى بردى (المنهل الصافى ج ١ ص ١٢٠ تر
٦٣ ، الدليل الشافى ج ١ ص ٢٥ تر ٦٢) ، والسخاوى (الضوء اللامع ج ١
ص ١٤٥) عندما أشارا الى أن « دقماق » - ومعناه المطرقة - هو جد أبيه ،
وان مؤرخنا هو « محمد بن أيدير بن دقماق » ، ذلك أن « دقماق » هو « أيدير »
جد مؤرخنا لأبيه ، كما هو مثبت فى كنز الدرر للدوادارى ج ٩ ص ٣٥٩ ،
ودرر العقود الفريدة للمقرئ ق ٢٢ ب ، والدرر الكامنة لابن حجر ج ٢ ص
٣٩٤ .

تدرج جده لأبيه « عز الدين ، أيدير » - أحد أمراء الناصر محمد بن قلاوون - فى وظائف الدولة المملوكية الى أن ولى نقابة الجيوش المنصورة عوضا عن « شمس الدين المهمندار » (٧٣٢ هـ - ١٣٣٢ م) . سنة سبع وعشرين وسبعمائة للهجرة ، وظل شاغلا لهذه الوظيفة الى حين وفاته فى سادس رجب سنة أربع وثلاثين وسبعمائة للهجرة (٣) .

أما والده « بدر الدين ، محمد » ، فلا يعلم من أمره الا أنه توفى بالعقبة سنة احدى وستين وسبعمائة للهجرة (٤) .

على حين ولد مؤرخنا « صارم الدين ، ابراهيم » فى حدود الخمسين وسبعمائة ، ونشأ فى طبقة أولاد الناس ، وتزيا بزي الجند ، وتفق على المذهب الحنفى ، واشتغل بالعلم ، وأسندت اليه وظيفة خزن الكتب فى الخانقاة الصلاحية (٥) ، كما تولى قبل وفاته ولاية « دمياط » ، فلم ينتج أمره فيها ، وعزل ، وعاد الى القاهرة ، فمات بها بعد قليل ، ليلة الثلاثاء لثمان بقين من ذى الحجة سنة تسع وثمانمائة ، عن نحو الستين عاما (٦) .

(٢) الدوادارى . كنز الدرر ج ٩ ص ٢٤٣ ، ٣٥٩ ، ٣٧٧ ، ابن حجر .
الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٣٠ تر ١٢٢ ، السخاوى . الضوء اللامع ج ١ ص ١٤٥ .

(٤) ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٩٤ شر ١٠٤٣ .

(٥) أشار « ابن الفرات » (التاريخ ج ٩ ص ٤٠٦) الى أنه استقر فى هذه الوظيفة يوم الخميس ، الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة (٧٩٧ هـ / ١٣٩٥ م) .

(٦) ابن حجر . المجمع المؤسس ق ٢٠٠ ١ ، ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج ١ ص ١٢١ ، السخاوى . الضوء اللامع ج ١ ص ١٤٥ .

أخلاقه :

أشار « المقرئى » الى أنه « كان جميل العشرة ، فكة المحادثة ، كثير التودد ، حافظا للسانه من الوقية فى الناس ، لا تراها يدم أحدا من معارفه ، بل يتجاوز عن ذكر ما هو مشهور عنهم مما يرمى به أحدهم ، ويعتذر عنه بكل طريق » (٧) .

ثقافته :

طلب العلم وتفقه يسيرا بجفاغة ، وأحب الأدب واشتغل به - على الرغم من كونه عريا عن العربية ، عامى العبارة - ثم حبيب اليه التاريخ ، فانكب عليه حتى كتب فيه نحو مائتى سفر من تأليفه وغيره (٨) .

مكانته بين علماء عصره :

أشار « المقرئى » - وقد صلب « ابن دقماق » مدة وتجاوزا عدة سنين - الى أنه « كان عارفا بأمور الدولة التركية » مذاكرا بجملة أخبارها ، مستحضرا لتراجم أمرائها ، ويشارك فى أخبار غيرها مشاركة جيدة » (٩) .

ونعته « ابن حجر العسقلانى » بمؤرخ الديار المصرية فى زمانه (١٠) ، وجاراه على ذلك « السيوطى » فى حسن المحاضرة (١١) . وأشار « ابن حجر » فى صدر كتابه « الانباء » الى

(٧) المقرئى . درر العقود الفريدة ق ٢٣ ١ .

(٨) نفسه ق ٢٢ ب ، ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج ١ ص ١٢١ .

(٩) المقرئى . درر العقود الفريدة ق ٢٣ ١ .

(١٠) ابن حجر . المجمع المؤسس ق ٢٠٠ ١ .

(١١) السيوطى . حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٥٦ .

أنه اجتمع به كثيرا ، وغالب ما ينقله في الأنباء من خطه ، ومن خط
« ابن الفرات - الحنفى » عنه (١٢) ، وعاد الى توكيد ذلك بما أورده
في « ذيل الدرر الكامنة » من ترجمته (١٣) .

كما أشار « ابن تغرى بردى » فى المنهل الصافى الى أن
« تصانيفه جيدة مفيدة ، واطلاعه كثير ، واعتقاده حسن ، ولم يكن
عنده فحش فى كلامه ولا فى خطه » (١٤) .

واعتمده كل من « ابن الفرات » (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م) ،
و « النقى المقرئى » (ت ٨٤٥ هـ / ١٣٤١ م) ، و « ابن حجر »
(ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) ، و « البدر العيى » (ت ٨٥٥ هـ /
١٤٥١ م) ، وغيرهم مصدرا هاما فى كتاباتهم التاريخية ، ونقلوا
عنه نصا وتلخيصا .

(١٢) ابن حجر . انباء الفمر ج ١ ص ٤ .
(١٣) ابن حجر . ذيل الدرر الكامنة ق ٨٧ .
(١٤) ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج ١ ص ١٢١ .

مجهوداته فى الكتابة التاريخية

على الرغم من غزارة كتابات « ابن دقماق » فى التاريخ ، فانه لم يبق لدينا من مؤلفاته أو عنواناتها الا القليل ، المبعثر فى مكتبات العالم ، أو المثبت اسمه لدى من ترجم له ، أو اعتنى بالفهرسة العامة للمؤلفات العربية ، والتي يمكن اجمالها على النحو التالى :

١ - الانتصار لواسطة عقد الأمصار (١٥) .

٢ - ترجمان الزمان فى تراجم الأعيان (١٦) .

(١٥) ذكره حاجى خليفة (كشف الظنون ج ١ ص ١٧٤) ، مشيرا الى انه فى عشره مجلدات ، نشر منه «فولرز» المجلدين الرابع والخامس عن مخط . دار الكتب المصرية ، ذات الرقم : ١٢٤٤ - تاريخ ، وهى بخط مؤلفه .

(١٦) كتاب فى التاريخ ، مرتب على حروف الهجاء فى التراجم ، توجد منه أجزاء من نسخة بخط المؤلف ، كتبت سنة ٧٨١هـ . ، وهى : السابع . والحادى عشر ، والثالث عشر ، والسادس عشر ، تحتفظ بها مكتبة أحمد الثالث - تركيا ، تحت رقم : ٢٩٦٧ .

٣ - الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين (١٧) .

٤ - الدر المنضد فى وفيات أمة محمد (١٨) .

٥ - عقد الجواهر فى سيرة الملك الظاهر (١٩) .

٦ - فرائد الفوائد (٢٠) .

٧ - الكنوز المخفية فى تراجم الصوفية (٢١) .

(١٧) توجد منه عدة نسخ خطية ، منها نسخة كتبت سنة ٨٦٠ هـ . ، تحتفظ بها مكتبة حكيم أوغلى - تركيا ، تحت رقم : ٧٣٧ ، وتقع فى ١٣٠ ورقة ، مقاسها ١٣ × ١٧ سم ، ونسخة كتبت سنة ٩١٠ هـ . ، تحتفظ بها مكتبة أحمد الثالث - تركيا ، تحت رقم ٢/٢٩٨٤ ، وهى مشكولة ، ويخط نسخ حسن ، وان كانت كثيرة الاسقاطات والحذف والتبديل والتعديل ، ونسخة ثالثة كتبت سنة ٨٧٣ هـ . برسم الأمير «فرج» نجل المقر «برديك» أمير آخور الظاهري ، وتحتوى على ١٣٠ ورقة ، وتحتفظ بها مكتبة أحمد الثالث تحت رقم : ٢٩٠٣ ، ونسخة تقع فى حوالى ٢٢٠ ورقة ، مقاسها ١٥ × ٢٠ سم ، تشترك مع سابقتها فى المواصفات ، تحتفظ بها دار الكتب المصرية ، تحت رقم ١٤٩٢ - تاريخ ، تيمور . وسوف نعرض له بالدراسة فى الصفحات التالية .

(١٨) استمد منه ابن القرات - الحنفى (التاريخ مخط . تونس) مصرحا فى عدة مواضع .

(١٩) أحال عليه ابن دقماق (الجوهر الثمين ، مخط . حكيم أوغلى ق ١١١ ب) .

(٢٠) كتاب فى « التعبير والرؤيا » ، ذكره حاجى خليفة (كشف الظنون ج ١ ص ٢٨٠) ، وببيدرسن (دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ٢٨٠ ، « مادة : ابن دقماق ») .

(٢١) ذكره بيدرسن (نفسه) .

- ٨ - نزهة الأنام فى تاريخ الاسلام (٢٢) .
- ٩ - نظم الجمان فى طبقات أصحاب امامنا النعمان (٢٣) .
- ١٠ - ينبوع المظاهر فى سيرة الملك الظاهر (٢٤) .

(٢٢) مرتب على السنين ، انتهى به مؤلفه عند سنة ٧٧٩هـ ، ويقع فى نحو ائنتى عشرة مجلدة ، ذكره حاجى خليفة (كشف الظنون ج ١ ص ٦٢) ، ويوجد منه :

● مجلد بخط مؤلفه ، ناقص من أوله ، وأول ما فيه حوادث سنة ٦٢٨هـ ، وينتهى بوفيات سنة ٦٥٩هـ ، تحتفظ به المكتبة الأهلية - باريس ، تحت رقم : ١٥٩٧ .

● مجلد يبتدىء بسنة ٢٧٩ ، وينتهى أثناء وفيات سنة ٤٢٢هـ ، مع تداخل سنوات ٤٢٦ : ٤٩٩ فى أثناء ذلك ، كتب سنة ٨٠٩هـ ، بخط «أحمد بن عبد الحميد بن محمد المصرى» ، وتحتفظ به مكتبة قبض الله - تركيا ، تحت رقم : ١٤٥٩ .

(٢٣) يقع فى أربعة أجزاء ، تناول فى أولها مناقب الامام «ابى حنيفة» ، بينما ترجم فى باقىها لأصحابه .

ذكره المقرئى (درر العقود الفريدة ق ٢٢ ب) ، وحاجى خليفة (كشف الظنون ج ٢ ص ١٩٦١) .

ويوجد منه الجزء الثانى ، ويبتدىء بترجمة «ابراهيم بن أدهم» وينتهى بترجمة «نصر بن بشر» ، وهو ناقص الآخر ، تحتفظ به مكتبة أحمد الثالث ، تحت رقم : ٢٨٣٢ .

(٢٤) أشار حاجى خليفة (كشف الظنون ج ١ ص ٢٧٨) الى انه مختصر من «عقد الجواهر» ، وتابعه على ذلك بيدرسن (دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ٢٨٠) .

الجواهر الثمين في سير الملوك والسلاطين (٢٥)

محتواه وتنظيمه :

احتوى هذا المؤلف على مقدمة قصيرة (٢٦) ، اشار مؤلفه فيها الى انه جمعه باشارة السلطان « الظاهر برقوق » ، تتبعها ترجمات سريعة ، متعجلة المحتوى ، كتبت بأسلوب عامي العبارة ، لايعنى من قريب أو بعيد بقواعد اللغة أو فقها ، وانما هو مثبت لما توارد على الفكر وردته الألسن (٢٧) ، مما جعله يغفل الكثير من تفصيلات الحوادث ، وما يجرى في حياة المترجمين لديه ، فضلا عن اغفال اثبات بعض الحوليات ، واهمال التاريخ للممالك الاسلامية المستقلة في المغرب والأندلس (شبه جزيرة ايبيريا) ، أو الكثير من الدول

(٢٥) اعتمدت هذه الدراسة على مخطوطات الكتاب السابق الاشارة اليها ، مع الاحالة الى صفحات « مخط . حكيم أوغلي » .

(٢٦) راجع : ابن دقماق . الجواهر الثمين ق ٢ ١ .

(٢٧) مثل قوله : « أخلع = خلع » ، و « غلق = أغلق » ، و « أرماه = أبيع = بيع » ، و « مسك = أمسك » ، بالاضافة الى الكثير من الأخطاء النحوية ، وهي سمة عامة في الكتاب .

المستقلة فى الشرق الاسلامى ، من أمثلة الفزنوية والسلاجوقية
والسامانية والديلمية . . على الرغم من ادراك « ابن دقماق »
لتأثيرها فى الخلافة العباسية فى طورها الثانى ، ونصحه على ذلك
فى ثنايا ترجمات الكثير من خلفاء بنى العباس - مكتفيا بإثبات
ترجمات الخلفاء الراشدين ، وخلفاء الدولة الأموية فالعباسية
فالفاطمية ، فسلاطين الأيوبيين والمماليك الى سلطنة « الظاهر برقوق »
الثانية .

لكنه مع ذلك يبقى مادة أساسية لدارسى التاريخ الاسلامى ،
لا غنية لهم عنها ، باعتباره الكتاب الوحيد الذى وصلنا من مؤلفات
« ابن دقماق » مكتملا ، مما يعد أنموذجا فريدا فى التعريف بمنهجه
فى الكتابة التاريخية ومفهومه لها ، فضلا عن اعطاء صورة سريعة ،
أو خطوط عريضة ، لحال الدولة الاسلامية فى أطوارها المختلفة ،
وعلى مدى ثمانية قرون من الزمان ، وان قصر فى اكمال هذه
الصورة .

ثم ان القسم الأخير منه ، والذى رتبته على الحوليات المتعاقبة
الواردة فى ثنايا ترجمات سلاطين المماليك يعد مادة أساسية ، استقى
منها عمداء الكتابة التاريخية فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين،
من أمثال « ابن الفرات » و « النقى المقرئى » و « ابن قاضى
شبهة » و « ابن حجر العسقلانى » و « ابن اياس » ، على نحو
ماسوف ينبه اليه .

منهجه :

يمكن اجمال منهج « ابن دقماق » فى الجوهر الثمين فى النقاط
الآتية :

أولا : الترجمة لبعض الشخصيات ذات التأثير الفعال فى
جوانب الحياة المصاحبة للشخصيات المترجم لها ضمن ترجمات
الكتاب الرئيسية ، وفى اطار محتواها .

ومن أمثلة ذلك الترجمة « للحجاج بن يوسف الثقفي » ، في
أثناء الترجمة « للوليد بن عبد الملك » ، بل لقد أتت هذه الترجمة
الفرعية أكثر طولا واستيعابا من الترجمة الرئيسية ، وكذا الترجمة
« للموفق طلحة » ضمن الترجمة « للمعتمد العباسي » ، والترجمة
للسلطان « طغرل بك السلجوقي » ضمن الترجمة « للمقائم العباسي » .
والترجمة « لنور الدين محمود بن زنكي بن أقسنقر » ، ضمن الترجمة
« للناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي » .

ثانيا : ومع ذلك ، فإن ترجمته « لابن المعتز » الخليفة العباسي ،
قد أتت مندمجة في ترجمة « المقتدر العباسي » ، وربما لكونه ملك
يوما واحدا ، مما يعد انقلابا فاشلا ، لم يحقق غايته ويرسخ بقدم
صاحبه في السلطة .

أما ترجمات الخلفاء والسلاطين ، فقد اعتنى فيها بالابانة عن
العناصر الآتية :

(أ) اللقب والكنية والاسم ، كنحو قوله : « الهادي موسى ،
هو أبو محمد ، موسى بن المهدي محمد بن عبد الله المنصور » .

(ب) المولد ، كنحو قوله في ترجمة هارون الرشيد : « ...
ومولده بالري ، لثلاث بقين من ذي الحجة ، سنة تسع وأربعين
ومائة ، في خلافة المنصور » .

(ج) تقدير عمر المترجم له حال توليه الخلافة أو الوفاة ،
كنحو قوله مترجما المقتدر : « ... اجتمع رأي أصحاب العقد والحل
عليه ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة وثلاثة أيام » ، وقوله مترجما
محمد الأمين : « ... عاش سبعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر » .

وقد يقترن ذلك بتحديد تاريخ ولايته ، كنحو قوله مترجما
محمد المعتز : « ... بويع بالخلافة يوم السبت ، لست خلون من
المحرم ، سنة اثنتين وخمسين ومائتين » .

(د) مدة الخلافة أو السلطنة ، كنعو قوله مترجما المعتضد :
« ٠٠٠ وكانت خلافته عشر سنين ، وتسعة أشهر ، وثلاثة أيام ،
وقيل : تسع سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوما » .

(هـ) أهم أعماله : من فتوحات ، أو رد مفسدة ، أو بناء
مدينة أو مسجد ٠٠٠ الخ ، كنعو قوله مترجما عمر بن الخطاب
رضي الله عنه : « ٠٠٠ فتوحاته : افتتح دمشق على يد أبي عبيدة بن
الجراح وخالد بن الوليد في سنة ثلاث عشرة ، وفتح الجابية ، وفتح
بيت المقدس في سنة ست عشرة ، وفتح القادسية من بلاد العجم
على يد سعد بن أبي وقاص ، وفتح سروج والرها ونصيبين والرقعة
والجزيرة وعين التمر على يد عياض بن غنم في سنة ست عشرة ،
وفتح قيسارية على يد معاوية بن أبي سفيان ، وفتح مدائن كسرى
في سنة تسع عشرة ، وفتح مصر والاسكندرية ودمياط وبرقة على
يد عمرو بن العاص ، وفتح نهاوند على يد النعمان بن مقرن في
سنة إحدى وعشرين ، وفتح أذربيجان على يد مالك بن الأشتر ،
وفتح طرابلس الغرب - وهي أول مدن الغرب - على يد عمرو بن
العاص ، وفتح كور الأهواز واصطخر على يد أبي موسى الأشعري ،
وفتح همدان وأصبهان على يد عبد الله الخزاعي ، وفي أيامه دخل
معاوية - رضي الله عنه - أرض الروم حتى بلغ عمورية ، وفتح
خراسان وأعمالها في سنة ثلاث وعشرين ، وفتح فلسطين وعسقلان
وفي أيامه زالت دولة الفرس » .

وقوله مترجما عمر بن العزيز رضي الله عنه : « ٠٠٠ ومنع من
لعن الامام على بن أبي طالب آخر الخطبة ، وجعل مكانه : » ان
الله يأمر بالمعدل والاحسان « (٩٠ : النحل) » .

وقوله مترجما عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « ٠٠٠ وعمر
في أيامه البصرة والكوفة في سنة ست عشرة ، وعمرت الجيزة

بمصر بالجانب الغربى فى سنة احدى وعشرين ، وعمر مسجد النبى
- صلى الله عليه وسلم - ووسعه فى سنة تسع عشرة ، .

وقوله مترجما أبا جعفر المنصور : « ٠٠٠ وفى أيامه شكا
الناس اليه ضيقة المسجد الحرام ، فكتب الى زياد بن عبد الله
الحارثى أمير مكة أن يشتري المنازل التى تلى المسجد الحرام
ويخربها حتى يزيد فيه ضعفه ، فأمتنع الناس من البيع ، فذكر
المنصور ذلك للامام جعفر الصادق ، فقال : سلهم ، أ هم نزلوا على
البيت أم هو نزل عليهم ؟ فكتب بذلك الى زياد ، فقال لهم ، فقالوا :
نحن نزلنا عليه ، فقال جعفر بن محمد : ان للبيت فناء ، فكتب
أبو جعفر الى زياد يهدم المنازل التى تليه ، فهدمت المنازل ، وأدخلت
عامّة دار الندوة فيه ، حتى زاد ضعفه ، وكانت الزيادة مما يلى
دار الندوة وناحية باب بنى جمح ، ولم يكن مما يلى الصفا والوادي ،
وكان البيت فى جانب الحرم ، وكان ابتداء العمارة فى سنة ثمان
وثلاثين ومائة .

وهو الذى عمر مسجد الخيف بمعى ، وصيره على ما هو عليه
من السعة ، وحج سنة أربعين ومائة لينظر ما زيد فى المسجد
الحرام ، .

وقوله مترجما المستنصر بالله العباسى : « ٠٠٠ عمر ببغداد
المدرسة المستنصرية ، ووقفها على المذاهب الأربعة ، ولم يكن بنى
على وجه الأرض مثلها ، لأنها بالعراق مثل جامع بنى أمية بالشام ،
وأوقف عليها الكتب النفيسة ، .

وقوله مترجما الظاهر بالله اسماعيل : « ٠٠٠ وهو الذى عمر
جامع الفكاهين بالشوايين ، .

(و) سجايه ، وصفاته ، كنحو قوله مترجما المتوكل : « ٠٠٠
وكان أسمر رقيقا ، مليح العينين ، خفيف اللحية ، ليس بالطويل ،

أحيا في أيامه السنة وأمات البدعة ، ولكنه كان فيه انهماك على
الطهو والشراب - سامحه الله تعالى - وكان فيه كرم زائد » .

وقوله في ترجمة المنتصر : « ٠٠٠ كان مربوعا ، سميئا ،
أقنى الأنف مليحا ، مهيبا ، كامل العقل ، يحب الخير » .

(ز) الوفاة من حيث تأريخها ، وكيفيتها ، والعلّة فيها ،
وموضع الدفن - أحيانا - ومن أمثلة ذلك قوله مترجما المعتضد
« ٠٠٠ وكانت وفاته - رحمه الله - ليلة الثلاثاء ، لست بقيت من شهر
ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين ومائتين ببغداد ، وقيل : سنة تسع
وثمانين . ودفن في دار محمد بن عبيد الله بن طاهر ، فقبره في
حجرة الرخام بها » .

وقوله مترجما محمد المنتصر : « ٠٠٠ وكان سبب موته أنه
أصابته علة الخوانيق ، وقيل : بل سم في كمثرى ، وقيل : أصابه
ورم في معدته ، وقيل : فصد بمبضع مسموم ، وقيل : بل وجد علة
في رأسه فقطر طبيبه ابن طيفور في أذنه دهنا فورم رأسه ومات » .

(ح) وزراؤه وكتابه وقضاته ، كنحو قوله مترجما أبا بكر
الصديق رضي الله عنه : « ٠٠٠ كاتبه : عثمان بن عفان رضي الله
عنه ، قاضيه : عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حاجبه : سديد
مولاه » .

(ط) بعض الطرائف أو الحكايات الغريبة المتعلقة بالمرجم له ،
كنحو قوله مترجما الحسن بن علي رضي الله عنه :

« ٠٠٠ ومن طريف أخباره ما ذكره أبو العباس المبرد : أن مروان
ابن الحكم قال يوما : اني مشغوف ببغلة الحسن ، فقال له ابن أبي
عتيق : ان دفعتها اليك ، أتقضى لي ثلاثين حاجة ؟ قال : نعم ، قال :
إذا اجتمع الناس عندك العشية فاني آخذ في مأثر قريش ، ثم أمسك

عن الحسن ، فلمنى على ذلك ، فلما أخذ القوم مجالسهم ، أخذ فى أولية قريش ، فقال له مروان : ألا تذكر أولية أبى محمد ، فان له مالىس لأحد ؟! قال : انما كنا فى ذكر الأشراف ، ولو كنا فى ذكر الأنبياء لقدمنا ما لأبى محمد . فلما خرج الحسن ليركب ، تبعه ابن أبى عتيق ، فقال له الحسن وتبسم : ألك حاجة ؟ فقال : البغلة ، فنزل الحسن عنها ، ودفعها اليه .

وقوله مترجما المهدى :

« . . . ومن أغرب الحكايات أن المهدى رأى رجلا فى المنام يخبره بهدم قصره ، فمات بعد ذلك بعشر ليال » .

وقوله مترجما جعفر المتوكل :

« . . . ومن العجب العجيب أنه قدم الى المتوكل سيفا قاطعا لا يكون مثله فى السيوف أبدا ، فطلبه منه سائر أهل مملكته ، فأبى أن يعطيه لأحد عنهم ، وقال : هذا ما يصلح الا لساعد باغر ، فأعطاه له دون غيره ، فقتل باغر - المتوكل بذلك السيف » .

(ى) العناية باثبات الأوليات والأخريات المتعلقة بالترجم له ، كنحو قوله مترجما يزيد بن معاوية :

« . . . ويزيد هذا أول من اتخذ المغانى والندماء ، وجلس فى المحفة » .

وقوله فى ترجمة المهدى :

« . . . وهو أول من مشوا بين يديه بالسيوف المسللة والقسى والنشاب والعمد ، وأول من لعب بالأكرة والصولجان فى الاسلام » .

وقوله فى ترجمة المقتدر بالله العباسى :

« . . . وهو أول من ولى من بنى العباس وهو غير بالغ » .

وقوله مترجماً أحمد الراضى بالله :

« ٠٠٠ والراضى آخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة » .

(ك) لكنه مع ذلك يسلم ببعض الخرافات ، ومنها ما جاء فى معرض حديثه عن هدية « دهمى » ملك الهند الى « المأمون العباسى » من قوله : « ٠٠٠ وكانت هديته ٠٠ وفرش من جلد حية تبتلع الفيل ، ونقش جلدها نقط سود كالدراهم فى أوساطها نقط بيض ، لايتخوف من جلس عليها مرض السل » .

وقد ترد هذه العناصر بهذا الترتيب فى الترجمات ، وقد يختل ترتيبها ، وقد تحتوى الترجمة الواحدة على هذه العناصر مجتمعة ، وقد تحتوى على جملة منها ، وقد يطول الكلام فى العنصر الواحد ليطغى على سائر العناصر ، وقد تشغل الترجمة الواحدة أكثر من ورقتين ، بينما لا تتعدى ترجمة أخرى السطور القلائل .

وأما الحموليات ، فإن « ابن دقماق » لم يقتصر فيها على الحوادث السياسية ، وإنما تناول معها الكثير من الأوضاع الادارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . . حيث أشار الى العديد من الاستقرار الوظيفية ، وما يطرأ عليها من تغاير ، وترق أو عزل الأمراء والجند .

كما أورد الكثير مما تعلق بالفاحية السياسية ، سواء فيما يخص علاقات الدولة المملوكية بالمغول والصليبيين (الفرنج) والنوبة وأولاد الكنز واليمن والعراق والمغرب العربى والتكرور بالاغارة الحروب ، أو بالسفارات وتبادل الهدايا والزيارات أو فيما يتعلق بالأوضاع السياسية الداخلية ، وما يطرأ عليها من هزات تودى بحياة بعض السلاطين ، مشيراً الى اطاعة الولاة للسلاطين أو تطاولهم عليهم ، وما يتبع ذلك - عادة - من تصدى السلاطين لمثل هذه الحالات ، وانزال الكثير من أنواع العقوبات بهم ، ومصادرة

بعضهم ، وما يتبع ذلك بالضرورة من التغيرات فى كثير من المناصب والوظائف الادارية . وكذا مايقع فى دولهم من اغارات العربان ، وتصديهم لها ، ما يكون فى عهودهم من فتوحات .

كما اهتم بابراراز أعمال السلاطين والأمراء فيما يختص بالعمارة والبناء ، سواء ببناء المدارس أو الجوامع والمساجد أو البيمارستانات أو الخوانق أو القصور أو الجسور والقناطر أو الأحواش والميادين .

كما لم يغفل الجانب الخاص من حياة السلاطين وذويهم ، ذاكرًا لمواكبهم ، وما يقع لهم أو لأولادهم من الزيجات ، أو انجاب ذكران الأولاد ، وعمل المهمات لظهورهم (ختانهم) ، ولعبهم ، وما الى ذلك .

وأهتم - كذلك - بذكر بعض المراسم الصادرة عن الادارة المملوكية ، فيما يتعلق بإبطال بعض المكوس والضمانات (٢٨)، أو الحكم والقضاء بين الناس (٢٩) ، أو إبطال الضرب بالمقارع فى مصر والشام ، فضلا عن أحكام أهل الذمة .

كما اهتم بتسجيل الأحوال الاقتصادية والصحية ، مشيرًا الى سك (ضرب) بعض العملات ، وما يعترى فيضان النيل من توقف

(٢٨) المصدر السابق ق ٦٢ ب (فيما تعلق بإبطال ضمان الموز وجهاته) ، ق ٦٢ أ (فيما تعلق بإبطال ضمان الحشيش) ، ق ٨٠ (فيما تعلق بإبطال حقوق الغلة ، والعرضات ، والمسامحة بنصف السمسرة ، ورسوم الولاية ، والمقدمين ، وكتاب الولاية ، وحقوق السجون وضماناتها وقود الخيل ، وعداد النخل ، واتيان المعاصر ، ومقرر الملاهي ، والمناشر ، وما يطلب به الحي عن الميت ، والحاضر عن الغائب ، والمحدث على بركة الحبش ، والبرطيل من الولاية والنظار وأرباب الوظائف) ، ق ١٠٠ أ (فيما تعلق بإبطال ضمان المغاني) .

(٢٩) نفسه ق ٩٤ ب (فيما تعلق بوكلاء باب الشرع الشريف) ، ق ١٠٩ أ (فيما تعلق بحكم السلطان الظاهر برقوق بنفسه بين الناس) .

أو وفاء ، وما يتبع ذلك من رخص أو تمايز في أسعار بعض المأكولات ، كالقمح والشعير والفول والخبز ، وما يحدث في بعض الأزمات الاقتصادية (أو المجاعات) من تكافل اجتماعي (٣٠) ، وما ينزل بالبلاد من الطواعين والأوبئة .

كما سجل بعض الظواهر الطبيعية (٣١) ونبه على بعض المفاسد الاجتماعية ، كظهور « خناقة » ، أو احتيال بعضهم للآيهاام بوجود الجان ، أو الاختلاس والسرقات .

كما اهتم بأمر الحج ، وما يكون من اصلاح لطرقه ومناسكه . ونبه من خلال هذه الحـوليات الى وفيات كثير من الملوك والسلاطين والأمراء والخلفاء والعلماء في مصر وفي خارجها . وهكذا ، فان « ابن دقماق » لم يرد بمادة الكتاب الترجمة البحتة لسلاطين المماليك ، اقتصارا على العناصر المدروسة في ترجماتهم (٣٢) بعيدا عن ما يحوطهم من حوادث - على اختلاف أنواعها - هادفا من وراء ذلك الى قياس مراكز دولهم ، لما فيه من أهمية في تقويمهم .

(٣٠) نفسه ق ١٦٢ ، حيث أشار الى ذلك في حولية ستين وستمئة قائلا : « ... وفيها ، غلت الأسعار ، وعمدت الغلة ، فجمع السلطان الحرافيش وعدهم وقسمهم ، فأخذ لنفسه خمسمئة ، ولولده الملك السعيد خمسمئة ، ولنائبه بيليك الخازندار ثلاثمئة ، وفرق البقية على الأمراء ، ورسم أن يعطى لكل حرفوش في كل يوم رطلين خبزا ، فما رنى أحد يسأل بالديار المصرية من الفقراء » .

(٣٠م) نفسه ق ٦٣ ب ، ٨٨ ب ، ٨٩ أ .

(٣١) المصدر السابق ق ٧٧ أ ، حيث أشار الى بعض الزلازل ، قائلا : « ... وفيها (سنة ٧٠٢هـ) زلزلت الأرض الزلزلة العظمى ، وتساقطت البيوت ، وتشققت الجبال ، وتشعثت الأسوار ، وخرجت النساء حاسرات الى الطرقات ، وكان تأثيرها بالاسكندرية أشد وأعظم » .

(٣٢) وان أراد ذلك في ترجمات الخلفاء والسلاطين الأيوبيين السابقين عليهم ، ربما لانتمائه الى هذه الدولة ، فضلا عن بقائها أو معاصرتها .

مصادر مادة الكتاب

أولا : أنواع المصادر :

(١) المشافهة : ويمثلها قوله مترجما « الظاهر برقوق » :

« ... أخبرني بذلك قاضى القضاة ، عماد الدين العامرى الأزرقى ، وذكر لى أنه .. »

(ت) المؤلفات السابقة ، وتتمثل فى :

- ١ - صحيح البخارى (ت ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م) .
- ٢ - الطبقات لمسلم القشيرى (ت ٢٦١ هـ / ٨٧٥ م) .
- ٣ - تاريخ اليعقوبى (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) .
- ٤ - الكامل للمبرد (ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م) .
- ٥ - التاريخ لابن أبى مريم (ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٧ م) .
- ٦ - التاريخ لثابت بن قرة (ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م) .
- ٧ - الجليس الصالح الكافى والأنيس الناصح الشافى للمعافى بن زكريا النهروانى (ت ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م) .

- ٨ - سيرة أحمد بن طولون للبلاوى .
- ٩ - الاستيعاب لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) .
- ١٠ - مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م)
- ١١ - وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) .
- ١٢ - ذيل مرآة الزمان لليونينى (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) .
- ١٣ - نهاية الأرب للنويرى (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م) .
- ١٤ - تاريخ الاسلام ودول الاسلام للذهبى (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) .
- ١٥ - فوات الوفيات لابن شاکر الكتبى (ت ٧٦٤ / ١٣٦٣ م) .
- ١٦ - الامام بالاعلام فيما جرت به الأحكام والأمر المقضية فى واقعة الاسكندرية للنويرى السكندرى (كان حيا سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٢ م) .
- ١٧ - درة الأسلاك فى دولة الأتراك للحسن بن حبيب (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) .

ثانياً : الاسناد الى المصادر :

تنوعت طرق « ابن دقماق » فى الاسناد الى المصادر على النحو التالى :

(أ) الاسناد الى المصدر ، مصرحاً بعنوان واسم مؤلفه :

ويمثله قوله :

« ... ذكر مسلم فى الطبقات من حديث عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - قالت : ... »

وقوله :

« ٠٠٠ حكي القاضي أبو الفرج المعافى فى كتابه الجليس والأنيس ، قال : ٠٠٠ »

(ب) الاستناد الى المصدر ، مصورها باسم المؤلف دون عنوان الكتاب :

ويمثله قوله :

« قال أبو عمر بن عبد البر : ٠٠٠ »

وقوله :

« ٠٠٠ وحكى الشيخ محمد بن شاكر الكتبي - فيما رآه مكتوباً بخط الامام العالم العلامة علم الدين البرزالي - قال : ٠٠٠ »

(ج) الاستناد الى المصدر البعيد ، مع اغفال ذكر المصدر القريب المأخوذ لديه عنه :

ويمثله قوله :

« ٠٠٠ وقال قتادة : كان عمر - رضى الله عنه - يلبس جبة صوف مرقوعة بأدم ، ويطوف فى السوق ، ومعه الدرة يؤدب بها الناس » .

ويقابله فى « دول الاسلام » للذهبي قوله :

« ٠٠٠ وقال قتادة : كان عمر يلبس جبة صوف مرقوعة بأدم ، ويطوف فى السوق ، معه الدرة يؤدب الناس بها » .

وقوله مترجماً الحسن بن على رضى الله عنه :

« ٠٠٠ ومن طريف أخباره ما ذكره أبو العباس المبرد : أن مروان بن الحكم قال يوماً : انى مشغوف ببغلة الحسن ، فقال له ابن أبى عتيق : ان دفعتها اليك تقضى لى ثلاثين حاجة ؟ قال :

نعم ، قال : اذا اجتمع الناس عندك العشية فانى آخذ فى مآثر قريش ، ثم أمسك عن الحسن ، فلمنى على ذلك . فلما أخذ القوم مجالسهم ، أخذ فى أولية قريش ، فقال له مروان : ألا تذكر أولية أبى محمد ، فان له ماليس لأحد ؟! قال : انما كنا فى ذكر الأشراف ، ولو كنا فى ذكر الأنبياء لقدمنا ما لأبى محمد . فلما خرج الحسن ليركب ، تبعه ابن أبى عتيق ، فقال له الحسن وتبسم : ألك حاجة ؟ فقال : البغلة ، فنزل الحسن عنها ودفعها اليه .

ويقابله لدى « ابن خلكان » قوله :

« . . . ومن طريف أخباره ما ذكره أبو العباس المبرد : أن مروان ابن الحكم قال يوما : انى مشغوف ببغلة الحسن ، فقال له ابن عتيق : ان دفعتها اليك اتقضى لى ثلاثين حاجة ؟! قال : نعم ، قال : فاذا اجتمع الناس عندك العشية ، فانى آخذ فى مآثر قريش ثم أمسك عن الحسن ، فلمنى على ذلك . فلما أخذ القوم مجالسهم أفاض فى أولية قريش ، قال له مروان : ألا تذكر أولية أبى محمد ، وله فى هذا ماليس لأحد ؟ قال : انمسا كنا فى ذكر الأشراف ، ولو كنا فى ذكر الأنبياء لقدمنا ما لأبى محمد ، فلما خرج ليركب تبعه ابن أبى عتيق ، فقال له الحسن وتبسم : ألك حاجة ؟ قال : نعم ، البغلة ، فنزل عنها ودفعها اليه . »

(د) اغفسال الاستناد الى المصدر :

كما وجد أن « ابن دقماق » قد نقل الكثير من مادة كتابه عن «وفيات الأعيان» لابن خلكان ، و « دول الاسلام» للذهبي ، غير مصرح فيها بالنقل عنهما ، ومن ذلك قوله :

« . . . وكان نور الدين الشهيد ملكا عادلا ، كثير الصدقات ، زاهدا ، عابدا ، مستمسكا بالشريعة ، مائلا الى أهل الخير ،

مجاهدا في سبيل الله - تعالى - بنى المدارس بأكثر بلاد الاسلام
الكبار : دمشق وحلب وحماه وحمص وبعليك ومنبج والرحبة ،
وبنى بالموصل الجامع النورى ، وبحماه الجامع الذى على نهر
العاص ، وجامع الرها ، وجامع منبج ، والمارستان بدمشق ودار
الحديث بدمشق » .

ويقابله لدى ابن خلكان قوله :

« . . . وكان ملكا عادلا ، زاهدا ، عابدا ، ورعا ، مستمسكا
بالشريعة ، مائلا الى أهل الخير ، مجاهدا في سبيل الله تعالى ،
كثير الصدقات ، بنى المدارس بجميع بلاد الشام الكبار ، مثل :
دمشق وحلب وحماه وحمص وبعليك ومنبج والرحبة وبنى
بمدينة الموصل الجامع النورى ، ورتب له ما يكفيه ، وبحماه الجامع
الذى على نهر العاصى ، وجامع الرها ، وجامع منبج ، وبمارستان
دمشق ، ودار الحديث بها - أيضا - وله من المناقب والمآثر والمفاخر
ما يستغرق الوصف » .

وقوله :

« وكان (القادر بالله) أبيض ، كبير اللحية ، يخضبها ، وكان
كثير التهجد بالليل ، كثير الصدقات » .
ويقابله لدى « الذهبى » قوله :

« وكان أبيض ، كبير اللحية ، يخضبها ، وكان دائم
التهجد ، كثير الصدقات » .

ثالثا : طرق النقل :

راوح « ابن دقماق » فى « الجواهر الثمين » بين النقل الحرفى
عن مصادره - قدر الامكان - والنقل عنها متصرفا فى عباراتها ،
ويمثل الاتجاه الأول قوله مترجما « الناصر ، صلاح الدين الأيوبى »

« قال الشيخ شمس الدين ابن خلكان : سمعت من جماعة من أهل دمشق يقولون : ان الدعاء عند قبره مستجاب ، ولقد جربت ذلك فصيح » .

وهو قول مطابق وقول مصدره :

« . . . وسمعت من جماعة من أهل دمشق يقولون : ان الدعاء عند قبره مستجاب ، ولقد جربت ذلك فصيح ، رحمه الله تعالى » .

بينما يمثل الاتجاه الثانى قوله فى « الحجاج بن يوسف الثنى » :

« حكى القاضى أبو الفرج المعافى فى كتابه الجليس والأنيس قال :

لما أراد الحجاج بن يوسف الخروج من البصرة الى مكة - شرفها الله تعالى - خطب الناس ، فقال : يا أهل البصرة ، انى أريد الخروج الى مكة ، وقد استخلفت عليكم محمدا ابنى ، وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى الأنصار ، فانه أوصى : أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئتهم ، ألا وانى أوصيت عليكم : أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ، ألا وانكم قائلون بعدى كلمة لا يمنعكم من اظهارها الا الخوف : لا أحسن الله الصحابة ، ألا وانى معجل لكم الجواب : وانتم ، لا أحسن الله لكم الخلافة » .

ويقابله لدى « النهروانى » قوله :

« حدثنا الحسين بن أحمد الكلبى » قال : حدثنا محمد بن زكريا ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن عائشة ، قال : حدثنى أبى ، قال : أراد الحجاج الخروج من البصرة الى مكة، فخطب الناس ، فقال : يا أهل البصرة ، انى أريد الخروج الى مكة ، وقد

استخلفت عليكم محمدا ابني ، وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الأنصار ، فإنه أوصى في الأنصار أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئتهم ، إلا واني قد أوصيته فيكم ألا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ، إلا وانكم قائلون بعدى كلمة ليس يمنعكم من اظهارها الا الخوف ، إلا وانكم قائلون : لا أحسن الله له الصحابة ، واني معجل لكم الجواب : لا أحسن الله عليكم الخلافة » .

وبالمقابلة بين النصين نجد أن « ابن دقماق قد تصرف في منقوله عن مصدره ، في بعض مواضع ، يمكن اجتماعها على النحو التالي :

الزهرواني	ابن دقماق
أراد	لما أراد
الحجاج	الحجاج بن يوسف
مكة	مكة شرفها الله تعالى
فخطب	خطب
فانه أوصى في الأنصار	فانه أوصى
قد أوصيت فيكم ألا يقبل	أوصيت عليكم أن لا يقبل
ليس يمنعكم	لا يمنعكم
ألا وانكم قائلون	x
لا أحسن الله له الصحابة	لا أحسن الله الصحابة
واني معجل	ألا واني معجل
لا أحسن الله عليكم الخلافة	وانتم لا أحسن الله لكم الخلافة

ومن أمثلة ذلك - أيضا - قوله في « الفضل المطيع » :

« ... ولم يكن له من الخلافة الا الاسم ، وانما الأمر لمعز الدولة ابن بويه الديلمي ، فرتب له في كل شهر ثلاثة آلاف دينار لنفقته ، وانحطت درجة الخلافة جدا » .

ويقابله قول مصدره :

« ... فكان من تحت يد معز الدولة لا له معه حل ولا ربط ، وقرر له في الشهر ثلاثة آلاف دينار لنفقته ، وانحطت رتبة الخلافة جدا » .

وقوله في : الراضى بالله :

« ... وكان قصيرا ، أسمر ، نحيفا ، مرض أياما ثم تقيأ دما ومات ، وكان أكثر آفاته الجماع »

ويقابله قول مصدره :

« ... وكان قصيرا ، أسمر ، نحيفا ، كانت خلافته ست سنين وأشهرا ، وله شعر جيد مدون ، مرض أياما ، ثم قاء دما كثيرا ومات ، وكان أكبر آفاته كثرة الجماع » .

النقد التاريخي

« ابن دقماق » - شأنه شأن كثير من المؤرخين التقليديين - لا يتوغل في الحوادث لمعرفة الأسباب الدافعة اليها ، حتى يمكنه تحليلها أو اصدار حكم صائب على ذويها ، ولذا فانه وقد أدرك السبب في ضعف الخلافة العباسية في طورها الثاني ، وهو تغلب أمراء الجند على مقاليد الأمور في بغداد وأطرافها ، وحجبهم للخلفاء والتحجير عليهم ، والاستئثار بالسلطة من دونهم الى الحد الذي جعل الفضل المطيع « لم يكن له من الخلافة الا الاسم ، وانما الأمر لمعز الدولة ابن بويه الديلمي » ، وحكم المستظهر العباسي « لايتعدى باب داره » ، يحمل تلك الشخصيات الضعيفة التي كانت في أيدي من أقاموها من السلاطين والأمراء كالدمى في أيدي اللاعبين ، مسئولية اضعاف دست الخلافة ، وبالتالي يعزو خلعها أو ثمل أعينها وتعذيبها ، أو قتلها الى مانسب اليها من أعمال ، كمنحو قوله في ترجمة المستعين العباسي : « ٠٠٠ فلما أقام ببغداد بايع الأتراك المعتز بالله بسر من رأى ، وخلعوا المستعين ، لأن أموره كانت قد اضطربت ، لأنه كأن يولى الرجل في وظيفة ثم يعزله عنها ، ثم يرده اليها ، ثم يعزله عنها ٠ وقال الحكماء : ما على الدول

شر من تقلب الولاة ، ولا اختلفت الآراء على الدولة الا تعجل هلاكها ،
ولا قدم السفلة وترك أعيان الناس الا احتقرت تلك الدولة » .

ولكن ، ماذا يكون تأثير هذا مع مثل هؤلاء المتغلبين ، بل
كيف يكون منه ما نسب اليه ، دون علم وتخطيط المحجرين عليه
السالميين لسلطانهم ، الى الحد الذى جعله يقول عن بعضهم فى
الترجمة للقادر بالله : « ٠٠٠ وكان الديلم قد عظم أمرهم ، وزاد
شرهم ، حتى خشى على الخلافة منهم » .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فانه متعاطف مع الخلافة
العباسية - أيما تعاطف - حيث تطالعنا بين ثنايا كتابه عبارات ،
منها قوله فى معرض الحديث عن خلافة هارون الرشيد :

« ٠٠٠ وفى أيامه كملت الخلافة بكماله وعدله ، وتواضعه ،
ودينه ، وزيارة الصالحين فى ديارهم » .

وقوله فى الترجمة للحسن المستضىء :

« ٠٠٠ فاستضاءت الدنيا ببيعته ، وهاجروا - الناس - الى
بغداد لعدله وحسن سيرته » .

وقوله فى خليفة وقته ، « المتوكل على الله ، أبى عبد محمد » :

« ٠٠٠ واستقر عاليا مناره ، بإدبا فخاره ، شائعة بالخير
أخباره ، واستمر يهتدى من أفق التوفيق بأنور مقياس ، ويقتفى
آثار من سلف من آبائه خلفاء بنى العباس ، اللهم أصلحه بما
أصلحت به الخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين ، الذين قضوا بالحق
وبه كانوا يعدلون يارب العالمين » .

وتأمله لثمل أعين بعض خلفاء بنى العباس ، كما يستشف من
قوله :

« ٠٠٠ واجتمع في بغداد ثلاثة خلفاء عميان ، فلا حول ولا
قوة الا بالله » ٠٠

والشيء عينه (التعاطف والاجلال) يفعله مع سلطان عصره
« الظاهر برقوق » ، وقد ولى له بعض الوظائف في ظل الادارة
الملوكية ، كما كان انشاء الكتاب باشعارته ، حيث يختتم كتابه
بقوله فيه :

« ٠٠٠ وفيها (سنة ٧٩٧ هـ) ، في يوم الثلاثاء ، ثالث عشر
صفر حضر الركاب الشريف السلطاني الملكي الظاهري ، وفرشت له
الشقق من قبة النصر الى القلعة ، وطلع الى قلعته مؤيدا منصورا ،
واستقر على سرير ملكه ، وقال الشاعر :

فلو استطاعت مصر أن تأتي الى

أبوابه بالشسام لم تقاخر

لكن دعاه ملكها يشقاه

شوق الرياض الى السحاب الممطر

فأجابه من مجده عزم له

لو لف سسيل السفح لم يتحدر

(الكامل)

ولو استطاعت الممالك تسعى الى حيث حل ، ولو قدرت على
اتحاف خزائنه بما فيها أتحفت بكل ما أودعت ، فالأقاليم والحصون
في انتظار عساكره ، وأجناد الممالك بين نواحيه وأوامره ، فهو خلد
الله ملكه المنتظر لا المنتظر ، والملك على الحقيقة ، وليس العيان

كالخبر ، وهو - أذل الله أعداء دولته وأبادهم بقهره وسطوته - كما
قال الشاعر :

يامن قضى الله أن الأرض يملكها
عجل ففي كل قطر أنت منتظر
(البسيط)

وقال الشاعر :

خلفت كـمـا أرادتك المعـالى
فأنت لمن رجـاك مـا تريد
عجبت أن سـيفك ليس يروى
وفى حبل السـوريد له ورود
وأعجب منه رمحك كيف يسـقى
فيصـدو وهو تشـوان يـميد
(الوافر)

فإن الله - تعالى - يديم أيام مولانا السلطان الملك الظاهر في
سعادة مستقرة ، وسيادة على ملوك الزمان مستمرة ، فالسعيد
يسأله من خوف سطوته ، والملوك تخدمه لشمول نعمته ، والكتب
تخلد بمحاسن سيرته ، والألسن والأقلام تتوافق على فضائل دولته،
جعلها الله - تعالى - للعدل مواسم، وللمجرمين مياسم، بمنه وكرمه* .

ومع ذلك فإن لابن دقماق فلسفة خاصة في إثبات ترجمات
كتابه ، حيث وجد وقد جرد بعض الشخصيات المترجم لها في الكتاب

من صفة « السلطنة » ، أو أسقطها من التسلسل الترتيبي المتبع في كتابه ، ومن ذلك ترجمته لشجر الدر ضمن تراجم سلاطين « الدولة الأيوبية » ، معنونا لذلك بقوله : « ذكر سلطنة شجر الدر ، أم خليل » ، ومع ذلك فإنه قد أسقطها من حيث التسلسل الترتيبي لسلاطين هذه الدولة ، فقد سبقتها ترجمة « المعظم ، تورانشاه » معنونة بقوله : « السلطان السابع من بنى أيوب » ، وتبعها ترجمة « الأشرف ، مظفر الدين ، موسى » معنونة بقوله : « السلطان الثامن من بنى أيوب بمصر » ، لتكون فترة وسطا بين هذا وذاك ، ولتكون سلطنتها في مصر حدثا جرى في حينه ، وعدم عدها ضمن سلاطين الدولة اقرارا بعدم شرعية ذلك ، حسبما ورد في رسالة الخليفة العباسي اليهم . ثم ان « شجر الدر » ليست من نسل الأيوبيين لتعد ضمن سلاطينهم ، وليست جديرة بالسلطنة لكونها امرأة - على الرغم مما عد لها من صفات - لتكون من سلاطين الدولة المملوكية ، ولذا ترجم « المعز ، أيبك التركمانى » معنونا بقوله : « السلطان الأول من ملوك الترك » .

وهذه الحاسسة التأريخية الواعية لم يلتفت اليها كثير من المؤرخين المعاصرين - على الرغم من اطلاعهم على كتابه ، ونقلهم عنه - فعدوها البعض آخر سلاطين « الدولة الأيوبية » ، بينما جعلها البعض الآخر السلطان الأول من سلاطين « المماليك » .

والشئ عينه - مع فارق في التقدير - يمكن أن ينسحب على اسقاطه ترجمة « المنصور ، محمد ، ابن العزيز ، عثمان » من عداد السلاطين المترجم لهم على التتابع ، ضمن سلاطين بنى أيوب في مصر ، مما دفع ناسخى مخط . دار الكتب المصرية ، وأحمد الثالث (ذات الرقم : ٢٩٠٣) الى اثبات ترجمته ضمن ترجماتهم ، والعمد

الى تعديل الترتيب ، فأتت فى متن الأولى وفى حاشية الثانية ، ليخالف « ابن دقماق » بذلك سائر من أرخ لهذه الدولة من السابقين والمعاصرين . وهذه المخالفة ليست عن غير وعى بما يدون ، ولكنها مخالفة مقصودة ، توجهها فلسفة تاريخية لديه ، جعلته يعتبر فترة حكمه - القصيرة - فترة وسطا بين سلطانين قويين ، هما « العزيز عثمان » و « العادل أبو بكر » ، مما يجعله - من وجهة نظره - غير جدير بالاستحواذ على لقب سلطان ، وعده من سلاطين هذه الدولة المؤرخ لها .

بين المخطوط والمطبوع

ما كاد الدارس يفرغ من اعداد هذا الجزء من البحث ، حتى طولع بنشرة للجوهر الثمين ، صادرة عن « جامعة أم القرى » (٣٣) . ونظرا لانتسابها الى علمين لهما مكانة مرموقة في مجال الكتابة التاريخية - دراسة وتحقيقا - فلعله يكون مفيدا دراسة هذه النشرة تقويما لها .

أولا : عنوان الكتاب :

أتى عنوان الكتاب في هذه النشرة على النحو التالي :
« الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين » ، دون دراسة أو تحقيق (٣٤) .

(٣٣) راجع : ابن دقماق . الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين . تحقيق د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، ومراجعة د . أحمد السيد دراج . جامعة أم القرى ، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي ، بدون تاريخ .

(٣٤) ان لم يقابل المحقق بين النسخ الخطية للكتاب - في هذا الموضع - كما لم يعمل لاقتصاره في اثبات العنوان على هذه النسخة دون سواها .

وهذا العنوان وان اتفق مع محتوى الكتاب ، لا يتخذ أصلا
يعول عليه فى التحقيق ، لاعتبارين هما :

أولا : انفراد نسخة « أحمد الثالث » ، ذات الرقم
« ٢٩٨٤ / ٢ » بإيراد هذا العنوان على هذه الكيفية ، بينما خالفها
سائر النسخ فيه ، موردة له على النحو التالى :

« الجواهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين » .

ولما كانت هذه النسخة كثيرة الابدال والتعديل فى جوانب
النص - كما اتضح لى عند المقابلة بين النسخ الخطية للكتاب -
فان احتمال تعديلها للعنوان يظل قائما .

ثانيا : أن خطبة الكتاب فى نسخ : « حكيم أوغلى » و « آيا
صوفيا » و « التيمورية » و « أحمد الثالث ، ذات الرقم : ٢٩٠٣ » ،
قد ورد فيها العنوان على النحو التالى :

« الجواهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين » .

مما لا يعد اهمالا فى تحرير عنوان الكتاب قد أغفلته تلك النسخ ،
والا لاستدرك فى المتن .

ثانيا : منهج التحقيق :

اعتمد المحقق فى اخراج هذه النشرة على التلقيق بين سائر
النسخ المخطوطة ، وقد كان الأولى به اتخاذ مخطوطة « حكيم
أوغلى » أصلا للتحقيق مع مقارنتها بسائر النسخ ، لنقلها عن خط
المؤلف ، ولكونها أصلح النسخ وأضبطها ، ولذا أثقل النص بالكثير
مما أتى محرفا ممسوخا فى مخطوطتى « أحمد الثالث ، ذات الرقم :
٢٩٨٤ / ٢ » و آيا صوفيا » .

ثالثًا : لم تراجع النسخة المحققة على الأصول مراجعة جيدة ، وكذا لم تراجع تجارب الطباعة على الأصول ، ولذا أتى النص كثير الاستقطاعات والتحريف .

أما الاستقطاعات ، فيمكن حصرها على النحو التالي (٣٥) :

« ٠٠٠ وروينا في البخاري عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه (قال) : خطبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال ٠٠٠ » (٣٦)

« ٠٠٠ بويع في اليوم الذي مات (فيه) رسول الله ٠٠ » (٣٧)

« ٠٠٠ فقرع (عليها) الباب ، ففتحت له ٠٠٠ » (٣٨)

« ٠٠٠ والدخان يطلع من (بين) شعر لحيته ، حتى استوت عصيدة ، فجعلها (في) قصعة ٠٠٠ » (٣٩) .

« ٠٠٠ وروى أن عليا قسم ما في بيت (المال بين) المسلمين ، ثم أمر به فكنس ٠٠٠ » (٤٠) .

« ذكر الشيخ شمس الدين ابن خلكان أن امرأته جعدة بنت الأشعث سمته » (فمكث شهرين) ، وأنه ليرفع من تحته في اليوم كذا وكذا طست من دم » (٤١) .

(٣٥) سوف يستكمل الساقط بوضعه بين قوسين .

(٣٦) ابن دقماق . الجوهر الثمين ص ٢٨ .

(٣٧) نفسه ص ٢٩ .

(٣٨) نفسه ص ٤٠ .

(٣٩) نفسه ص ٤١ .

(٤٠) نفسه ص ٥٢ .

(٤١) المصدر السابق ص ٥٥ .

» ٠٠٠ قال معاوية رضى الله عنه : (ما زلت أطمع فى الخلافة منذ قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم) : يا معاوية ، اذا ملكت فأحسن « (٤٢) .

» ٠٠ وأقام خليفة تسع عشرة سنة وأشهر ، (ولما مات قام بالأمر بعده ولده يزيد « (٤٣) .

» ٠٠٠ قيل : ان زوجته سمته (فمات) « (٤٤) .

» ٠٠٠ (لا) وانكم قائلون بعدى كلمة ٠٠٠ « (٤٥) .

» ٠٠٠ فذكر له ذلك (فضحك) ، وقال : والله ان أحدهما ابن باقلانى ، والآخر ابن حجام « (٤٦) .

» ٠٠٠ ودفن بها ، وعفى (قبره) ، وأجرى عليه الماء « (٤٧)

» ٠٠٠ وكان الوليد (من) أجمل الناس ٠٠٠ « (٤٨) .

» ٠٠٠ فجهز يزيد عسكريا اليه (فحاربوه) « (٤٩) .

» ٠٠٠ بويع بالخلافة بعد أخيه (يزيد) فى ٠٠ « (٥٠) .

» ٠٠٠ هو أبو العباس ، عبد الله بن محمد بن (على بن)

عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمى « (٥١) .

(٤٢) نفسه ص ٥٧ .

(٤٣) نفسه ص ٥٩ .

(٤٤) نفسه ص ٦٣ .

(٤٥) نفسه ص ٦٧ .

(٤٦) نفسه ص ٦٨ .

(٤٧) نفسه ص ٦٩ .

(٤٨) نفسه ص ٧٨ .

(٤٩) نفسه ص ٨٠ .

(٥٠) نفسه ص ٨٣ .

(٥١) نفسه ص ٨٨ .

» (وكانت بيعته بالكوفة) ، وصعد المنبر ، وخطب
قائما ٠٠٠ « (٥٢) ٠

» وكان أبو العباس السفاح أبيض ، مليحاً ، (سميناً) ، حسن
الهيئة « (٥٣) ٠

» ٠٠٠ فكتب (بذلك) الى زياد ٠٠٠ « (٥٤) ٠

» ٠٠٠ الى أن وصل (الى) مكة « (٥٥) ٠

» ٠٠٠ وزراؤه : (يحيى بن) خالد ٠٠٠ « (٥٦) ٠

» ٠٠٠ وهو أول خليفة أبواه (هاشمياً) من بني
العباس « (٥٧) ٠

» ٠٠٠ كان اماماً عالماً ، محدثاً ، (نحويًا) ، لغويًا ،
أديباً ٠٠٠ « (٥٨) ٠

» ٠٠٠ وأسأله أن يصلي على محمد (عبده) ورسوله ، وعلى
أهل بيته « (٥٩) ٠

» ٠٠٠ ولولا أن السنة (لنا) جارية ٠٠٠ « (٦٠) ٠

(٥٢) المصدر السابق ص ٨٩ ٠

(٥٣) نفسه ص ٩٠ ٠

(٥٤) نفسه ص ٩٢ ٠

(٥٥) نفسه ص ١٠٢ ٠

(٥٦) نفسه ص ١٠٣ ٠

(٥٧) نفسه ص ١٠٤ ٠

(٥٨) نفسه ص ١٠٦ ٠

(٥٩) نفسه ص ١٠٨ ٠

(٦٠) نفسه ص ١٠٩ ٠

- » ٠٠٠ ومنعوه من الماء (حتى) عاين التلف ٠٠٠ « (٦١) :
- » ٠٠٠ فلما قتله الأتراك ، تضاربوا على السفط ، (ظنوا أن فيه ذخائر ، فلما رأوا مافيه ندموا على قتله) « (٦٢) .
- » ٠٠٠ ابن الأمير الموفق (بالله) طلحة ٠٠ « (٦٣) .
- » ٠٠٠ وقيل (يوم) الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت منه ٠٠٠ « (٦٤) .
- » ٠٠٠ فنذرت لله - تعالى - أن ولاني الله - عز وجل - (الخلافة) لأقتلنه « (٦٥) .
- » ٠٠٠ وإنما اشتهر بجعفر (تشبهه بجعفر المتوكل) « (٦٦) .
- » ٠٠٠ ثم في سنة (ست) عشرة وثلاثمائة ٠٠٠ « (٦٧) .
- » ٠٠٠ يصرف في كلفة الحاج و (الى) أهل الحرمين في كل سنة ٠٠٠ « (٦٨) .
- » هو أبو منصور ، محمد بن المعتضد أحمد بن (الأمير) الموفق طلحة بن جعفر المتوكل « (٦٩) .

-
- (٦١) نفسه ص ١٢٤
- (٦٢) نفسه ص ١٢٧
- (٦٣) نفسه ص ١٣٠
- (٦٤) المصدر السابق
- (٦٥) نفسه ص ١٣٢
- (٦٦) نفسه ص ١٣٥
- (٦٧) نفسه ص ١٣٧
- (٦٨) نفسه ص ١٤٠
- (٦٩) نفسه ص ١٤١

» (ولم يغدر بأحد قط) ، وكان وفى العهد ، حسن الخلق
والخلق « (٧٠) .

» ٠٠٠ و (كان) سبب ذلك أن معز الدولة كان رافضيا « (٧١)

» ٠٠٠ وحمل الى بغداد ، (فدفن) بتربة ٠٠٠ « (٧٢) .

» خرج فى غزوته ، (يوم السبت) ، ثانى عشر جمادى
الأولى ٠٠٠ « (٧٣) .

» ٠٠٠ كما سيأتى (فى) ترجمته ان شاء الله تعالى « (٧٤) .

» ٠٠٠ وعنفه على سوء (ما) فعله مع أستاذه ٠٠٠ « (٧٥) .

» ٠٠٠ فلقى عليها الأمير على بن حديثة — من آل فضل —
فى أربعمئة فارس من العرب (فرحلوا) فى خدمته « (٧٦) .

» ٠٠٠ فلما (أصبح) جاء قرابغا بمن معه من التتار « (٧٧)

» ٠٠٠ فلما جاءت الأخبار (بوفاة) عزل ابراهيم « (٧٨) .

» ٠٠٠ (الامام) المعتضد بالله أبو بكر « (٧٩) .

٠ (٧٠) نفسه ص ١٤٥

٠ (٧١) نفسه ص ١٤٧

٠ (٧٢) نفسه ص ١٥٠

٠ (٧٣) نفسه ص ١٥٢

٠ (٧٤) نفسه ص ١٦٥

٠ (٧٥) نفسه ص ١٧٩

٠ (٧٦) المصدر السابق ص ١٨٥

٠ (٧٧) نفسه

٠ (٧٨) نفسه ص ١٨٩

٠ (٧٩) نفسه ص ١٩١

- » ٠٠٠ وقيل : ان هذا (هو) الذى يدعو أبو عبد الله الشيعى
له ٠٠٠ « (٨٠) .
- » ٠٠٠ وبنى مدينة (و) سماها المنصورية واستوطنها « (٨١) .
- » ٠٠٠ هو الامام الحاكم بأمر الله أبو على منصور (ابن)
العزیز ٠٠٠ « (٨٢) .
- » ٠٠ ومات (يوم) السبت ، لأربع خلون من جمادى
الآخرة ٠٠٠ « (٨٣) .
- » ٠٠٠ ومات العاضد (بالقصر) يوم عاشوراء « (٨٤) .
- » ٠٠٠ وقلعة صافيتا (وقلعة هونين) وقلعة بانياس ٠٠ « (٨٥)
- » ٠٠٠ سمع الحديث بالاسكندرية (ومصر) « (٨٦) .
- » ٠٠٠ فى (سنة) ست وستمئة « (٨٧) .
- » كان رحمة الله (— تعالى —) ذا رأى سديد ٠٠ « (٨٨) .
- » ٠٠٠ وكان تورانشاه (مقيما) بقلعة حصن كيفا « (٨٩) .
- » ٠٠٠ ومات (و) فى حبسه ٠٠ « (٩٠) .

-
- (٨٠) نفسه ص ١٩٥ .
- (٨١) نفسه ص ٢٠٠ .
- (٨٢) نفسه ص ٢٠٤ .
- (٨٣) نفسه ص ٢١٣ .
- (٨٤) نفسه ص ٢٢٠ .
- (٨٥) نفسه ص ٢٢٢ .
- (٨٦) نفسه ص ٢٣٠ .
- (٨٧) نفسه ص ٢٣٢ .
- (٨٨) نفسه .
- (٨٩) المصدر السابق ص ٢٤٦ .
- (٩٠) نفسه ص ٢٤٧ .

- « السلطان السابع من (بنى) أيوب » (٩١) :
- « ٠٠٠ فاعتقل بدار ابن لقمان (بالمنصورة) ٠٠ » (٩٢) .
- « ٠٠٠ ويقرب غلمانہ الذين حضروا (معه) من حصن كيفا » (٩٣) .
- « ٠٠٠ وهو الذى يقال (فيه) مخاطبة للفرنسيين ٠٠ » (٩٤)
- « ٠٠٠ فاستشار (الأمير) سيف الدين قطز الأمراء فى أمرهم ٠٠٠ » (٩٥) .
- « ٠٠٠ فخافت الناس (خوفا) من عود البحرية اليهم ٠٠٠ » (٩٦) .
- « ٠٠٠ ومقدمهم (الأمير) عز الدين أيقان سم الموت » (٩٧) .
- « ٠٠٠ ونزلوا تحت الجبل الأحمر ، فاتصل بالأمراء (الذين بمصر قدومهم) ، وكان نائب الغيبة ٠٠٠ » (٩٨) .
- « ٠٠٠ فانكسر (سنقر) الأشقر ، وطلع الى صهيون ، فعصى بها » (٩٩) .

-
- (٩١) نفسه .
- (٩٢) نفسه ص ٢٤٩ .
- (٩٣) نفسه .
- (٩٤) نفسه ص ٢٤٩ .
- (٩٥) نفسه ص ٢٦٣ .
- (٩٦) نفسه ص ٢٧٢ .
- (٩٧) نفسه ص ٢٧٧ .
- (٩٨) نفسه ص ٢٨٨ .
- (٩٩) نفسه ص ٢٩٦ .

- » ٠٠٠ وفيها أرسل السلطان الأمير عز الدين (الـ) أفرم
(الى النوبة) ٠٠٠ « (١٠٠) .
- » ٠٠٠ وهم خشداشيته : سنقر الأشقر ، وبيسرى ،
والأيدمرى ، (والأفرم) ٠٠٠ « (١٠١) .
- » ٠٠٠ فساق ولحق بالأمراء (الذين) مع الطلب ٠٠ « (١٠٢)
- » ٠٠٠ فخرج (من مصر) فى رمضان على أن يتصيد بالكرك
والشوبك ٠٠٠ « (١٠٣) .
- » ٠٠٠ من أجرة أملاكه فى (كل) يوم ألف دينار « (١٠٤) .
- » ٠٠٠ من بقايا أمواله أربعين ألف دينار ، وألف (ألف)
ومائة ألف درهم « (١٠٥) .
- » ٠٠٠ وعمره سبعة وخمسون (سنة) وأشهر « (١٠٦) .
- » ٠٠٠ وقتل طشتمر (والفخرى) « (١٠٧) .
- » ٠٠٠ وأى وقت أردت أحضر (الى) عندكم ٠٠٠ « (١٠٨) .
- » ٠٠٠ فكتب نائب الشام للسلطان (والأمراء) بما
جرى « (١٠٩) .

٠ (١٠٠) نفسه ص ٣٠٢ .

٠ (١٠١) المصدر السابق ص ٣٠٨ .

٠ (١٠٢) نفسه ص ٣١٥ .

٠ (١٠٣) نفسه ص ٣٣٦ .

٠ (١٠٤) نفسه ص ٣٤٢ .

٠ (١٠٥) نفسه ص ٣٦٣ .

٠ (١٠٦) نفسه .

٠ (١٠٧) نفسه ص ٣٧٤ .

٠ (١٠٨) نفسه .

٠ (١٠٩) نفسه ص ٣٩٢ .

» ٠٠٠ ورسم أن فلاحا لا يركب فرسا (ولا يشتري فرسا) ،
ثم ٠٠٠ « (١١٠) ٠

» ٠٠ ورسم بمسك الأمير طاز واخوته ، (فمسك) ٠٠ « (١١١)

» ٠٠٠ وتولى بعده (ولده) الملك المنصور أحمد « (١١٢) ٠

» ٠٠٠ فاتفق أكابر ممالك (المقر) الأتابكي يلبغا ٠ « (١١٣) ٠

» ٠٠٠ فأخبرهم أن السلطان نزل (الى) العقبة ٠٠ « (١١٤) ٠

» ٠٠٠ فألبس خلعة (الخلافة) وركب من باب الأدر الى
الايوان ٠٠٠ « (١١٥) ٠

» (وفي) سنة احدى وثمانين وسبعمئة ٠٠٠ « (١١٦) ٠

» ٠٠٠ فوجد ابن عرام (قد قتله) ، فمسكه ٠٠ « (١١٧) ٠

» وفيها سافر جاركس (الخليلي) الى الحجاز الشريف ،

وفيها مسك السلطان المقر (العلائي) قلطنبا الجوباني ٠ « (١١٨) ٠

-
- ٠ (١١٠) نفسه ص ٣٩٥
 - ٠ (١١١) نفسه ص ٣٩٧
 - ٠ (١١٢) نفسه ص ٤١١
 - ٠ (١١٣) نفسه ص ٤١٥
 - ٠ (١١٤) المصدر السابق ص ٤٣٣
 - ٠ (١١٥) نفسه ص ٤٣٧
 - ٠ (١١٦) نفسه ص ٤٤٩
 - ٠ (١١٧) نفسه ص ٤٥٣
 - ٠ (١١٨) نفسه ص ٤٦٤

» ٠٠٠ فراسل نائب حلب فى أنه يدخل بينه وبين السلطان
فى (أمر) الصلح (« ١١٩) ٠

» ٠٠٠ ثم خرج (منها) الى حمص ٠٠ فدخل منطاش الى
دمشق ، و (نزل) بالقصر الأبلق « ١٢٠ » ٠

» ٠٠٠ فرشت (له) الشقق الحرير من « ١٢١ » ٠

» ٠٠٠ وأقامت الزينة الى أن حضرت رأس العدو المخذول
(منطاش) على ما يأتى « ١٢٢ » ٠

» ٠٠٠ وحملها طولوا (صحبته) الى حماه « ١٢٣ » ٠

» ٠٠٠ وسافر بعده تمرغا - مملوك نائب حلب - وقاصد
السلطان (أحمد) بالجواب « ١٢٤ » ٠

» ٠٠٠ ثم أحضر له فرسا بقماش ذهب (السرج) والكنبوش
والسلسلة واللجام « ١٢٥ » ٠

» ٠٠٠ بعد أن عمره وفرشه (له) « ١٢٦ » ٠

٠ ٤٨٠ (١١٩) نفسه ص

٠ ٤٨١ (١٢٠) نفسه ص

٠ ٤٨٣ (١٢١) نفسه ص

٠ ٤٨٧ (١٢٢) نفسه ص

٠ (١٢٣) نفسه

٠ ٤٩٠ (١٢٤) نفسه ص

٠ ٤٩٢ (١٢٥) نفسه ص

أما التحريف والتصحيح ، فيمثل له بالآتى :

الصفحة	الخطأ	الصواب
٣٠	رضى الله عنها	رضى الله عنهما
٤١	أحب	أحبب
٤٦	وجئتم بأمر جائر	... حائر
٤٩	قال ابن اسحاق	قاله ابن اسحاق
٥٠	وسعد بن حمدان	وسعد بن نمران
٥٠	يقول فضلا	يقول فصلا
٥٠	ويأنس الليل ووحشته	ويأنس بالليل ووحشته
٥٣	لا يفتى الا على	لا فتى الا على
٦١	عمر العذارى	عمر العذرى
٦٧	كان يطوف الليل	كان يطوف بالليل
٦٨	يفرح بفرحه	يفرح لفرحه
٧٠	أمير الجيوش	أمير الجيش
٧٤	ما تنال منى	ما تناله منى
٧٥	بباب الجابية ...	بين باب الجابية ...
٧٧	وهو اليوم	وهى اليوم
٨٢	عمر بن موسى	عمرو بن موسى
٨٤	رودان مولاه	وردان مولاه
٨٥	بأرض مصر	فى أرض مصر
٨٥	شديدا	شديدها
٩٣	بئر ميمون	بئر ميمونة
١٠٧	صحن الذهب	صحاف الذهب

الصفحة	الخطا	الصواب
١١٧	من خشب مسحورة	من خشب مسمورة
١٢٢	ثم يعزله منها	ثم يعزله عنها
١٢٣	استودعكم الله	استودعتكم الله
١٢٤	ولقب المعتز	ولقب بالمعتز
١٢٧	وعمل عليهم	وحمل عليهم
١٢٧	فى جبة	فيه جبة
١٣٥	المقتدر	المتوكل
١٣٧	وأخرجوا	وخرجوا
١٤٢	فتتبعوه	فتبعوه
١٥٦	وأصلح ستورها	وأصلح سورها
١٥٨	ودفع فى وجهه ضربة	ووقع فى وجهه ضربة
١٦٠	ولبس جبة الصوف	ولبس جبته الصوف
١٦١	وفى عهده أخذ الفرنج	وفى أيامه أخذ الفرنج
١٨٥	فى الضفرات	فى الفرات
١٨٨	وبراءة الذمة	فى براءة الذمة
١٩٢	فأقام على ذلك	فأقام على ذلك
١٩٤	ويقتفى من آثار من سلف	ويقتفى آثار من سلف
٢١٤	ولقب الظافر	ولقب بالظافر
٢٣٨	وكان يحضر الدواوين أمامه	وكان يحضر الدواوين قدامه
٢٤٤	وشرح الصالح فى تدبير	وشرح الصالح فى تدبير
٢٤٥	فاستولى الفرنج عليها مرة	... ثانى مرة
٢٤٥	فان السلطان ضعيفا	فكان السلطان ضعيفا

الصفحة	الخطا	الصواب
٢٥٢	وفى تاسع عشر جامدى الآخرة	وفى تاسع عشرين ٠٠٠
٢٥٩	فركب مماليك الفارس اقطاى	فركبوا مماليك الفارس اقطا
٢٥٩	يتوجهون	يتوجهوا
٢٦٦	وأمر بخروج العسكر	وأمر بخروج العساكر
٢٧٠	فقدم الأمير اقطاى	فتقدم الأمير اقطاى
٢٧٠	رماه بهادر المعزى سهما	رماه بهادر المعزى بسهم
٢٧٤	يعقوب أمير آخور	يعقوبا أمير آخور
٢٨١	فعاينوا (أعداءهم)	فعاينوا التتار
٢٨٧	ويبعدهم من بابه	ويبعدهم عن بابه
٢٨٨	بأنهم مهما طلبوا	بأنه مهما طلبوا
٢٨٩	الجيشى	وبلبان الحبشى
٢٩٢	وحلفوه أن لا يكاتب	وحلفوه أنه لا يكاتب
٢٩٣	تولى السلطان	تولى السلطنة
٢٩٨	ووقع على الأرض	ووقع الى الأرض
٣٠٢	عز الدين أفرم	عز الدين الأفرم
٣٠٤	(وأمرهم) أن يكتموا أمره	وعرفهم أن يكتموا أمره
٣٠٨	فغير السلطان ذلك الذى	الذى ٠٠٠
٣٠٨	مملوك جركسى	مملوك جركس
٣٠٩	يؤخذ مه	يؤخذ منه
٣١٠	وحمل على الاعتقال	وحمل الى الاعتقال
٣٢٦	فقال كرجون	فقال كرجى
٣٢٨	أثيم الآراء	أشام الآراء

الصفحة	الخطأ	الصواب
٣٣٢	فيها تواترات مطالعات النواب	فيها تواترات ٠٠٠
٣٣٧	فيمن يقوم منكما بالأمر	فيمن يقوم منهما بالأمر
٣٣٨	فحلف الأمراء	فحلفوا الأمراء
٣٤٢	فدخل عليه بطعام	فدخل اليه بطعام
٣٤٢	كان يدخل له	كان يدخل اليه
٣٥٠	والمسامحات	والمسامحة
٣٦٠	يفتحون شونهم ويبيعون	يفتحوا شونهم ويبيعوا
٣٦٩	يوم الثلاثاء ، بعد عصر	يوم الثلاثاء ، بعد العصر
٢٧٠	وكانت اشارته	وكان اشارته
٣٨٦	ولهاز وشيخو	وطاز وشيخو
٣٩٦	ببزر صفر	ببزر صفر
٣٩٩	الى أوائل ذى القعدة	الى أواخر ذى القعدة
٤٠٠	ودكاكين صليبية الأعجام	ودكاكين الصليبية الأعجام
٤٠٣	ولم يعد له مكان	ولم يعلم له مكان
٤٠٨	وعهد بالخلافة لوالده	وعهد بالخلافة لولده
٤١١	ورسم بالعساكر بالرحيل	ورسم للعساكر بالرحيل
٤١٣	وجدوا بثغر الاسكندرية	حبسوا بثغر الاسكندرية
٤١٦	وكان يتصيدان بالعباسية	وكانا يتصيدان بالعباسية
٤١٩	وحنطه وغسله	وخيطة وغسله
٤٢٦	واستدعى القاضي	واستدعى بالقاضي
٤٣٠	ملك سيس الا الأبواب العالية	ملك سيس الى الأبواب العالية
٤٣٧	الحلبى النائب	الحنبلى النائب

الصفحة	الخطا	الصواب
٤٣٩	الشفري	الشرقي
٤٣٩	جنفرا	جنفرا
٤٤٠	ونزل السلطان	وانزل السلطان
٤٤٥	(اقتصر الصاحبى)	الحنبل
٤٤٩	المعز الأتابكى	المقر الأتابكى
٤٤٩	وانكسرا	وانكسروا
٤٥١	وأمر بالنشاب	وأرمى بالنشاب
٤٥٢	أنعم على الأمير محمد	أنعم على سيدى محمد
٤٥٥	والده المقر	والد المقر
٤٥٨	وسمر الاثنان	وسمر الاثنين
٣٦٢	ثلاث أيام	ثلاثة أيام
٤٧٠	وجاؤوا	وجاءوا
٤٧٠	ولم يسمع سلطان	ولم يسمع بسلطان
٤٧٤	الأرزقى	الأزرقى
٤٧٤	والعكوفات	والعلوفات
٤٧٤	حسن بن. باكيش	حسين بن باكيش
٤٧٦	وبعض عساكره	وبعض عسكره
٤٨١	لعساكر الشام	بعساكر الشام
٤٩٢	أروس، خيل	أروس خيل
٤٩٥	هو وعسكره	هو وعساكره
٤٩٧	لو كن سبل السفح	لو لف سيل السفح
٤٩٧	الى حيث حل	... حلت

رابعاً : كما لم يكن المحقق دقيقاً فى النقل عن الأصول يظهر ذلك طيه لما بيض له فى الأصول ، دون تنبه أو تنبيه ، ومنه قوله :

« هو أبو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان » (١٢٧) .

ويقابله فى الأصول قوله :

« هو أبو . . . الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان » .

وما بيض له يمكن اثباته من المصادر على النحو التالى :

« هو أبو (العباس) (١٢٨) ، الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن

مروان » .

وقوله :

« هو أبو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان » (١٢٩)

ويقابله فى الأصول قوله :

« هو أبو . . . يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان » .

وما بيض له يمكن اثباته على النحو التالى :

« هو أبو (خالد) (١٣٠) يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن

مروان » .

(١٢٧) المصدر السابق ص ٧٨ .

(١٢٨) راجع : ابن قتيبة . المعارف ص ٣٦٦ ، المسعودى . التنبيه والاشراف ص ٣٢٣ ، ابن العمرانى . الانباء ص ٥١ ، القلقشندى . مآثر الانافة ج ١ ص ١٥٦ .

(١٢٩) ابن دقماق . الجواهر الثمين ص ٨١ .

(١٣٠) راجع : ابن يزيد . تاريخ الخلفاء ص ٣٥ ، ابن قتيبة المعارف ص ٣٦٧ ، ابن العمرانى . الانباء ص ٥٢ .

كما أنه نقل خطأ عن بعض الأصول قوله :

« هو أبو القاسم بن عبد الله المكتفى بالله على » (١٣١) .

وصوابه كما جاء في مصادر ترجمة « عبد الله المكتفى »
وفي عنوان الترجمة في هذه النشرة :

« هو أبو القاسم ، عبد الله المكتفى بالله » .

خامساً : كما أنه لم يلتزم بخطه واحدة في النقل عن الأصول
حيث صوب الكثير من لغة النص ونحوه - منبهاً الى ذلك ، أو مغفلاً
التنبيه اليه - بينما أهمل تصويب أكثره ، مما جعل النص ممسوخاً
في مواضع جمة .

سادساً : كما أنه اعتمد في تصويب لغة النص على مصادر
متأخرة كـ « الجمان » للعيني ، والنجوم الزاهرة « لابن تغري
بردي » ، وقد كان الأولى الرجوع الى المصادر المتقدمة ، كالوزراء
والكتاب للجيشياري ومروج الذهب للمسعودي والأمالى للقالي
والاستيعاب لابن عبد البر .. وما الى ذلك .

الفصل الرابع

التقى المقرئى وكتابه ((المواعظ والاعتبار
فى ذكر الخطط والآثار))

التقى المقرئى (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)

دراسة حياة

ولد « تقى الدين ، أبو محمد (١) ، أحمد (٢) بن على بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن

(١) هكذا كناه ابن حجر (المجمع المؤسس ق ٢١٤) ، بينما كناه السخاوى (التبر المسبوك ج ١ ق ٤٠ ، الذيل التام ق ٨٢ ب الضوء اللامع ج ٢ ص ٢١ تر ٦٦) : «أبا العباس» .

ولعل الكنية المصرح بها لدى ابن حجر هي الأدق ، لاطلاع المقرئى على ترجمته فى «المعجم» ، وعدم اعتراضه عليها ، على النحو الوارد فى قول السخاوى (التبر المسبوك ج ١ ق ٤٥ ب) : «... وقد ذكره شيخنا فى القسم الأخير من معجمه الذى وقف صاحب الترجمة عليه » .
مع ملاحظة أن باقى مصادر ترجمته لم تصرح بكنيته .

(٢) استفيد هذا النسب مما أورده « المقرئى » فى ترجمة جده لأبيه (السلوك ج ٢ ص ٣٦٥) ، فأبيه (نفسه ج ٢ ص ٣٢٦) ، وإن كان كل من « ابن حجر » (انباء الغمر ج ٩ ص ١٧٢) و « ابن تغرى بردى » (النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩٠) قد نبها الى أنه ربما تجاوز فى نسبه « عبد الصمد

بن تميم ، الى «على بن أبى طالب» - رضى الله عنه - من قبل الخلفاء الفاطميين ، حيث وردت عبارة ابن حجر بشأن ذلك على النحو التالى :

« ... وقد رأيت بعض المكيين قرأ عليه شيئا من تصانيفه ، فكتب فى أوله نسبه الى تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله ... ثم انه كشط ما كتبه ذلك المكي من أول المجلد ، وكان فى تصانيفه لا يتجاوز فى نسبه عبد الصمد بن تميم ، ووقفت على ترجمة جده عبد القادر بخط الشيخ تقي الدين بن رافع ، وقد نسبه أنصاريا ، فذكرت ذلك له ، فأنكر على ابن رافع ، وقال : من أين له ذلك ؟! وذكر لى ناصر الدين أخوه أنه بحث عن مستند أخيه تقي الدين فى الانتساب الى العبيديين ، فذكر له انه دخل مع والده جامع الحاجم ، فقال له وهو فى وسط الجامع : يا ولدى ، هذا جامع جدك » .

كما وردت عبارة ابن تغرى بردى على النحو التالى :

« ... وقد أملى على نسبه الناصرى محمد ابن أخيه بعد وفاته ، الى أن رفعه الى على بن أبى طالب من طريق الخلفاء الفاطميين ، ... والمستخلص من قولهما » .

(أ) أن «المقريزى» ، كان فى تصانيفه لا يتجاوز فى نسبه «عبد الصمد بن تميم» ، لكن ربما زيد فى نسبه الى «على بن أبى طالب» .

(ب) أن نسبه الى «على» من طريق الخلفاء الفاطميين قد وردت فى كتابات غيره ، استنادا الى ما اشاعه هو لمن يثق به ، وهو المستفاد من قول ابن حجر (الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٩١ - ٣٩٢) : « ... فكان يذكر ان أباه ذكر له أنه من ذرية تميم بن المنتصر باني القاهرة ، ولا يظهر ذلك الا لمن يثق به » .

(ج) أن نسبه الى «على» من طريق الخلفاء الفاطميين قد يخدم فيها نسبة «ابن رافع» جده «عبد القادر» أنصاريا ، وان توقف «المقريزى» فى ذلك .

أبي الحسن بن عبد الصمد بن تميم ، المقرئ (١) ، الشافعي (٢) ،

=

(د) ان هذه النسبة الى «علي» من قبل الخلفاء الفاسطيين يحوطها الغموض ، ويعتريها الشك ، لاستناده فيها على قول أبيه وقد دخل جامع الحاكم وتوسطاه : «يا ولدي ، هذا جامع جدك» ، وهو قول يعوزه دليل تصديقه ، ويبدو أن ذلك كان مدركا لدى مؤرخنا ، ولذا لم يجاوز - فيما كتبه من مؤلفاته - في نسبه «عبد القادر بن تميم» ، بل وعمد الى محو ما ازاده غيره عليه ، مما يجعل ما نبه اليه «ابن حجر» من تزيد مؤرخنا في نسبه «لن يثق به» لا يعدو كونه أكثر من دلموح قرن لاديه بالتحسك .

(٣) أشار «ابن حجر» (المجمع المؤسس ق ١٢١٤) وتلميذه «السخاري» (التبر المسبوك ق ١٤٠ ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢١ تر ٦٦) الى أن «المقرئ» . نسبة الى حارة المقارزة في بعلبك ، حيث نزلها جده الأعلى «ابراهيم» .

ويلحظ أن أولاده فمن دونهم نسبوا اليها ، وصارت علما عليهم ، فلقد تردد اسما جده ووالده في المصادر مقترنين بهذه النسبة .

(٤) أشار ابن حجر (انباء النمر ج ٩ ص ١٧١ ، المجمع المؤسس ق ١٢١٤) الى ان جد مؤرخنا لأبيه «عبد القادر» وأباه «علي» كانا حنبلين ، وان مؤرخنا نشأ حنفيا على مذهب جده لأمه ، ثم تحول شافعي بعد أن جاوز العشرين . بينما يشير ابن تغري بردي (المنول الصافي ج ١ ص ٣٩٦) الى أن مؤرخنا «كان كثير التعصب على السادة الحنفية وغيرهم لميله الى مذهب الظاهر» .

لكن ينفي كونه ظاهريا قول ابن حجر (انباء النمر ج ١ ص ١٧١) فيه :

«... كان يتهم بمذهب ابن حزم ، لكنه كان لا يعرف به» . وما أورده ابن تغري بردي (حوادث الدهور ج ١ ق ٩) مناقضا قوله الأول :

«... وكان ينسبه بعض الناس الى الميل لمذهب الظاهر - والله أعلم بالباطن - لأنه كان يعظم ابن حزم المغربي الى الغاية ، وليس في ذلك ما يعاب لأن ابن حزم كان رجلا حافظا عالما ، ولو كان ظاهريا لم ينكر فضله» .

في القاهرة (٥) في حارة برجوان (٦) (في قسم الجمالية الحالي (٧) سنة ست (٨) وستين وسبعمائة للهجرة ، ونشأ في كنف أسرة عرفت

(٥) المقرئى . الخطط ج ١ ص ٢ ، ٤ .

(٦) حارة برجوان : نسبة الى أبى الفتوح برجوان ، خدام العزيز الفاطمى، ومدبر دولته . قتله الحاكم بأمر الله الفاطمى سنة تسعين وثلاثمائة للهجرة ، بعد أن عظم فى دولته ، وكان بيده نظر مصر والشام والحجاز والمغرب وأعمال الحضرة ، وأمر القصور الفاطمية .

راجع : ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٧٠ - ٢٧١ تر ١١٢ ، المقرئى . الخطط ج ٢ ص ٣ - ٤ ، د . حسن عبد الوهاب ، حول دار المقرئى ص ٧٥ - ٧٩ ، ضمن «دراسات عن المقرئى» .

(٧) د . محمد مصطفى زيادة . المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر ص ٦ .

(٨) بينما يشير المقرئى (الخطط ج ١ ص ٤) الى أن مولده «بعد سنة ستين وسبعمائة من سنى الهجرة» ، وينبه ابن تغرى بردى (حوادث الدهور ج ١ ق ٨ ، النجوم الزاهرة ج ١٥ ص ٤٩١) الى أنه سأل مؤرخنا عن مولده فقال : «بعد الستين وسبعمائة بسنيات» ، يحدد ابن حجر (انباء الغمر ج ٩ ص ١٧١) مولده بسنة «ست وستين وسبعمائة» ، وإن بيض لسنة «ست» فى ترجمته من المجمع المؤسس (ق ٢١٤) .

ويعلل السخاوى (التبر المسبوك ص ٢٢ - ٢٣) لما ذهب ابن حجر اليه قائلا :

«... وكان مولده حسبما كان يخبر به ويكتبه بخطه بعد الستين . وقال شيخنا أنه رأى بخطه ما يدل على تعيينه فى سنة ست وستين ، لكونه قد حضر وهو فى الثالثة على ابن الصائغ مع أبى هريرة ابن الشرف المقدسى وهو فى الرابعة ، وكان مولد أبى هريرة سنة ٧٦٧ ، فيكون مولد المقرئى فى سنة ست » .

ويترجع ما ذهب اليه ابن حجر بما أشار اليه المقرئى (درر العقود الفريدة ق ١٢١ ب) ، وعنه ابن حجر (انباء الغمر ج ١ ص ١٦٦ ، ج ٢ ص ٣٣) من اقتران أم مؤرخنا بأبيه فى المحرم سنة خمس وستين وسبعمائة، إذ لا يبعد أن يكون انجابهما له فى السنة التالية لزواجهما ، فيكون بذلك بكر أولادهما .

أصولها بالمشاركة فى تحصيل العلم وبحثه .

فجده لأبيه « محيى الدين ، أبو محمد ، عبد القادر » (٩)
(ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) (١٠) نشأ فى بعلبك ، وسمع فيها على
« زينب بنت كندى » (١١) (ت ٦٩٩ هـ / ١٣٠٠ م) ، وكانت له رحلة
فى طلب الحديث النبوى وتحصيله الى حمص وحلب ودمشق
والقاهرة والاسكندرية (١٢) ، سمع فيها على عدد وافر من اعلام
الحفاظ والمسندين فى عصره ، كآبى المكارم النصيبى (١٣) (ت
٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) ، و « ابن القواس » (١٤) (ت ٦٩٨ هـ /

(٩) له ترجمة فى : الذهبى . ذيل العبر ص ١٧٢ ، ابن رجب . الذيل
على طبقات الحنابلة ج ٤ ص ٤١٦ - ٤١٧ تر ٥٠٧ ، المقرئى السلوك ج ٢
ص ٣٦٥ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٩١ تر ٢٤٧٠ .

(١٠) جعل المقرئى (السلوك ج ٢ ص ٣٦٥) وفاته فى السنة التالية ،
بينما تشكك ابن حجر (الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٩١) فى سنة وفاته ، فأرخ
لها على النحو التالى :

« ... ومات فى أواخر ربيع الأول سنة ٢ أو ٣ أو ٧٣٤ » .

(١١) هى زينب بنت عمر بن كندى بن سعيد بن على البعلبكية الدار ،
الدمشقية المحتد ، أم محمد ، لها ترجمة فى : الذهبى . تذكرة الحفاظ ج ٤
ص ٤٨٨ ، المعبر ج ٥ ص ٣٩٨ ، ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ج ٨ ص
١٩٣ .

(١٢) ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٩١ .

(١٣) هو كمال الدين أحمد بن محمد عبد القادر بن النصيبى ،
الحلبى ، له ترجمة فى : الذهبى . المعبر ج ٥ ص ٣٧٤ ، ابن تغرى بردى .
النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٤٠ .

(١٤) هو « ناصر الدين ، ابن ... » ، عمر بن عبد المنعم بن عمر بن
عبد الله بن غدير بن القواس الحلبى ، له ترجمة فى : الذهبى . دول الاسالم
ج ٢ ص ٢٠١ ، ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٨٩ .

١٢٩٩ م) و « أبى الفضل ابن عساكر » (١٥) (٦٩٩ هـ / ١٣٠٠ م)
و « ابن مشـرف » (١٦) (ت ٧٠٧ هـ / ١٣٠٩ م) و « ابن
النجاس » (١٧) (ت ٧١٠ هـ / ١٣١١ م) و « البهاء بن القيم » (١٨)
(ت ٧١٠ هـ / ١٣١١ م) و « أبى الحسن بن الصـواف » (١٩)
(ت ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) و « سبط زيادة » (٢٠) (ت ٧١٢ هـ /

(١٥) هو « شرف الدين ، أبو الفضل ، أحمد بن هبة الله بن أحمد بن
عساكر » ، له ترجمة فى . الذهبى . المعبر ج ٤ ص ١٤٨٧ ، ابن كثير .
البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٣ .

(١٦) هو « شهاب الدين ، أبو عبد الله محمد بن أبى العز بن مشرف » ،
له ترجمة فى : الصفدى . الوافى بالوفيات ج ٤ ص ٩٤ ، ابن حجر . الدرر
الكامنة ج ٤ ص ٤٩ تر ١٤١ .

(١٧) هو « كمال الدين ، اسحاق بن أبى بكر بن ابراهيم بن هبة الله
ابن طارق الأسدى ، الحلبي » ، له ترجمة فى : الذهبى . ذيل المعبر ص ٥٥ ،
اليافعى . مراة الجنان ج ٤ ص ٢٤٨ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ١ ص
٣٥٦ - ٣٥٧ تر ٨٨٨ .

(١٨) هو « بهاء الدين ، أبو الحسن على بن عيسى بن سليمان بن
رمضان الثعلبى المصرى » ، له ترجمة فى : الذهبى . دول الاسلام ج ٢ ص
٢١٦ ، ذيل المعبر ص ٥٦ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص ٩١ - ٩٢ تر
٢٠٤ .

(١٩) هو « نور الدين ، أبو الحسن على بن نصر الله بن عمر بن
عبد الواحد القرشى المصرى » ، له ترجمة فى : الذهبى . ذيل المعبر ص ٧١
ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص ١٣٦ تر ٣٠٩ .

(٢٠) هو « زين الدين ، أبو محمد ، الحسن بن عبد الكريم بن
عبد السلام المعرى ، المالكي » ، له ترجمة فى : الذهبى . ذيل المعبر ص ٧٢ ،
ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٩ - ٢٠ تر ١٥١٨ .

١٣١٣ م) و « عبد الأحد بن تيمية » (٢١) ت ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م)
و « التقى سليمان » (٢٢) (ت ٧١٥ هـ / ١٣٠٦ م) و « يحيى بن
سعد » (٢٣) (ت ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م) . وعد من أعيان الحنابلة
وكبار المحدثين في الشام ، مما أهله لتولى مشيخة دار الحديث
البهائية (٢٤) ، فانتفع به جمع وافر من الطلبة ، لعل من أبرزهم
« الشمس الذهبي » (٢٥) (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) .

(٢١) هو « شرف الدين ، أبو البركات ، عبد الأحد بن أبي القاسم بن
عبد الغنى بن تيمية الحراني » ، له ترجمة في : الذهبي . ذيل العبر ص
٧٠ - ٧١ ، ابن رجب . الذيل على طبقات الحنابلة ج ٤ ص ٤٦٨ - ٤٦٩
(وفيه : عبد الواحد) ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣١٤ - ٣١٥ تر
٢٢٥٩ .

(٢٢) هو « تقى الدين ، أبو الفضل ، سليمان بن حمزة بن أحمد بن
عمر بن قدامة المقدسي الصالحى » ، له ترجمة في : الذهبي . دول الاسلام
ج ٢ ص ٢٢١ ، ذيل العبر ص ٨٥ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص
٧٥ ، ابن رجب . الذيل على طبقات الحنابلة ج ٤ ص ٣٦٤ - ٣٦٦ ، ابن
حجر . الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٤٦ - ١٤٧ تر ١٨٢٧ .

(٢٣) هو « يحيى بن محمد بن سعد بن عبد الله بن سعد الأنصاري ،
المقدسي ، الصالحى » ، له ترجمة في : الذهبي . ذيل العبر ص ١٢١ ، ابن
حجر . الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٢٦ - ٤٢٧ تر ١١٨٠ .

(٢٤) دار الحديث البهائية : كانت دار سكنى - داخل باب توما في
دمشق - لسند الشام الشيخ الطبيب « بهاء الدين ، أبي محمد ، القاسم
ابن المظفر بن محمود بن تاج الأمناء بن عساكر » (ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) ،
فوقفها دار حديث ، ضمن ما وقف ، وعرفت به .

راجع : الذهبي . ذيل العبر ص ١٣٠ - ١٣١ ، طبقات الحفاظ ج ٤ ص
١٤٩٤ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٠٨ ، ابن حجر . الدرر
الكامنة ج ٣ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ تر ٦١٠ .

(٢٥) ابن رجب . الذيل على طبقات الحنابلة ج ٤ ص ٤١٧ ، ابن
حجر . الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٩١ .

وجده لأمه « ابن الصنائع الحنفى » (٢٦) (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٥ م) نشأ فى القاهرة ، وأخذ العربية عن « أبى حيان الفرناطى » (٢٧) (ت ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م) ، والمعانى والبيان عن « العلاء القونوى » (٢٨) (ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م) و « الجلال القزوينى » (٢٩) (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) ، والفقه عن « ابن عبد الحق » (٣٠) (ت ٧٤٤ هـ / ١٣٤٤ م) ، والقراءات افرادا وجمعا للسبعة والعشرة عن « محمد المصرى » (٣١) (ت ٧١٨ هـ /

(٢٦) مر التعريف به ، راجع ج ١ ص ٣٢٨ من هذا البحث .
 (٢٧) مر التعريف به ، راجع ج ١ ص ٢٩٤ - ٢٩٥ من هذا البحث .
 (٢٨) هو « علاء الدين ، أبر الحسن ، على بن اسماعيل بن يوسف القونوى » ، له ترجمة فى : الذهبى . ذيل العبر ص ١٦٢ - ١٦٣ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٤٧ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٤ - ٢٩ تر ٥٤ .

(٢٩) هو « جلال الدين ، أبى عبد الله ، محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن الحسن القزوينى ، ثم الدمشقى ، الشافعى » ، له ترجمة فى : الذهبى . دول الاسلام ج ٢ ص ٢٤٥ ، ذيل العبر ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ، الصفدى . الوافى ج ٣ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ تر ١٢٥٥ ، اليافعى . مرآة الجنان ج ٤ ص ٣٠١ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٨٥ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣ - ٦ تر ٢ .

(٣٠) هو « برهان الدين ، ابراهيم بن على بن أحمد بن على بن محمد بن أحمد بن يوسف بن ابراهيم بن على ، المعروف بابن عبد الحق : جده لأمه » ، له ترجمة فى : الحسينى . ذيل العبر ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ٢١٢ ، أبى الوفاء القرشى . الجواهر المضية ج ١ ص ٩٣ - ٩٤ تر ٣١ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ١ ص ٤٦ - ٤٧ تر ١٢١ ، رفع الاحمر ج ١ ص ٣٦ - ٣٧ ، ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج ١ ص ١٠٨ - ١٠٩ تر ٥٧ .

(٣١) هو « محمد بن نصير بن صالح بن جبريل بن خلف المصرى » ، له ترجمة فى : ابن الجزرى . غاية النهاية ج ٢ ص ٢٦٩ - ٢٧٠ تر ٣٥٠٠ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٣٦ تر ٧٧١ .

١٣١٩ م) و « التقى ابن مكى » (٣٢) (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م ،
والحديث النبوى عن « الديبوسى » (٣٣) (ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م)
و « ابن سيد الناس » (٣٤) (ت ٧٣٤ هـ / ١٣٢٤ م) ، وكانت له
رحلة الى دمشق سنة ثمان وعشرين وسبعمائة للهجرة (٣٥) ، سمع
فيها على « الحجار » (٣٦) (ت ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م) و « المزى » (٣٧)

(٣٢) هو « تقى الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن عبد الخالق
ابن على بن سالم بن مكى المصرى » ، له ترجمة فى : الذهبى . دول الاسلام
ج ٢ ص ٢٢٣ ، ذيل العبر ص ١٢٩ ، الصفدى . الوافى ج ٢ ص ١٤٦ - ١٤٧
تر ٥٠٥ ، ابن الجزرى . غاية النهاية ج ٢ ص ٦٥ - ٦٧ تر ٢٧٢٨ ، ابن
حجر . الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٢٠ - ٣٢١ تر ٨٦٢ .

(٣٣) هو « فتح الدين ، أبو النون ، يونس بن ابراهيم بن عبد القوى
الكندى العسقلانى ، ثم المصرى ، الدبابيسى أو الديبوسى » ، له ترجمة فى :
الذهبى . دول الاسلام ج ٢ ص ٢٣٨ ، ذيل العبر ص ١٦١ - ١٦٢ ،
المقريزى . السلوك ج ٢ ص ٢١٦ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٨٤ -
٤٨٥ تر ١٣٣١ .

(٣٤) مر التعريف به ، راجع . ج ١ ص ٢٨٣ من هذا البحث .

(٣٥) ابن الجزرى . غاية النهاية ج ٢ ص ١٦٣ .

(٣٦) هو « شهاب الدين ، أحمد بن أبى طالب بن نعمة بن حسن
الصالحى ، المعروف بابن الشحنة ، وبالحجار » ، له ترجمة فى : الذهبى .
دول الاسلام ج ٢ ص ٢٣٨ ، ذيل العبر ص ١٦٤ - ١٦٥ ، ابن كثير . البداية
والنهاية ج ١٤ ص ١٥٠ ، المقريزى . السلوك ج ٢ ص ٢٢٦ ، ابن حجر .
الدرر الكامنة ج ١ ص ١٤٢ - ١٤٣ تر ٤٠٤ ، ابن طولون . القلائد الجوهريّة
ج ٢ ص ٤١٢ - ٤١٤ .

(٣٧) هو « جمال الدين ، أبو الحجاج ، يوسف بن عبد الرحمن بن
يوسف المزى ، الدمشقى » ، له ترجمة فى : الذهبى . تذكرة الحفاظ ج ٤
ص ١٤٩٨ - ١٤٥٠ ، الحسينى . ذيل العبر ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، ابن رافع
الوفيات ج ١ ص ٣٩٥ - ٣٩٧ تر ٢٨٦ ، ابن كثير . البداية والنواية ج ١٤
ص ١٩١ - ١٩٢ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٥٧ - ٤٦١ تر ١٢٦١ ،
ابن طولون . القلائد الجوهريّة ج ٢ ص ٤٥١ - ٤٥٣ .

(ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م) و « السبرزالي » (٣٨) (ت ٨٣٩ هـ / ١٣٣٩ م) ، وتصدر في الجامع الأموي للعربية والاقراء (٣٩) ، وأقرأ الشاطبية هناك غير مرة (٤٠) ، ثم عاد إلى القاهرة ، وعد من أعيان علمائها (٤١) ، وولى فيها افتاء (٤٢) دار (٤٣) العدل يوم الخميس : ثانی عشر ربیع الآخر سنة خمس وستين وسبعمائة - فكان بذلك أول حنفی ولی هذه الوظيفة (٤٤) - ثم ولی قضاء العسكر (٤٥)

(٣٨) هو « علم الدين ، القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف » ، له ترجمة في : ابن شاکر الکتبی . فوات الوفیات ج ٢ ص ٢٦٢ - ٢٦٤ تر ٣٥١ ، ابن رافع . الوفیات ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ تر ١٦٩ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٨٥ - ١٨٦ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٣٧ - ٢٣٩ تر ٦٠٩ .

(٣٩) ابن الجزري . غاية النهاية ج ٢ ص ١٦٢ .

(٤٠) نفسه .

(٤١) راجع : المقریزی . السلوك ج ٣ ص ٥٢ ، ٥٣ ، ٢٠٦ .

(٤٢) افتاء دار العدل : وظيفة أشار القلقشندي (صبيح الأعشى ج ١١ ص ٢٠٧) إلى أن موضوعها : « الجلوس بدار العدل حيث يجلس السلطان لفصل الحكومات ، والافتاء فيما لعله يطرا من الاحكام بدار العدل ، وهي وظيفة جليلة ، لصاحبها مجلس بدار العدل يجلسه مع القضاة الأربعة ومن في معناهم » .

(٤٣) المقصود بذلك « الايوان » الذي أنشأه « المنصور قلاوون » ثم جدد « الأشرف خليل » ، ثم هدمه وأعاد بناءه « الناصر محمد بن قلاوون » .

راجع : المقریزی . الخطط ج ٢ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٤٤) المقریزی . السلوك ج ٣ ص ٩٢ .

(٤٥) قاضي العسكر : عرفت هذه الوظيفة في الدولة العباسية ، وفي عصر الغزنويين ، ويبدو أنها انتقلت إلى السلاجقة ، ثم الأتابكة ثم الأيوبيين . وصارت هذه الوظيفة في عصر المماليك ثامنة الوظائف الدينية ،

وتدريس الفقه الحنفى فى الجامع الطولونى (٤٦) يوم الاثنين ، ثانى عشر رجب سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة (٤٧) ، كما كان نابها الطلبة يقصدون داره ليلا لتحمل علم القراءات عنه (٤٨) ، وظل على وظائفه تلك الى أن توفاه الله اليه فى شعبان سنة ست وسبعين وسبعمائة للهجرة ، تاركاً « ثروة واسعة » (٤٩) وعدة مؤلفات ،

=

وكان لصاحبها مجلس بحضرة السلطان فى دار العدل ، دون القضاة الأربعة .

ويشير « القلقشندى » الى أن قاضى العسكر كان يتخذ معه كاتباً يكتب للناس ، وكان عليه أن يقبل من الجند من كان ظاهره العدالة - لتعذر وجود الشهود المعتبرين لتحمل الشهادة فى العسكر - وأن يكون له منزل معروف ، يقصد فيه اذا نصبت الخيام ، وأحسن ما يكون ذلك عن يمين الأعلام السلطانية ، وأن يكون مستعداً للأحكام التى يكثر فصلها فى العسكر ، وأن يسرع فى فصل القضاء بين الخصوم ، لئلا يكون فى ذلك تشاغل عن مواقع الحرب .

راجع . ابن فضل الله العمرى . التعريف بالمصطلح الشريف ص ١٢٣ - ١٢٤ ، القلقشندى . صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٦ ، ١٩٢ ، ج ١١ ص ٩٦ . د . حسن الباشا . الفنون الإسلامية ج ٢ ص ٨٦٦ - ٨٦٧ .

(٤٦) الجامع الطولونى : ابتدا بناءه الأمير « أحمد بن طولون » سنة ثلاث وستين ومائتين ، وفرغ منه سنة ست وستين ومائتين ، وقد بلغت النفقة فيه مائة وعشرين ألف دينار ، وجدت فيه أماكن فى الدولة المملوكة .

راجع : المقرئى . الخط ج ٢ ص ٢٦٥ - ٢٦٩ ، السيوطى . حسن الحاضرة ج ٢ ص ٢٤٦ - ٢٥٠ .

(٤٧) المقرئى . السلوك ج ٣ ص ١٩٨ ، ابن حجر . انباء الغمر ج ١ ص ١١ ، الدرر الكامنة ج ٣ ص ٥٠٠ .

(٤٨) ابن الجزرى . غاية النهاية ج ٢ ص ١٦٤ .

(٤٩) ابن حجر . الدرر الكامنة ج ٣ ص ٥٠٠ .

منها : « شرح الفية ابن مالك » و « التذكرة النحوية » و « الاستدراك على المغنى لابن هشام » و « شرح البردة » و « المثانى فى المعانى » و « الثمر الجنى فى الأدب السنى » و « المنهج القويم فى القرآن العظيم » و « الغمز على الكنز » (٥٠) .

وأشار اليه سبطه (٥١) بأنه « كان من الأفراد فى أمور الدين والدنيا » ، كما نعتة « ابن حجر » بأنه « كان فاضلا بارعا حسن النظم » (٥٢) والنثر ، كثير الاستحضار ، قوى البادرة ، دمث الأخلاق » (٥٣) وذهب « ابن الجزرى » الى أنه « لم يكن فى زمنه حنفى أجمع للعلوم منه ، ولا أحسن ذهنا وتدقيقا وفهما وتقريرا وأدبا » (٥٤) .

أما والده « علاء الدين ، على » (٥٥) (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٨ م) فلا تمدنا المصادر بما يفيد كثيرا فى نشأته وتكوينه ومقدار ثقافته ، فجل ما يعرف عنه أنه ولد فى دمشق ، وسمع فيها الحديث النبوى (٥٦) ، وأن الغالب عليه من بين معارف وعلوم عصره « كتابة

(٥٠) ابن حجر . انباء الغمر ج ١ ص ٩٥ ، الدرر الكامنة ج ٢ ص ٥٠٠ .

(٥١) المقرئى . السلوك ج ٤ ص ١١٠٧ .

(٥٢) ابن حجر . انباء الغمر ج ١ ص ١٩٥ .

(٥٣) راجع تماذج من شعره فى : ابن الجزرى . غاية النهاية ج ٢ ص ١٦٤ ، المقرئى ، السلوك ج ٣ ص ٢٩ ، ٥٣ ، ابن حجر . انباء الغمر ج ١ ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٥٤) ابن الجزرى . غاية النهاية ج ٢ ص ١٦٣ .

(٥٥) له ترجمة فى . المقرئى . السلوك ج ٣ ص ٣٢٦ ، ابن حجر . انباء الغمر ج ١ ص ١٦٦ تر ٢٨ .

(٥٦) ابن حجر . انباء الغمر ج ١ ص ١٦٦ .

الانشاء والحساب» (٥٧) ، وأنه تحول من الشام الى القاهرة ، وتولى فيها بعض الوظائف المتعلقة بالقضاء ، وكتب التوقييع (٥٨) عند نائب السلطنة (٥٩) فى مصر « آقتمر بن عبد الغنى » المعروف بالحنبلى (٦٠) (ت ٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م) ، وكان « العلاء » عاقلا ، عفيفا ، متدينا (٦١) ، صاهر « ابن الصائغ الحنفى » على ابنته « أسماء » (٦٢) (٧٤٧ - ٨٠٠ هـ / ١٣٤٦ - ١٣٩٧ م) ، التى تزوجها بعد زيجة لها سابقة (٦٣) ، فى المحرم سنة خمس وستين

(٥٧) المقرئى . السلوك ج ٣ ص ٢٢٦ .

(٥٨) راجع بشأن هذه الوظيفة : ج ٢ ص ١٦٥ من هذا البحث ، د . أحمد السيد دراج . صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الوسطى . مكة ١٤٠٩ هـ ، ص ١٤٥ - ١٥٠ .

(٥٩) نائب السلطنة فى مصر ، ويسمى - أيضا - كسافل الممالك ، والسلطان الثانى أو الصغير أو المختصر . كان يختار من بين العسكريين ، ومن مهامه القيام مقام السلطان أثناء غيابه ، والاشتراك معه فى توزيع الاقطاعات وترشيح الموظفين .

راجع : د . حسن الباشا . الفنون الاسلامية ج ٣ ص ١٢٣٠ - ١٢٣٤ ، د . عبد المنعم ماجد . نظم دولة سلاطين الممالك ج ٢ ص ٤٣ - ٤٤ .

(٦٠) له ترجمة فى المقرئى . السلوك ج ٣ ص ٤٦٢ ، ابن حجر . انباء الغمر ج ١ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ تر ١٢ ، ابن تغرى بردى . الدليل الشافى ج ١ ص ١٤١ تر ٤٩٧ ، النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٢١٩ .

(٦١) ابن حجر . انباء الغمر ج ١ ص ١٦٦ .

(٦٢) لها ترجمة فى : المقرئى . درر العقود الفريدة ق ١٣١ ب - ١٣٢ ب ، ابن حجر . انباء الغمر ج ٢ ص ٣٣ تر ٤٨ .

(٦٣) أشار المقرئى (درر العقود الفريدة ق ١٣١ ب) الى انها زفت بنت اثنتى عشرة سنة على رجل يعرف بنجم الدين المهلبى ، ففارقها ، ثم خلفه عليها أبوه .

وسبعمائة للهجرة ، منجبا منها مؤرخنا (٦٤) - الذى يرجح أنه بكر أولاده - فى السنة التالية لزواجهما ، وكانت الزوجة عفيفة ، فاضلة ، دينة ، تحدث عن أبيها وزوجها ، وتشد الشعر ، وظلت زوجا له الى أن توفاه الله إليه يوم الأحد ، الخامس والعشرين من رمضان سنة تسع وسبعين وسبعمائة ، وعاشت بعده الى سنة ثمانمائة ، وقد اقترنت بزواج غيره .

أما مؤرخنا (٦٥) ، فقد نشأ نشأة حسنة ، فحفظ القرآن - الكريم - وبعض المختصرات فى الفقه الحنفى ، عارضا لهما على جده لأمه « ابن الصائغ الحنفى » ، ثم تتلمذ فى الفقه والحديث والقراءات واللغة والنحو والأدب والتاريخ ، وغيره من فنون المعرفة المتداولة فى عصره - آنذاك - على عدد وافر من أعلام العلماء ، الذين بلغوا حسب احصائه لهم ستمائة شيخ ، لعل من أبرزهم :

١ - الحراوى (ت ٧٨١ هـ - ١٣٧٩ م) .

٢ - جويرية الهكارية (ت ٧٨٣ هـ - ١٣٨١ م) .

(٦٤) أشار المقرئى (نفسه) الى ان أباه أنجب منها كذلك محمدا وحسينا ، كما أنها اتصلت بعد موت أبيه بآخر منجبة منه ولدا ذكرا .

(٦٥) راجع فى ترجمته : ابن حجر . انباء الفخر ج ٩ ص ١٧٠ - ١٧٢ ، المجمع المؤسس ق ٢١٤ ١ ، العينى . عقد الجمان (ط . الزهراء) ص ٥٧٤ تر ١٩٥ ، ابن تغرى بردى . حوادث الدهور ق ٨ - ٩ ، الدليل الشافى ج ١ ص ٦٣ تر ٢١٧ ، المنهل الصافى ج ١ ص ٣٩٤ - ٣٩٩ تر ٢١٧ ، النجوم الزاهدة ج ١٥ ص ٤٩٠ - ٤٩١ ، السخاوى : التبر المسبوك ص ٢١ - ٢٤ ، الذيل التام ق ٨٢ - ٨٣ ب ، الضوء الملامع ج ٢ ص ٢١ - ٢٥ تر ٦٦ ، عبد الباسط الحنفى . الروض الباسم ج ١ ق ١٥١ - ٥٢ ب ، المجمع المعنون ق ١٠٢ ب - ١٠٤ ١ ، ابن اياس . بدائع الزهور ج ٢ ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

- ٣ - أبا الفضل الزويرى (ت ٧٨٦ هـ - ١٣٨٤ م) .
- ٤ - ابن طراد (ت ٧٨٨ هـ - ١٣٨٦ م) .
- ٥ - الجمال الأميوطى (ت ٧٩٠ هـ - ١٣٨٨ م) .
- ٦ - العز ابن الكويك (ت ٧٩٠ هـ - ١٣٨٨ م) .
- ٧ - العفيف النشاورى (ت ٧٩٠ هـ - ١٣٨٨ م) .
- ٨ - النجم ابن رزين (ت ٧٩١ هـ - ١٣٨٩ م) .
- ٩ - ابن الشهيد (ت ٧٩٣ هـ - ١٣٩١ م) .
- ١٠ - ابن الشيخة (ت ٧٧٩ هـ - ١٣٩٦ م) .
- ١١ - النجم ابن الكويك (ت ٧٩٩ هـ - ١٣٩٧ م) .
- ١٢ - ابن أبى المجد (ت ٨٠٠ هـ - ١٣٩٨ م) .
- ١٣ - البرهان القنوخى (ت ٨٠٠ هـ - ١٣٩٨ م) .
- ١٤ - الشمس ابن سكر (ت ٨٠١ هـ - ١٣٩٨ م) .
- ١٥ - السراج ابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ - ١٤٠١ م) .
- ١٦ - السويداوى (ت ٨٠٤ هـ - ١٤٠١ م) .
- ١٧ - العماد الحنبلى (ت ٨٠٤ هـ - ١٤٠١ م) .
- ١٨ - الزين التاجر (ت ٨٠٥ هـ - ١٤٠٣ م) .
- ١٩ - السراج البلقينى (ت ٨٠٥ هـ - ١٤٠٣ م) .
- ٢٠ - الزين العراقى (ت ٨٠٦ هـ - ١٤٠٤ م) .
- ٢١ - الفرسيسى (ت ٨٠٦ هـ - ١٤٠٤ م) .

- ٢٢ - النور الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ - ١٤٠٤ م) .
- ٢٣ - البرهان الظاهري (ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م) .
- ٢٤ - ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م) .
- ٢٥ - طاهر بن حبيب (ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م) .
- ٢٦ - الشهاب الأشموني (ت ٨٠٩ هـ - ١٤٠٦ م) .
- ٢٧ - الشهاب الأوحدي (ت ٨١١ هـ - ١٤٠٨ م) .
- ٢٨ - الزين المراغي (ت ٨١٦ هـ - ١٤١٤ م) .
- ٢٩ - المجد الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ - ١٤١٤ م) .
- ٣٠ - التاج الفرغاني (ت ٨٣٤ هـ - ١٤٣٠ م) .
- ٣١ - ابن خطيب الناصرية (ت ٨٤٣ هـ - ١٤٤٠ م) .

كما أجازته (أجائز عامة) في غير كتاب ، كم لا يستهان به من
 جلة العلماء ، كالجمال الاسنوي (ت ٧٧٢ هـ - ١٣٧٠ م) ، والعماد
 ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ - ١٣٧٣ م) ، والبدر بن الخشاب (ت ٧٧٥ هـ
 - ١٣٧٣ م) ، وأبى البقاء السبكي (ت ٧٧٧ هـ - ١٣٧٥ م) ،
 وأبى اسحاق الآمدي (ت ٧٧٨ هـ - ١٣٧٦ م) ، والشرف بن
 عسكر (ت ٧٨١ هـ - ١٣٧٩ م) ، والشهاب الأزرعي (ت ٧٨٣ هـ -
 ١٣٨١ م) ، وأبى الفضل النويري (ت ٧٨٦ هـ - ١٣٨٤ م) .

ونتيجة لهذه الثقافة الواسعة ، فضلا عن الاتصال ببعض
 الأمراء كشـيخ الصفوي (ت ٨٠١ هـ - ١٣٩٨ م) ، وأحمد بن
 كندغدي (ت ٨٠٧ هـ - ١٤٠٤ م) ، ويشبك الشعباني (ت ٨١٠ هـ
 - ١٤٠٧ م) تمكن « المقریزی » من منادمة « الظاهر برقوق » (ت
 ٨٠١ هـ - ١٣٩٨ م) وابنه « الناصر فرج » (ت ٨١٥ هـ - ١٤١٢ م)

وحظى عندهما ، وتقلب فى عهدهما فى عدة وظائف ، أجمل
« السخاوى » الإشارة إليها قائلا :

« . . وناب فى الحكم ، وكتب التوقيع ، وولى الحسبة بالقاهرة
(والوجه البحرى) غير مرة ، أولها سنة احدى وثمانمائة
والخطابة بجامع عمرو وبمدرسة (الناصر) حسن ، والامامة بجامع
الحاكم ونظره ، وقراءة الحديث بالمؤيدية ، عوضا عن المحب بن
نصر الله ، حين استقراره فى تدريس الحنابلة بها ، وغير ذلك .
وحمدت سيرته فى مباشراته . . وكذا دخل دمشق مرارا ، وتولى
بها نظر وقف القلانسي والبيمارستان النورى - مع كون شرط نظره
لقاضيهما الشافعى - وتدريس (دار الحديث) الاشرافية و (المدرسة)
الاقبالية ، وغيرها » .

كما عرض عليه « الناصر فرج » قضاء القضاة الشافعية فى
الشام ، فأبى ، ورشحه لأن يكون رسولا (سفيرا) له لدى « تيمور
لنك » ، ثم قام بتنفيذ هذه المهمة بدلا عنه « أحمد بن كندغدى » .

وهكذا ، فقد أسند الى « المقرئى » وظائف متنوعة ، كان
بعضها فى مصر وبعضها فى الشام ، كما رشحت له بعض الوظائف
التي لم يقبلها . . لكن يشير « السخاوى » الى اعتزاله لوظائفه
تلك جملة ، دون تأريخ أو تعليل لذلك ، قائلا :

« . . . ثم أعرض عن ذلك ، وأقام ببلده عاكفا على الاشتغال
بالتاريخ حتى اشتهر به ذكره ، وبعد فيه صيته ، وصارت له فيه
جملة تصانيف » .

ويبدو من استقراء الحوادث ، أن « الاعراض » عن تلك
الوظائف كان قاسما مشتركا بين « المقرئى » وبين أرباب الدولة ،
وأن ذلك كان اثر مقتل « الناصر فرج » (ت ٨١٥ هـ - ١٤١٢ م)

حيث ظل مؤرخنا الى حين وفاته ، قرابة ثلاثين عاما لا يمسك وظيفة بيده ، سوى اقراء الحديث في القاهرة ومكة .

ويؤيد ذلك قول ابن تغرى بردى :

« ٠٠٠ غير أن الشيخ تقى الدين المقرئى - رحمه الله - كان له انحرافات معروفة عنه (عن الأشرف برسباى) ، وهو معذور في ذلك ، فانه أحد من أدركنا من أرباب الكمالات فى فنه ، ومؤرخ زمانه ، لا يدانيه فى ذلك أحد ، مع معرفتى بمن عاصره من مؤرخى العلماء ، ومع هذا كله كان مبعودا فى الدولة لا يدنيه السلطان مع حسن محاضرتيه وحلو منادمتيه . على أن الظاهر برقوق كان قريبه وناديه وولاه حسبة القاهرة فى أواخر دولته ، ومات الظاهر فلم يمش حاله على من جاء بعده من الملوك ، وأبعدوه من غير احسان ، فأخذ هو - أيضا - فى ضبط مساوئهم ، فمن أساء لا يستوحش - على أنه كان ثقة فى نفسه ، دينا ، خيرا - وقد قيل لبعض الشعراء : الى متى تمدح وتهجو ؟! فقال : مادام المحسن يحسن والمسيء يسيء » .

وهكذا ، فقد تغايرت الدول ، وأبعد مؤرخنا عن وظائفه التى طالما توزع فى بعضها مع حظوته لدى من قلده أمورها ، ولم يكن مستعدا ماديا أى معنويا للسعى الحثيث فى استرجاعها ، فقد كان تولى الوظائف - آنذاك - أمرا مكلفا ، إذ لا يتم ذلك - غالبا - بسعى غير مقترن بالرشا ، ولم يكن « المقرئى » ممن يجوزون التوظيف بالرشا ، فضلا عن أنه لم يكن من آل اليسار ، الذين يجدون فائضا من المال يتلفونه فى المنافسة على الوظائف ، يظهر ذلك ما ورد فى « السلوك » من عزوفه عن شراء « فروجين » فى مرضه لارتفاع ثمنهما ، وقد كان - آنذاك - موظفا ، وسكنه - فيما بعد - علو بيت ، بما لعله يشير الى عدم امتلاكه له ، أو استقلاله بسكناه ،

ولم يكن من سبيل الى العود الى تلك الوظائف - دون رشا - الا بامتهان النفس لدى الأمراء وأرباب الجاه في الدولة ، وهو ما ياباه « المقرئى » اذ التعفف « عن التردد الى ذوى الجاهات مع الاملاق ، مما امتدحه فى مترجميه ، كما أن « السعى الى أبواب الأمراء وأعيان الدولة وذوى الجاهات » طلبا للوظائف مما عابه عليهم .

كما كان « المقرئى » حيا منذ الصغر ، وربما كان هذا الحياء صائنا له عن ابتذال النفس طلبا للوظيفة ، بل ومسـتجاش العاطفة (٦٦) ، ذا مشرب صوفى سلفى (٦٧) ، وفى تلك العاطفة ما يدفع بصاحبها الى الاستغراق فى الماضى ، ليكون عوضا عن

(٦٦) يظهر ذلك ما أورده فى السلوك (ج ٤ ص ١٠٣٨ - ١٠٣٩) ضمن حوادث حولية احدى وأربعين وثمانمئة للهجرة من البكاء لاشاعة بعضهم موت الخطيب يوم الجمعة ، على النحو لتالى :

« ٠٠٠ وفى يوم الجمعة تاسعه (شوال) ، اتفقت حادثة لم ندرك مثلها ، وهو ن الخطيب بالجامع الأزهر رقى المنبر فخطب ، وأسمع الناس الخطبة - وأنا فيهم - حتى أتمها على العادة ، وجلس للاستراحة بين الخطبتين ، فلم يقم حتى طال جلوسه ، ثم قام وجلس سريعا ، واستند الى جانب المنبر ساعة قدر ما يقرأ القارئ ريع من القرآن ، والناس فى انتظار قيامه ، واذا برجل من الحاضرين يقول : مات الخطيب ، فارتج الجامع وضع الناس وضربوا أبددهم بعضها على بعض أسفا وحزنا ، وأخذنى البكاء وقد اختلت الصفوف ، وقام كثير من الناس يريدون المنبر ، فقام الخطيب على قدميه ، ونزل عن المنبر ، فدخل المحراب ، وصلى من غير أن يجهر بالقراءة ، وأوجز فى صلاته حتى أتم الركعتين » .

(٦٧) بكشف عن ذلك ترجمته لأعلام المتصوفة فى عصره ، وتسليمه بالكثير من مستغربات الحدوث ، على النحو الذى سوف يكشف عنه من خلال منهجه فى الكتابة التاريخية ، ومناجاته للموتى فى مناماته (راجع : السلوك ج ٤ ص ٨١٣ ، حيث مناجاته لابن الموات بعد موته) وتسجيله لذلك ضمن ترجماتهم .

حاضره ، ولذا أثر مؤرخنا العكوف في بيته منصسرفا الى العبادة(٦٨) والتأليف(٦٩) ، وقد وجد فيهما « السلوى » عما أفقده من وظائف ، و « السلوان » عما صادفه من الهزات الاقتصادية(٧٠) . والأوبئة والطواعين ، التي فقد في بعضها ابتته « فاطمة » (ت ٨٢٦ هـ / ١٤٢٣ م) - وقد بلغت سبعا وعشرين سنة ونصفا - وكانت آخر من بقى من أولاده ، كما كان هو عينه فريسة مرض طويل ، أفضى به الى الموت ، عصر يوم الخميس ، السادس والعشرين من رمضان سنة (٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) ودفن يوم الجمعة - قبل الصلاة - بحوش « الصوفية البيبرسية » ، خالفا وراءه تراثا ضخما جديرا بدراسته والانتفاع به ، وسيرة حسنة ، نعت فيها لدى « ابن حجر » بأنه « كان اماما بارعا ، مفننا ، متقنا ، ضابطا ، خيرا ، محبا لأهل السنة ، يميل الى الحديث والعمل به حتى نسب الى الظاهر ، حسن الصحبة ، حلو المحاضرة » ولدى « السخاوى » بـ « حسن الخلق ، وكرم العهد ، وكثرة التواضع ، وعلو الهمة لمن يقصده ، والمحبة في المذاكرة ، والمداومة على التهجد ، والأوراد ، وحسن الصلاة ، وفريد الطمانينة فيها ، والملازمة لبيته » .

(٦٨) أجمعت مصادر ترجمته على ذلك .

(٦٩) السخاوى . الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٢ .

(٧٠) راجع : المقرئى . اغاثة الأمة بكشف الغمة ص ٧٦ - ٨٠ .

مجهوداته في الكتابة التاريخية

ترك « المقرئى » - رحمه الله - مؤلفات عديدة ، فى مجال التاريخ ، والأنساب ، والعقائد ، والفقه ، والأدب ، والعلوم البحتة (٧١) زادت على نحو مائتى مجلدة كبار (٧٢) ، لكن لم يبق من هذه المؤلفات أو من عنواناتها سوى النزر اليسير ، المبعثر فى مكتبات العالم ، أو المثبت عنواناته لدى من ترجم له ، أو اعتنى بالفهرسة العامة للمؤلفات العربية ، ويمكن اجمال مؤلفاته على النحو التالى :

١ - اتعاط الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء (٧٣)

أرخ فيه « المقرئى » للدولة الفاطمية منذ قيامها فى المغرب

(٧١) أشار السخاوى (الضوء الملامع ج ٢ ص ٢٤) الى أن مؤرخنا كانت له خبرة بالزايعة والاصطرباب والرمل والميقات ، فابن خلدون التمس منه تعيين وقت ولايته ، فأخذ له طالعا ، وعين له يوما فكان كذلك .

(٧٢) نفسه ج ٢ ص ٢٣ .

(٧٣) نشر فى القاهرة (المجلس الأعلى للشئون الاسلامية) فيما بين سنتى ١٩٦٧ و ١٩٧٣م . فى ثلاثة أجزاء ، بتحقيق الدكتورين جمال الدين الشيال ، ومحمد حلمى عبد الهادى .

العربى وحتى سقوطها فى مصر ، مترجما لخلفائها ، مشيرا من خلال ترجماتهم الى الحوادث الواقعة فى زمانهم ، وقد انتظمتها عدة حوليات متتابعة ، مقدما لترجماتهم بالحديث عن أولاد « على ابن أبى طالب » وأعقابهم ، مع تحقيق نسب الخلفاء الفاطميين ، والتعريف بنشأة دولتهم فى المغرب العربى ، ومذيلا عليها بالتعريف برسوم دولتهم فى مصر ، وما عابه الفقهاء والمؤرخون عليهم ، فضلا عما صار اليه أمر أهليهم وذويهم بعد سقوط دولتهم فى مصر .

٢ - الاخبار عن الاعذار (٧٤) :

يبدو أن « المقرئى » عالج من خلاله موضوعا تاريخيا - اجتماعيا ، دار حول ما يقام من ولائم فى البناء (الزواج) والختان (٧٥) .

٣ - إزالة التعب والعناء فى معرفة الحال فى الغناء (٢٦) .

٤ - الإشارة والايحاء الى حل لغز الماء (٧٧) :

رسالة لطيفة الحجم ، كتبها « المقرئى » يوم الثلاثاء ، لأربع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة (٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م) على سبيل التسلية ، مستعرضا من خلالها معارفه الأدبية ، واللغوية ، والبلاغية ،

(٧٤) السخاوى . الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٢ .

(٧٥) راجع : الفيروزابادى . القاموس المحيط ص ٥٦١ - ٥٦٢ ، مادة : « عذر » .

(٧٦) ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج ١ ص ٣٩٨ ، السخاوى . الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٣ .

(٧٧) توجد منه عدة نسخ خطية ، قدر لى الاطلاع على اثنتين منها ، فى مصورتين تحتفظ بهما مكتبة جامعة القاهرة ، تحت رقمى : « ٢٢٠٧٥ » و « ٢٦٢٤٧ » ، ضمن مجموع رسائل المقرئى .

والفقهية ، والعلمية البحتة ، وهى تدور حول حل (تفسير) لغز عن الماء ، تصدرها على النحو التالى :

« ٠٠٠ ما قولكم فى شىء يطير بلا جناح ، يبيض ويفرخ فى البطاح ، رأسه فى ذنبه ، وعينه فى موضع قتبه ، يسمع بأذن واحدة ، ويبصر بعين زائدة ، له قرن كالنخلة السحوق ، ويعجب من أبصره ويدوق ، يصلى الى المغرب بالليل ، ويسجد طول دهره لسهيل ، تتقرب به الملوك للمخالق ، ويوحدون الله بقلب صادق ، تتقرب به النصارى واليهود ، والكتب المنزلة بذلك شهود ، ريشه كثير ، ووبره غزير ، وطعامه الجوز والعسل ، وبه يضرب المثل ، شرابه اللبن والخمر ، ونقله الملح والتمر ، يكره النسوان ، ويحب الغلمان ، يحمل الأثقال وهو ضعيف ، ويفترس الأسد وهو نحيف ، ان طلب أدرك ، وان طلب أهلك ، يقطع الأرض فى ساعة بلا مال ولا بضاعة ، تعرفه الملوك وتنكره ، وتفهمه السوق وتخبّره ، يسكن القصور ، ويأوى بالليل (الى القبور ، يبكى على الأحباب ، ويندب ففت الشباب ، ما ملكه - قط - بشر ، ولا حازه أنثى ولا ذكر ، تلعب به الصبيان ، وتغلى من سعره الأثمان ، يمازجه الايقاف ، ويتلى فى سورة « ق » ، يصلى ويصوم ، ويقعد ويقوم ، خلقته لاتحصى ، وصفاته لا تستقصى » (٧٨) .

لكن يعيب هذا المؤلف ماتخلل مادته من التسليم ببعض الخرافات ومستغريات الحدوث ، ومنها قوله مؤكدا على كراهية الماء للنساء وحبّه للغلمان :

« ٠٠٠ وقوله : يكره النسوان ويحب الغلمان ، فانه معنى مستغلق ، بعيد المرمى ، يحتاج الى ايضاح ، لأنه لا يعرفه الا الأقل

(٧٨) المقرئى ٠ الاشارة والايماء (مخط ٠ رقم : ٢٢٠٧٥) ق ١ .

من القليل ، ولولا خشية الظن أن أتكثر بما لا أعرف لما سمحت به ،
فإن كثيرا من أصحابنا - غفر الله لهم - يتوهم أحدهم أنه يعرف
العلم كله ، فإذا فضحته شواهد الامتحان تبين أنه لا يعرف شيئا ،
فنقول :

الأسرار المعتبرة عند أئمة السحرة ، أنه إذا نزل المطر والبرد
تجردت امرأة من جميع ثيابها ، واستلقت على قفاها ، ورفعت
رجليها ، وباعدت ما بينهما ٠٠ نحو السماء ، فإن المطر يرتفع نزوله
عن تلك المزرعة أي الساحة التي بها تلك المرأة ، ولا ينزل عليها منه
شيء مادامت المرأة كذلك ، وشرط بعضهم أن تكون المرأة حائضا ،

وأما حب الغلمان ، فسر بديع ، لم أر أحدا أبدا تكلم به ، وهو
- أيضا - من علوم الأقدمين ، وذلك أن العين إذا أرادوا استنباطها
أي كان ماؤها قليلا وقصدوا غزارته ، فإنهم يعمدون إلى سبعة غلمان
بارعين الجمال ، زائدين في الحسن ، مجيدين بضرب الموسيقى ،
ذوى أصوات مطربة ، ثم يقومون صفا واحدا متحاذين ، ويبد كل
منهم عود ، وقد استقبلوا بوجوههم منبع العين ، ويحركون أوتار
عيدانهم تحريكا واحدا ، بايقاع واحد ، مدة ثلاث ساعات ، بطالع
معروف ، فإن ذلك الماء يسح حتى يبل أقدامهم ، فكلما تأخروا تبعهم ،
حتى يحصل به الغرض ، فيمضوا .

فاعتبر ذلك بأن تجلس جماعة على شط النيل - سيما وقت
المد - ويكون من الجماعة صبي ، فإنك إذا طلبت البحر تجده عند
قأمله يقذف بموجه إلى جهة الصبي أشد ما يقذف إلى جهة غيره
من الجماعة .

والله في خلقه أسرار بديعة ، يهدي منها ما يشاء لمن شاء « (٧٩) » .

(٧٩) المصدر السابق ق ١٧ - ١٨ .

٥ - الإشارة والاعلام ببناء الكعبة والبيت الحرام (٨٠) .

٦ - اغاثة الأمة بكشف الغمة (٨١) :

رسالة لطيفة الحجم ، فرغ « المقریزی » من تأليفها في المحرم سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م (٨٢) ، على أثر المجاعات والكوارث الاقتصادية التي لحقت بمصر فيما بين عامي (٧٩٦ و ٨٠٨ هـ) . عارضا من خلالها لما حل بمصر من غلاء ، وما ترتب عليه من مجاعات أو « كوارث مجيئة » فيما قبل نشوء الاسلام وبعده حتى سنة ثمان وثمانمئة للهجرة ، محصيا منها ستا وعشرين حادثة ، خدس مصر الاسلامية منها عشرين ، وردت على سبيل التمثيل لا الحصر ، وقد أشير من خلالها الى أن فيها ما هو أشد وأنكى من المحن المعاصرة ، معللا لهذه المحن بأسباب طبيعية ، كقصور جرى النيل في مصر ، وعدم نزول المطر في الشام والعراق والحجاز ، وما يصيب الغلال من الآفات وسمائم الرياح (٨٣) ، وأخرى غير طبيعية ، ترجع الى سوء تدبير ولاية الأمور ، وتنحصر في ثلاثة ، وهي : ولاية الخطط السلطانية والمناصب الدينية بالرشا، وغلاء ايجار الاطيان مع زيادة نفقات الحرث والزراعة على مبلغ ما تغله الأرض من محصول ، ورواج الفلوس النحاسية (٨٤) ، وفي هذا العامل الأخير يكمن لب المشكلة وحلها في رأى « المقریزی » ، ولذا صرف

(٨٠) المقریزی . الذنب المسبوك ص ٢٦ .

(٨١) نشر في القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ٢ ، ١٩٥٧ م .) بتحقيق الدكتورين « محمد مصطفى زيادة » و « جمال الدين الشيال » .

(٨٢) المقریزی . اغاثة الأمة ص ٤٣ ، ٨٦ .

(٨٣) نفسه ص ٤١ .

(٨٤) نفسه ص ٤٣ - ٤٧ .

جل اهتمامه اليه ، مستطردا منه الى ثلاثة موضوعات ، يمكن
احمالها على النحو التالى :

١ - النقد الاسلامى ، وتطور سك العملة ، وأثره فى النظام
النقدى فى مصر (٨٥) .

٢ - نشأة الفلوس المضروبة من النحاس الأحمر فى مصر ،
وتراجع الدراهم المضروبة من الذهب (لعدم ضربها ألبتة ، أو سبكها
حاليا (٨٦) ، وما فى هذا التضخم النقدى من أثر على سائر طبقات
المجتمع ، التى حصرها فى سبع (٨٧) فئات ، وهى :

(١) أهل الدولة .

(ب) أهل اليسار من التجار وأولى النعمة من ذوى الرفاهية .

(ج) الباعة (أصحاب البز) ، وأصحاب المعاش (السوق) .

(د) أهل الفلح (أهل الزراعات والحرث ، وسكان الريف) .

(هـ) الفقهاء وطلاب العلم والكثير من أجناد الحلقة ، ونحوهم

(و) أرباب الصنائع والأجراء أصحاب المهن .

(ز) السوّال (ذوى الحاجة والمسكنة) .

٣ - أسعار النقد (ذهباً وفضة) ، وبعض السلع ، كالقمح
والشعير والبقول والبسلة والحمص والأرز ، ولب اليقطين (الكوسا)
والجزر والفجل واللفت والرجلة ، والقرع والخيار ، الليمون ،

(٨٥) المصدر السابق ص ٤٣ - ٤٧ .

(٨٦) نفسه ص ٤٧ - ٦٦ .

(٨٧) نفسه ص ٧٢ - ٧٣ .

والبطيخ والعنب والكمثرى ، والترنجيبين (ظل قريب من خيار شذير
فى الخواص) ، وزهر النيلوفر ، والجمال والبقر والضأن ولحومهما ،
والدجاج وبيضه ، وزيتى السيرج والزيتون ، والسكر والكتان ،
وبعض الملابس القطنية فى مصر ، وما تعامل به هذه السلع من
وحدات الكيل أو الوزن أو القياس ، كالمقنطار والأردب والقسح
والرطل والذراع (٨٨) ، مدلا من خلال ذلك على أن هذه الأسعار « إذا
نسبت الى الدرهم أو الدينار لا يكاد يوجد فيها تفاوت » عما عهد
قبل هذه المحن البتة ، اللهم الا فى أشياء معدودة ، كالحوم الأبقار
لما نزل بالبقر من موت ذريع سنة ثمان وثمانمائة للهجرة ، والسكر
لقلة زراعة قصبه واعتصاره فى سنتى سبع ، وثمان وثمانمائة
للهجرة ، بالاضافة الى ما يقترن بذلك من سوء تدبير الحكام وغفلتهم
عن النظر فى مصالح البلاد (٨٩) .

مقترحا كحل لتفادى حدوث مثل هذه الكوارث الاقتصادية ،
الاقتصار فى النقد على التعامل فى اثمان المبيعات والأجور (قيم
الأعمال) على الذهب والفضة لا غير (٩٠) .

وهكذا ، فقد أخذ « المقرئى » فى دراسته تلك بمبدأ السببية ،
متنكرا لمبدأ القدرية ، الذى كان رافضا له منذ الشروع فى انشاء
هذه الرسالة ، كما يفهم من قوله فى مقدمتها :

« ... ظن كثير من الناس أن هذه المحن لم يكن فيما مضى
مثلا ، ولا مر فى زمن شبهها ، وتجاوزوا الحد ، فقالوا : لا يمكن
زوالها ، ولا يكون أبدا فى الخلق انفصالها ، وذلك أنهم قوم لا يفقهون ،

(٨٨) نفسه ص ٧٦ - ٧٩ .

(٨٩) المصدر السابق ص ٨٣ .

(٩٠) نفسه ص ٨٠ - ٨١ .

وبأسباب الحوادث جاهلون ، ومع العوائد واقفون ، ومن روح الله آيسون « (٩١) .

منبها الى ما للنقد من أثر عظيم فى المجالين الاقتصـادى والاجتماعى للشعوب ، موجهها بعض عناصر هذه الدراسة وجهة نقدية ، هادفة الى التخويف من الاحتكار والتلاعب بالأسعار ، على النحو الوارد فى قوله :

« ٠٠٠ وزعم كثير من أرباب الأموال أن هذا الغلاء كسنى يوسف — عليه السلام — وطمع أن يشتري بما عنده من الأقوات أموال أهل مصر ونفوسهم ، فأمسك الغلال وامتنع من بيعها ، فلما وقع الرخاء ساست كلها ولم ينتفع بها فرماها ، وأصيب كثير ممن اقتنى المال من الغلال ، فبعضهم مات عقب ذلك شر ميتة ، وبعضهم أجيح فى ماله ، وان ربك لبالمرصاد ، وهو الفعال لما يريد » (٩٢) .

وقوله :

« ٠٠٠ وكثرت أرباح التجار والباعة ، وازدادت فوائدهم ، فكان الواحد من الباعة يستفيد فى اليوم المائة والمائتين ، ويصيب الأقل من السوق ربحا فى اليوم ثلاثين درهما ، وكذلك كانت مكاسب أرباب الصنائع ، واكتفوا بذلك طول الغلاء ، وأصيب جماعة كثيرة ممن ربح فى الغلال — من الأمراء والجند وغيرهم — فى مدة الغلاء ، اما فى نفسه بآفة من الآفات ، أو باتلاف ماله التلاف الشنيع ، حتى لم ينتفع . فلقد كان لبعضهم ستمائة أردب باعها بسعر مائة وخمسين الأردب وبأزيد من ذلك ، فلما ارتفع السعر عما باع به ندم على بيعه الأول حيث لم ينقعه الندم ، فلما صار اليه ثمن الغلال أنفق

(٩١) نفسه ص ٣ — ٤ .

(٩٢) نفسه ص ٣١ — ٣٢ .

معظمه فى عمارة دار ، وزخرفها ، وبالف تحصينها واجادتها ،
حتى اذا فرغت وظن أنه قادر عليها أتاها أمر ربهها ، فاحترقت
بأجمعها ، وأصبحت لا ينتفع بها بشئ (٩٣) .

لكن شاب هذه الرسالة - كذلك - تسليم « المقرئى » من
خلال مادتها بكثير مما جاء فى مصادره من المبالغات أو مستغربات
الحدوث ، ومن ذلك اشارته الى أكل الناس - فى مصر - للكلاب
والقطط واللحوم الأدمية ، على النحو الوارد فى قوله :

« ... فكانت طوائف تجلس بأعلى بيوتها ، ومعهم سلب
وحبال فيها كلاليب ، فإذا مر بهم أحد القوها عليه ونشلوه فى أسرع
وقت وشرحوا لحمه وأكلوه » (٩٤) .
وقوله :

« ... فكان الأب يأكل ابنه مشويا أو مطبوخا ، والمرأة تأكل
ولدها ... ويدخل بعضهم الى جاره فيجد القدر على النار ،
فينتظرها حتى تنهى ، فإذا هى لحم طفل ، وأكثر ما يوجد ذلك فى
أكابر البيوت ، ووجدت لحوم لأطفال بالأسواق والطرقات مع الرجال
والنساء مختفية ، وغرق فى دون شهرين ثلاثون امرأة بسبب ذلك ،
ثم تزايد الأمر حتى صار غذاء الكثير من الناس لحوم بنى آدم ،
بحيث ألفوه ، وقل منعهم منه لعدم القوت من جميع الحبوب وسائر
الخضروات وكل ما تنبته الأرض » (٩٥) .

وقوله مشيرا الى نطق ثور جبة عسال :

« ... ووقع بآخر الغلاء أعجوبة فى غاية الغرابة ، لم
يسمع بمثلها ، وهى أن رجلا من أهل الفلح بجبة عسال - احدى

(٩٣) المصدر السابق ص ٣٦ - ٣٧ .

(٩٤) نفسه ص ٢٤ - ٢٥ .

(٩٥) المصدر السابق ص ٢٩ - ٣٠ .

قرى دمشق الشام - خرج بثور له ليرد الماء ، فاذا عدة من الفلاحين قد وردوا الماء ، فأورد الثور حتى اذا اكتفى نطق بلسان فصيح أسمع من بالمورد ، وقال : الحمد لله والشكر له ، ان الله - تعالى - وعد هذه الأمة سبع سنين مجدية ، فشفع لهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وان الرسول أمره أن يبلغ ذلك ، وأنه قال : يا رسول الله ، فما علامة صدقي عندهم ؟ قال : أن تموت بعد تبليغ الرسالة ، وأنه بعد فراغ كلامه صعد الى مكان مرتفع وسقط منه ومات ، فتسامع به أهل القرية ، وجاءوا من كل حذب ينسلون ، فأخذوا شعره وعظامه للتبرك ، فكانوا اذا بخلوا به موعوكا برىء ، وعمل بذلك محضر مثبت على قاضى البلد ، وحمل الى السلطان بمصر ، فوقف عليه الأمراء واشتهر بين الناس خبره ، وشاع ذكره « (٩٦) » .

٧ - الامام باخيار من يارض الحبشة من ملوك الاسلام :

رسالة لطيفة الحجم ، كتبها « المقرئى » أثناء مجاورته فى مكة سنة تسع وثلاثين وثمانمائة (١٤٣٥ - ١٤٣٦ م) مرتبا لها على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة قصيرة جدا ، اقتصر فيها على الصلاة والتسليم .

٨ - امتاع الاسماء بما للرسول من الأبناء والأحوال والحفدة والامتناع (٩٧) .

(٩٦) نفسه ص ٣٨ - - ٣٩ .

(٩٧) توجد منه مخطوطة محتفظ بها فى مكتبة « كوبريلى - تركيا » برقم : « ٠٠٤ » ، كتبت فى شوال سنة (١٢٦٨هـ / ١٥٦١م) ، تقع فى ستة أجزاء ضمت (٩١٩) ورقة ، مقاسها : ٢٧ x ٤٠ سم ، ومسطرتها نحو ٣٥ سطرا ، وعنها مصورتى : دار الكتب المصرية فى القاهرة ، ذات الرقم : ٨٨٦ - تاريخ ، ومعهد احياء المخطوطات العربية فى القاهرة ، ذات الرقم : ٦٢ - تاريخ . ولم يطبع منه سوى الجزء الأول - فقط - بتحقيق محمود شاكر . القاهرة ، ١٩٤١م .

مؤلف مطول فى سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم -
جمع مادته من مصادر رئيسة ومتعددة ، محررا فيه الخلاف حول
كثير من الوقائع ، مع العناية بتحقيق الكثير من المسائل الفقهية
المتصلة بحوادث السيرة (٩٨) ، حدث به « المقرئى » فى مكة (٩٩) ،
أثناء مجاورته فيها (١٠٠) سنتى (٨٤٣ هـ / ١٤٣١ م ، ٨٣٩ هـ /
١٤٣٦ م) .

٩ - الأوزان والأكيال الشرعية (١٠١)

١٠ - البيان والاعراب عما بارض مصر من الأعراب (١٠٢) .

رسالة لطيفة الحجم ، كتبها ، المقرئى ، سنة (٨٤١ هـ /
١٤٣٧ م) ، مشيرا من خلالها الى القبائل العربية التى دخلت مصر
مع الفتح العربى ، وأماكن وجودها فى عصره ، مقررا « أن العرب
الذين شهدوا فتح مصر قد أبادهم الدهر ، وجهلت أكثر أعقابهم ،
وقد بقيت من العرب بقايا بارض مصر » (١٠٣) ، حصرت لديه فى

(٩٨) راجع : المقرئى . امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ، فيما
تعلق بالصلاة الوسطى .

(٩٩) كانت للمقرئى رحلات متعددة للحج والمجاورة فى مكة ، أتت
فى سنوات متعددة ، منها : ٧٨٧ ، ٧٩٠ ، ٨٣٤ ، ٨٣٩ هـ . (= ١٣٨٥ ،
١٣٨٨ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٦ م) .

راجع : المقرئى . الامام ص ٢ ، درر العقود الفريدة ق ٤ ب ، ١١٧ ،
السلوك ج ٤ ص ٨٥٨ ، الطرفة الغربية ق ١ ١ .

(١٠٠) المقرئى . درر العقود الفريدة ق ٨٣ ب ، ٨٦ ، السلوك ج ٤
ص ٨٥٨ ، ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج ١ ص ٣٩٧ ، السخاوى .
الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٢ .

(١٠١) نشره ، روستوك ، ١٧٩٧ م .

(١٠٢) أعاد نشره محققا د . عبد الحميد عابدين (القاهرة ، عالم
الكتب ، ط ١ ، ١٩٦١) ، مع دراسة عن تاريخ العروبة فى وادى النيل .
(١٠٣) المقرئى . البيان والاعراب ص ٣ .

ست عشرة آيية ، وهى : ثعلبة ، وجرم ، وسنيس ، وجذام ، وبني هلال ، وبلى ، وجهينة ، وقريش ، وكنانة ، والأنصار ، وعوف ، وفزارة ، ولواته ، ولخم ، وحرام ، وبني سليم (١٠٤) ، غير مرتب لها على حرف المعجم ، أو على أصول الأنساب (قحطانية وعدنانية) ، أو بحسب منازلهم فى مصر ، فأنت أشبه شىء بـمذكرات كتبت على عجل ، وعلى غير نظام واضح .

١١ - التأريخ الكبير المتقى فى تاريخ أهل مصر والواردين عليها .

معجم تأريخى ضخ ، أتى فى ست عشرة مجلدة (١٠٥) ،

(١٠٤) د . ابراهيم أحمد رزقانة . القبائل العربية فى مصر عند المقرئى (ضمن كتاب دراسات عن المقرئى) ص ٨٤ .

(١٠٥) يبدو أن « المقرئى » كان ينتوى أن يتبسط فى مادة هذا الكتاب وفى محتواه ، بحيث باتى فى أكثر من ثمانين مجلدة ، لكنه اضطر الى اقتضابه فى هذه المجلدات الست عشرة ، على النحو المفهوم من قول السخاوى (الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٢) . « ٠٠٠ وهو فى ستة عشر مجلداً ، وكان يقول : انه لو كمل على ما برومه لجاوز الثمانين » . وقول ابن تغرى بردى (المنهل الصافى ج ١ ص ٣٩٧) . « ٠٠٠ ذكر لى - رحمه الله - قال : لو كمل هذا التاريخ على ما أختاره لجاوز الثمانين مجلداً » .

وفى يقينى أنه ترك هذا المؤلف تاماً ، فقد أحال من خلال مادته الى تتمات لعناصر بعض الترجمات ، أتت فى ترجمات من حرف الياء ، كنحو قوله (المتقى . مخط . السليمية ، ق ٢٩٦ب) : « ٠٠٠ فلما قدم يانس العزى الى طرابلس بعد ولايته برقة ، وخرج تمصولت الى مصر ، كما ذكر فى ترجمة كل منهما ٠٠٠ » ، لكن لم يعد بعشر بعد على نسخة مكتملة من هذا الكتاب اذ المعروف للباحثين منه - حتى الآن - خمسة مجلدات تحتفظ بثلاثة منها مكتبة جامعة ليدن ، برقم ١ « ١٣٦٦ » ، وقد احتوت على جزء من ترجمات حرف الهمزة ، وترجمات الكاف واللام ، وجانب من حرف

ترجم « المقریزی » فيه لمشاهير أهل مصر — فيما قبل الإسلام ويحده حتى وقته — على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم ، ممن استقروا فيها ، أو تحولوا عنها الى غيرها من البلدان ، كما ترجم فيه — كذلك — لمن دخلها مستوطنًا لها ، أو عابرا في طريقه الى الحج أو غيره

=

الميم ، أما الرابعة ، فتحتفظ بها المكتبة الوطنية في باريس برقم « ٢١٤٤ — عرب » ، وتحتوي على بعض ترجمات حرف الطاء ، وحرف اللام . بجانب من حرف العين . وهذه المجلدان الأربعة مسودات بخط « المقریزی » . على حين أتت المجلدة الخامسة من الكتاب مبيضة بنير خالص ، وقد أحسرت على عدد من ترجمات الكتاب ، ابتداءً بإبراهيم ، وانتهاءً بخيثمة بن سليمان بن حيدرة الطرابلسي ، وهي محفوفة في مكتبة السليمانية بتركيا ، برقم ٤٩٦ .

وقد اكتشفت أثناء دراستي لمخط « جيبته » من دور المازد الفريدة أن الجزء المتم لحرف العين في مخط . ياردس قد ضم الى هذا الكتاب بعد = انخراجه في آخره .

وهكذا ، فإن ما وصلنا من « المقفى » قد أتى في معظمه مسودات بخط « المقریزی » ، بعد ضياع مقدمة الكتاب وخاتمته ، وترجمات هروف كثيرة ، من الدال الى آخر الحروف .

ومن حسن الحظ أن تصدى أخيرا لاجراج هذا الكتاب مدققا في مصرقة الحالية الأستاذ « محمد اليعلاوى » ، فدفع للطبع بأربعة اجزاء من ثمانية ، وكان قد انتخب منه — قبل ذلك — سبعا وسبعين ترجمة تنتمي الى الفترة العبيدية (الفاطمية) ، ضمها مجلد احتوى على نحو (٤٨٦ صفحة) متوسطة القطع .

راجع . المقریزی . كتاب المقفى الكبير (تراجم مفيدة ومشرقية من الفترة العبيدية) . ت . محمد اليعلاوى . بيروت ، الغرب الاسلامي ، ط ١ ، ١٩٨٧ .

– يقينا أو ظنا – ومن الطريف أن يذكر أنه ترجم فيه – كذلك – لمن دخل مصر « ميتا محنطا » (١٠٦) ، أو « رأسا مقطوعة » (١٠٧) .

١٢ – تجريد التوحيد المفيد (١٠٨) .

مؤلف لطيف الحجم ، يدور موضوعه حول « علم التوحيد » ، أجمل « المقرئى » الإشارة إليه فى مقدمته بقوله :

« ... وبعد ، فهذا كتاب جم الفوائد ، بديع الفرائد ، ينتفع به من أراد الله والدار الآخرة ، سميته : تجريد التوحيد المفيد ، والله أسأل العون على العمل بمنه وكرمه » (١٠٩) .

وهذا المؤلف على وجازته ، لم يأت مؤرخنا فيه بموضوع دينى تقليدى ، وإنما أحاط فيه الى جانب ذلك بالتعريف بكثير من الفرق الاسلامية ، ذاكرا من خلالها مذاهبها وأدلتها ، مناقشا لها .

(١٠٦) كنحو قوله (المقفى . مخط . السليمية ق ٢٠٠ ١) مترجما المنصور بالله اسماعيل :

« ... لما دخل المعز لدين الله أبو تميم معد الى القاهرة كان معه توابيت أبائه : المنصور اسماعيل – هذا – والقائم أبى القاسم محمد ، والمهدى عبيد الله ، فدفنهم بتربة القصر من القاهرة ، فلذلك ذكرته فى كتابى هذا » .

(١٠٧) من ذلك ترجمة « خلف بن جبير » ، أحد ثوار المغرب ، وقد قتل فى المغرب ، وطيف برأسه فى « القيروان » ، ثم حملت الى مصر فطيف بها فى « القاهرة » .

راجع : المقرئى . المقفى (مخط . السليمية) ق ٤٣٤ .

(١٠٨) طبع فى القاهرة (المنيرية ، ١٢٧٣هـ) بتحقيق طه الزينى .

(١٠٩) المقرئى . تجريد التوحيد (مخط . جامعة القاهرة ، رقم : ١١/٢٦٢٤٧) ، ق ١١٧٦ .

١٣ - التذكرة (١١٠) .

١٤ - تراجم ملوك المغرب (١١١)

١٥ - تلقيح العقول والآراء في تلقيح أخبار الجبل
الوزراء (١١٢) .

١٦ - حصول الانعام والمير في سؤال خاتمة الخير (١١٣) .

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول « سؤال العبد ربه
- تعالى - أن يختم له ولأخيه المؤمن بخير » ، مستلهما ذلك من قول
« يوسف » - عليه السلام - مناجيا ربه : « توفني مسلما والحقني
بالصالحين » (١٠١ : يوسف) .

١٧ - الخير عن البشر (١١٤)

مؤلف ضخم ، جعله « المقرئى » مدخلا لامتناع الاسماع ،

(١١٠) مؤلف فى التاريخ - كما يومهم ملخصه - أشار ابن تغرى بردى
(المنهل الصافى ج١ ص ٣٩٨) الى أنه كمل منه ثمانون مجلدة .

(١١١) احتوى على بعض ترجمات ملوك المغرب العربى ، وقد يكون
مذكرات جمعها « المقرئى » من المصادر للانتفاع بها فى بعض مؤلفاته ،
راجع : د . جمال الدين الشيال . مقدمة تحقيق اتعاظ الحنفاء ج١ ص ١٤ .

(١١٢) المقرئى . الخطط ج١ ص ٤٤٢ ، ج٢ ص ٢٢٣ .

(١١٣) راجع : المقرئى . حصول الانعام والمير (مخط . مكتبة جامعة
القاهرة ، رقم : ١٢/٢٦٢٤٧) .

(١١٤) توجد منه عدة نسخ غير مكتملة ، بيانها كالتالى :

(١) مخط . أحمد الثالث - تركيا ، ذات الرقم : « ٢٩٢٦ » ، وتقع فى
خمسة أجزاء ، تبدأ بخطبة الكتاب ، وتنتهى بالحديث عن القوط من ملوك
الاندلس .

مؤرخا من خلاله للخليقة حتى ظهور الاسلام ، هادفا من وراء ذلك الى التعريف بقبائل العرب ، وتمييزها من سائر الأجناس ، ليعرف لها حقها من المحبة والاعظام والتجلة والاكرام ، لكونه - صلى الله عليه وسلم - هاشميا ، قريشيا عربيا ، على النحو الوارد فى قوله :

« ٠٠ أما بعد ، فان الله - وله الحمد - لما من باكمال كتاب امتاع الأسماع بما للرسول من الأتباع والأحوال والحفدة والمتاع - صلى الله عليه وسلم - أردت أن أعمل له مدخلا يشتمل على بدء الخليقة ، ومن سكن الأرض أولا ، وكيف خلق الله - تعالى - آدم - عليه السلام - وبث منه ذريته ، لكى تعرف العرب من بين الناس ، ويتميز جنسها من سائر الأجناس ، ليعلم كيف كان اجتماعها فى غابر الدهر واتفاقها ، ثم كيف كان من بعد ذلك تمزقها وافتراقها ، حتى صارت شعوبا وقبائل وعمائر وأقحاذا وقصائل ، فان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بنى هاشم ، وبذو هاشم من قريش ، وقريش من العرب ، فهو - صلى الله عليه وسلم - النبی العربی القرشى الهاشمی ، فلهذا دعت الحاجة الى معرفة العرب ، ليعرب لها حقها من المحبة والاعظام والتجلة والاكرام ، وما خص الله - تعالى - به

=

(ب) مخط ٠ دار الكتب المصرية بالقاهرة ، المصورة عن نسخة مكتبة « الفاتح - تركيا » ، ذات الرقم : « ٩٤٧ - تاريخ » ، وتقع فى ستة أجزاء تبدأ بأول الكتاب ، الثلاثة الأولى منها بخط « المقرئى » .

(ج) مخط ٠ دار الكتب الوطنية - تونس ، ذات الرقم : « ٣٥٥٨ » ، (وعن مصورة معهد المخطوطات العربية فى الكويت ، برقم : ٤٢٣ - ، وتبدأ بفاتحة الكتاب ، وتنخرم فى آخرها ، أثناء الحديث عن الاختلاف فى سبب تسمية قريش قريشا .

(د) مخط ٠ مكتبة جامعة الأزهر ، ذات الرقم : « ٤٣٩ - تاريخ / ٦٧٣٣ أباطة » ، وتحتوى على قطعة تبدأ بالحديث عن بنى عدنان ، وتنتهى بذكر « أسماء » ، احدى منجبات العرب .

قريشا من مزايا الشرف العظيم ، وما حبي به بنى هاشم من ولادة
الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم .

ثم لما رأيت فضل الله على بما علمني وفهمني عظيما ، ومنتته
وطوله بما رزقني من كثرة الاشراف على مقالات الخليقة جسيما ،
جعلته كتابا مستقلا لاتساعه وكثرة فوائده ، وشرف أوضاعه ،
وسميته : الخبر عن البشر « (١١٥) » .

وترجع أهمية هذا الكتاب - كذلك - الى احتوائه - فضلا عن
ذلك - على مادة رئيسة ، تكشف عن مفهوم « المقرئى » - صراحة -
لموضوع « علم التاريخ » ، وأقسامه ، وأقراره بفوائده ، وتحمسه
للدفاع عنه .

١٨ - خلاصة القبر فى كتاب السر (١١٦) .

١٩ - درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة (١١٧) .

(١١٥) المقرئى . الخبر عن البشر (مخط . تونس) ق ١٤ .
(١١٦) المقرئى . الخطط ج ٢ ص ٦٢ .
(١١٧) عرف لهذا الكتاب نسخة مكتملة ، تملكها د . « محمود الجليلي »
بالارث عن أجداده ، وحبسها عن الدارسين ، ولم يشأ نشرها أو اذاعتها ،
رغم مناشدة بعض المؤرخين والمتخصصين له ذلك ، وهى تقع فى مجلدين ،
يحتويان على (٩٧٢) صفحة ، مقاسها حوالى ٢٧ × ١٩ سم ، ومسطرتها
نحو ٢٩ سطرا ، تداول كتابتها ناسخان فى سنة واحدة ، نقلا عن مخط .
المؤلف . فقد جاء فى آخر صفحات المجلد الأول (المشتمل على مقدمة الكتاب
وترجماته حتى نهاية حرف الظاء) قول ناسخه :

« نجز الجزء الأول من تاريخ المقرئى ، بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ،
على يد الفقير الى الله - تعالى - على بن محمد بن عبد الله الفيومى ،
حامدا لله ، ومتوسلا برسول الله داعيا لملكه ، زاده الله من السعادة

=

=

والسيادة ، وجعله من الذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، وجميع المسلمين ، أمين ، بتاريخ التاسع والعشرين (فى الأصل : والعشرون) من شهر شعبان المكرم سنة ثمان وسبعين رثمانمائة .

كما جاء فى آخر المجلد الثانى (المشتغل على ترجمات الكتاب ابتداء بحرف العين . وانتهاء بآخر ترجمات حرف الياء) قول ناسخه .

تم الجزء - المبارك - الثانى من كتاب التاريخ ، للشيخ الامام العالم العلامة ، البحر الفهامة . شهاب الدين ، أحمد بن نور الدين على المقرئى . الشافعى ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته ، وذلك على يد الفقير الى الله - تعالى - أحمد بن محمد التلوانى الأزهرى ، غفر الله له ولوالديه ، ولن قرأ فى هذا الكتاب ودعاه بالتوبة والمغفرة ، ولجميع المسلمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله وحده . وكان الفراغ من كتابته فى يوم الاثنين . سابع عشر شهر شوال المبارك سنة ثمان وسبعين وثمانمائة .

(راجع . مقالتي د . محمود الجليلي : « درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة للمقرئى » ، و « ترجمة ابن خلدون للمقرئى » ، المنشورتين فى مجلة المجمع العلمى العراقى على التسابع ، مج ١٢ ص ٢٠١ - ٣١٤ ، ٢١٥ - ٢٤٤ ، ومادة ما صاحبهما من مصورات الكتاب ، والمشتغلة = على . مقدمة المؤلف ، وترجمات : « عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم بن لاجين الرشيدى » . و « عبد الرحمن بن على بن خلف ابن زين الدين الفارسكورى » . و « يوسف بن حسين بن على بن محمد بن زكريا الواحى » وصدر ترجمة « ابراهيم بن محمد بن بهادر بن عبد الله » . المعروف بابن زقاعة ، وديباجتى الناسخين فى مجلدى الكتاب) .

أما المخط . الأصلى للكتاب ، الذى تركه « المقرئى » بخطه فقد احتفظت به مكتبة « جيته » - فى ألمانيا - برقم « ٢٧٠ - عرب » ، وعنه مصورة مكتبة

معجم في ترجمات أعيان عصر « المقریزی » ، أشار في مقدمته
الى دافعه لتأليفه ، قائلاً :

« ٠٠٠ وبعد ، فاني ما ناهزت من سني العمر الخمسين ، حتى
فقدت معظم الأصحاب والأقربين ، فاشتد حزني لفقدهم ، وتنقص
عيشي من بعدهم ، فعزيت النفس عن لقائهم بتذكارهم ، وعوضتها
عن مشاهدتهم باستماع أخبارهم ، وأملت ما حضرني من أنبأهم
في هذا الكتاب » (١١٨) .

المجمع العلمي العراقي ، ذات الرقم . « ٢١٣ » ، ويقع في نحو (١٨٥)
ورقة ، مزدوجة الصفحات ، شغل الكتاب منها نحو (١٥٠) ورقة ، حيث
انخرم في اثناء حرف الألف ، وفي أنر ترجمة « ايدكو » ، ملك الترك ، لتنضم
اليه عدة أوراق - بخط « المقریزی » - من كتاب « المقفى » ، تشتمل على
عدد من ترجمات « حرف العين » الذي أشير في بعض المراجع الحديثة الى
فقدانه .

وتصدره ديباجة ، محتواها :

« كتاب درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، تأليف فقير عفو
الله ، أحمد بن علي ابن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن تميم
ابن عبد الصمد بن أبي الحسن بن تميم ، الشهير والده بابن المقریزی ،
الشافعي ، غفر الله ذنوبه ، وستر بمنه وفضله عيوبه ، انه تريم » .

وتلك قطعة جيدة ، صالحة لدراسة الكتاب وتقويمه ، لكونها بخط
مؤلفه ، فضلا عن اشتغالها على ديباجة الكتاب ومقدمته ونحو (٢٥٢)
ترجمة من مجموع ترجماته ، البالغ عددها (٥٥٦) ترجمة - فيما اشار اليه
د . « الجليلي » - أي بنسبة (٦٣ر٥ %) من المجموع الكلي لترجمات الكتاب ،
شغلت منها ترجمات النساء «خمس» ترجمات - فقط - بنسبة (١ر٤ %) الى
ترجمات الرجال .

(١١٨) المقریزی . درر العقود الفريدة (مخط . جيته) ق ١٢ .

وتُسميته له : « ٠٠٠ وسميته درر العقود الفريدة في تراجم
الأعيان المفيدة » (١١٩) .

ومحتواه :

« ٠٠٠ ثم انى رأيت بعد ذلك أن أجمع أخبار من أدركته ، سواء
غاب عنى أو رأيت ، من أهل مصر كان أو غيرها من البلدان ،
فأقيد أخبار الملوك والأمراء ، وأعيان الكتاب والزوراء ، وأذكر رواة
الحديث والفقهاء ، وحملة سائر العلوم والشعراء ، ومن له ذكر
شهير ، أو قدر نبیه خطير ، اما من رجال الدنيا أو طلاب الأخرى .
من ابتداء سنة ستين وسبعمائة » (١٢٠) .

وهو بهذا يكون قد حدد الحيز الزمانى لكتابه بسنة « ستين
وسبعمائة للهجرة » فما بعدها الى قبيل وفاته ، أما الحيز المكانى
فقد تركه فضفاضاً ، ليتسع لترجمات من عاصروه فى مصر وفى
غيرها من الأقطار المعروفة له ، فى الشام والحجاز واليمن والعراق
والمغرب العربى والهند والحبشة وتركيا ٠٠ ماداموا قد شهرُوا فى
عصره ، واطلع هو على مادة ترجماتهم .

أما الترجمات وعددها فى الكتاب (٥٥٦) ترجمة (١٢١) ، فقد
ترجم فيها لمشهورى الرجال والنساء فى عصره من سائر طبقات
المجتمع ، بأسلوب سهل ، وعبارة سليمة ، خالية عن التعقيدات
اللغوية ، والزخارف اللفظية ، أو الأخطاء النحوية ، اللهم الا ما كان
سبق قلم أو عفو خاطر ، مرتباً لهم على حروف المعجم ، ابتداء

(١١٩) نفسه .

(١٢٠) نفسه ق ٣ ب .

(١٢١) د . محمود الجليلي . درر العقود الفريدة مج ١٣ ص ٢٠٢ .

بترجمة « إبراهيم بن محمد بن بهادر » ، المعروف بابن زقاعة (١٢٢) ،
وانتهاء بترجمة « يوسف بن حسين الواحى » (١٢٦) ، معتبرا فى
ترتيبهم اسم العلم المترجم له فحسب ، غير ملتفت الى أسماء الآباء
أو الأجداد ، بحيث ترجم لمن اسمه « إبراهيم » ، « فأبو بكر » ،
« فأحمد » ، « فاسحاق » ، « فاسكندر » ، « فأسماء » « فاسماعيل »
... وهكذا ، مغفلا ترتيب الترجمات فى « الاسم المفرد » باعتبار
ما يليه فى سلسلة النسب من أسماء ، فأتت ترجمة « أحمد بن بلبان »
متوسطة لترجمتى « أحمد بن عبد الله » و « أحمد بن ياسين » ، كما
أتت ترجمة « أحمد بن حسن » متوسطة لترجمتى « أحمد بن نصر
الله » و « أحمد بن إبراهيم » . وهذا لا يتأتى معه الكشف بسهولة
عن المترجم له ، إذ لابد - مع معرفة الحرف المترجم فيه - من الشروع
فى مطالعة سائر ترجمات الاسم المشترك معه للعثور على الترجمة
المقصودة ، أو التأكد من خلو الكتاب منها .

٢٠ - الدرر المضية فى تاريخ الدولة الإسلامية (١٢٤) .

٢١ - ذكر ما ورد فى بنية الكعبة المعظمة (١٢٥) .

لعله مختصر « الاشارة والاعلام ببناء الكعبة البيت
الحرام » (١٢٦) .

-
- (١٢٢) المقرئى . درر العقود الفريدة ق ٣ .
(١٢٢) د . محمود الجليلى . درر العقود الفريدة هـ ١٣ ص ٢١٦ ،
حيث أورد ترجمته مصورة عن مخط . الكتاب .
(١٢٤) السخاوى . الضوء الملامع ج ٢ ص ٢٣ .
(١٢٥) د . جمال الدين الشيال . مقدمة تحقيق « اتعاظ الحنفاء » ج ١
ص ١٨ ، ولا أدرى مصدره فى ذلك .
(١٢٦) السخاوى . الضوء الملامع ج ٢ ص ٢٢ .

٢٢ - الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك (١٢٧) .

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول التاريخ لمن حج من الخلفاء والملوك فى خلافته أو ملكه ، فرغ « المقرئى » من تصنيفها فى ذى القعدة سنة (٨٤١ هـ - ١٤٣٨ م) ، مرتباً لها على مقدمة وخاتمة ، حصرتا فيما بينهما ثلاثة فصول .

أما المقدمة ، فقد أشار فيها الى تسميته للكتاب ، مهدياً ايادى الى شخصية كبيرة فى عصره ، عزمت على الحج ، لم يفصح عن اسمها .

وأما الخاتمة ، فقد أتت مقتضبة للغاية ، تبين عن الفراغ من كتابته وانتهاء مادته ، على النحو التالى :

« ... والله - سبحانه - أعلم بالصواب ، واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين » (١٢٨) .

وأما الفصول ، فقد أجمل فى أولها الاشارة الى « حجة الوداع » ، لكونه - صلى الله عليه وسلم - « هو الذى بين للناس معالم دينهم » (١٢٩) ، مشيراً من خلال ذلك الى بعض شعائر الحج والعمره ، كالأقران والتمتع والهدى .

وجعل ثانيها لمن حج من الخلفاء فى خلافته ، مترجماً من

(١٢٧) نشره فى القاهرة (الخانجى ، ١٩٥٥) ، د . جمال الدين الشيال .

(١٢٨) المقرئى . الذهب المسبوك ص ١٢١ .

(١٢٩) نفسه ص ٥ .

خلاله بترجمات قصيرة لثلاثة عشر خليفة ، مؤرخا لحجهم ، وقد وزعوا لديه على النحو التالي :

م	دولة الخلافة	عدد الخلفاء
١	الخلافة الراشدة	٣
٢	الخلافة الأموية	٦
٣	الخلافة العباسية في العراق	٣
٤	الخلافة العباسية في مصر	١

وجعل ثالثها للترجمة لثلاثة عشر ملكا أو سلطانا - ممن حج في ملكه أو سلطنته - منذ انقسمت الخلافة الاسلامية الى دويلات يحكمها ملوك ، وحتى عهد الأشرف شعبان ، أحد سلاطين المماليك - مع التأريخ لحجهم ، وقد وزعوا لديه على النحو التالي :

م	الدولة	عدد الملوك
١	اليمن (الصليحية)	١
٢	(الأيوبية)	٢
٣	(بنو رسول)	٣
٢	الأيوبية في الشام	٢
٣	الأتابكية في الموصل وحلب	١
٤	المملوكية الأولى	٣
٥	التكرور	١

وترجع أهمية هذا المؤلف - على اقتضاب مادته - الى أنه
 احتوى على العديد من المعلومات المركزة المتصلة بالحج ، من تعريف
 بشعائره (١٣٠) ، وما اتصل به من الاعلان (النداء) بالحج (١٣١) ،
 والعادة فيه ، وإدارة المحمل (١٣٢) ، وكسوة الكعبة (١٣٣) ، وعمارة
 المسجد الحرام (١٣٤) ، وتمهيد طريق الحج ، واصلاح مناسكه (١٣٥)،
 والدعاء للسلطين فى الخطبة (١٣٦) - فى الحرمين - ومواكب
 السلطين والخلفاء عند خروجهم للحج (١٣٧) ، وما يتجهزون به من
 أطعمة ومقاع (١٣٨) ، أو يعد لنزولهم فى الطريق من البيوت (١٣٩) ،
 والقصور (١٤٠) ، وما يتبعها من اقامة الركايا والبرك والمصانع
 لخزن المياه (١٤١) ، وتنظيم البريد (١٤٢) .

(١٣٠) المصدر السابق ص ٨ - ١٠ .

(١٣١) نفسه ص ١١ .

(١٣٢) نفسه .

(١٣٣) نفسه ص ٤٣ - ٤٤ ، ٨٠ ، ٩١ ، ١١٤ .

(١٣٤) نفسه ص ١٤ - ١٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٥ .

(١٣٥) نفسه ص ٣٨ - ٣٩ ، ٤٥ ، ١٠١ ، ١٠٢ .

(١٣٦) نفسه ص ٦١،٦٩،٨٨ .

(١٣٧) نفسه ص ٩٩ - ١٠١ .

(١٣٨) نفسه ص ٩٠ ، ١٠٠ - ١٠١ .

(١٣٩) نفسه ص ٣٨ - ٣٩ .

(١٤٠) نفسه ص ٤٥ .

(١٤١) المصدر السابق ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٥ .

(١٤٢) نفسه ص ٤٥ .

٢٣ - السلوك لمعرفة دول الملوك (١٤٣)

مؤلف مطول فى تاريخ مصر الاسلامية ، أراد به « المقرئى » أن يكون خاتمة لحلقة كبيرة ، عنى فيها بالتأريخ لمصر منذ الفتح الاسلامى لها والى قبيل وفاته ، اشتمل على التأريخ لمصر فى ظل حكم سلاطين الأيوبيين والمماليك ، فيما بين سنتى : (٥٦٧ هـ - ١١٧١ م ، و ٨٤٤ هـ - ١٤٤١ م) ، وقد نظمت مادته على الحوليات المتخللة لدول سلاطين هاتين الدولتين ، والحاوية للحوادث والتراجم وأن توسط فى ايراد الحوادث ، واقتضب فى ايراد التراجم ، اكتفاء بما ورد منها فى مؤلف آخر له ، هو « التاريخ الكبير المقفى » ، على النحو المدرك من قوله :

« ٠٠٠ أما بعد ، فانه لما يسر الله وله الحمد باكمال كتاب عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط ، وكتاب اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء ، وهما يشتملان على ذكر من ملك مصر من الأمراء والخلفاء ، وما كان فى أيامهم من الحوادث والأنباء ، منذ فتحت والى أن زالت الدولة الفاطمية ، أحببت أن أصل ذلك بذكر من ملك مصر بعدهم من الملوك الأكراد الأيوبية ، والسلاطين المماليك التركية والجركسية ، فى كتاب يحصر أخبارهم الشائعة ، ويستقصى أعلامهم الذائعة ، ويحوى أكثر فى أيامهم من الحوادث والمجريات غير معتن فيه بالتراجم والوقيات ، لأنى أفردت لها تأليفا بديع المثال ، بعيد المثال ، فألفت هذا الديوان ، وسلكت فيه التوسط بين الاكثار الممل والاختصار المخل ، وسميته : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك (١٤٤) » .

(١٤٣) طبع فى القاهرة ، (لجنة التأليف والترجمة ، ودار الكتب المصرية) فيما بين سنتى ١٩٣٤ و ١٩٧٣ ، بتحقيق الدكتورين محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور ، فى أربعة أقسام ، يتألف كل منها من ثلاثة اجزاء .

(١٤٤) المقرئى . السلوك ج ١ ص ٢٨ .

مع التمهيد لموضوعه بعرض سريع وموجز لما كان عليه الكافة قبل الاسلام ، والتأريخ للدولة الاسلامية ، منذ البعثة المحمدية وحتى سقوط دولة الخلافة العباسية في بغداد ، والتعريف بالدولتين البويهية والسلجوقية (١٤٥) .

٢٤ - شارع النجاة (١٤٦) .

أشار « السخاوى » الى أنه « يشتمل على جميع ما اختلف فيه البشر من أصول ديانتهم وفروعها ، مع أدلتها وتوجيه الحق منها » (١٤٧) .

٢٥ - شذور العقود في ذكر النقود (١٤٨)

رسالة لطيفة الحجم ، انقسمت الى مقدمة وخاتمة ، حصرتا فيما بينهما ثلاثة فصول ، أما المقدمة ، فقد أشار فيها الى موضوع الكتاب : « نبذة لطيفة في أمور النقود الاسلامية » (١٤٩) ، وأنه أنشئ تلبية « للأمر العالى » ، الذى يرجح أن يكون شخصية كبيرة فى بلاط « المؤيد شيخ الحمودى » (١٥٠) ، وأما الخاتمة ، فقد أتت

-
- (١٤٥) المصدر السابق ج ١ ص ٢٨ - ٦١ .
 - (١٤٦) المقرئى . المذهب المسبوك ص ٥ ، ٧ .
 - (١٤٧) السخاوى . الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٣ .
 - (١٤٨) طبع باسم : « النقود العربية القديمة (ضمن مادة كتاب : انستاس مارى الكرملى . النقود العربية وعلم النميات . بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٢١ - ٧٣) ، استنادا الى ما جاء فى عنوان مخط . جامعة القاهرة ، ذات الرقم : ٢٦٢٤٧ ، بينما جاء العنوان الصحيح فى مخط . ليدن (راجع : مصورة معهد احياء المخطوطات العربية ، بالقاهرة ، ذات الرقم : ١١١٠ - تاريخ) .
 - (١٤٩) المقرئى . النقود القديمة الاسلامية ص ٢١ .
 - (١٥٠) يشير الى ذلك امتداحه للمؤيد شيخ والدراهم المؤيدية وحطه على الناصر فرج .

متضمنة مايشير الى الانتهاء من مادة الكتاب ، على النحو التالى :

« ٠٠٠ والله - تعالى - يختم بخير أعمالنا ، والحمد لله وحده
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » (١٥١) .

بينما جعل الفصل الأول للحديث عن « النقود القديمة » التى
كانت للناس على وجه الدهر ، وجعل الفصل الثانى للتعريف
« بالنقود الاسمية » - نشأتها وتطورها - وجعل الفصل الثالث
للحديث عن « النقود المصرية » ، وهو فى هذه الفصول الثلاثة يشير
الى أنواع النقود ، وأوزانها ، أو أعيرتها ، وزیوفها ، وماحدث فيها
من التغيير والتبديل على اختلاف عصورها .

٢٦ - ضوء السارى فى معرفة خير تميم الدارى (١٥٢) .

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول صحابى جليل ، هو
« تميم بن أوس الدارى » - رضى الله عنه - وكان نصرانيا ، جاء
الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأسلم ، وروى الرسول عنه
حديث « الجساسة والمسيخ الدجال » (١٥٣) ، فانفرد هو من دون
الصحابة - رضوان الله عليهم - بذلك وكانت روايته - عليه السلام -
عنه « من باب رواية الفاضل عن الفضول ، والمتبوع عن تابعه » (١٥٤) ،
وقد استعرض « المقرئى » من خلال مادتها الحديث عن أنساب الناس
وأنساب العرب ، وقدم وفد الإداريين على الرسول - صلى الله
عليه وسلم - واسلام « تميم » ، وتحديثه - عليه السلام - عنه ،

نفسه ص ٦٢ - ٦٥ .

(١٥١) المصدر السابق ص ٧٣ .

(١٥٢) طبع فى القاهرة (الاعتصام ، ط١ ، ١٩٧٢) ، بتحقيق محمد

أحمد عاشور .

(١٥٣) المقرئى . ضوء السارى ص ٣٨ - ٥٢ .

(١٥٤) نفسه ص ٤٥ .

واقطاعه اياه قرىتى « جبرون وعينون » - ولم يكن فتحهما حدث
بعد - وما كان من احوال « تميم » فى الجاهلية والاسلام ، معددا
لماثره ، مؤرخا لوفاته بسنة أربعين للهجرة ، مناقشا من خلال تلك
الرسالة « قضية الهبة » مناقشة فقهية قضائية ، مختتما لها بالتعريف
بما آل اليه مصير « جبرون وعينون » حتى وقته .

٢٧ - الطريقة الغربية من أخبار وادى حضرموت العجبية (١٥٥)

رسالة لطيفة الحجم ، استفاد « المقرئى » مادتها فى مكة ،
أثناء مجاورته فيها سنة (٨٣٩ - ١٤٣٦ م) من بعض القادمين
عليه من أهل حضرموت ، ابتدأها بمقدمة موجزة ، أشار فيها الى
ذلك ، قائلا :

« ... وبعد ، فهذه جملة من أخبار وادى حضرموت ، علقتها
بمكة - شرفها الله تعالى - أيام مجاورتى بها ، فى عام تسعة وثلاثين
وثمانمائة ، حدثنى بها ثقات من قدم مكة من أهل حضرموت » (١٥٦) .

أتبعت بوصف جغرافى موجز لبلاد حضرموت ، وما تردد فى
بعض المصادر من الاختلاف فى نسب « حضرموت » ، وما شهرت
به هذه البلاد من مزروعات أو حيوان (كالمأشية والابل) « مذيلا
عليها بطائفة كبيرة من الروايات الشفهية ، المتضمنة الكثير من

(١٥٥) اعتمدت هذه الدراسة على مخط . شستريتى ، ذات الرقم :
٤١١٨ ، فى مصورتها الأخوذة عنها ، والمحتفظ بها لدى معهد المخطوطات
العربية فى الكويت ، برقم : ٢/٧٧٦ ، وتقع فى ست ورقات مزدوجة الصفحات
مقاسها ٢٦ × ٢١ سم ، ومسطرتها نحو ١٩ سطرا ، مع مراجعة مخط .
ولى الدين ، فى مصورتها المحتفظ بها لدى جامعة القاهرة ، برقم . ٢٦٢٤٧ .
٢/ .

(١٥٦) المقرئى ، الطرف الغربية (مخط . شستريتى) ق ١١ .

الخرافات أو مستغربات الحدوث ، مما وثق مؤرخنا به ، كنحو قوله :

« ٠٠٠ وذلك أن الواحد منهم عنده خرزة من كنوز ظفروا بها من عهد عاد ، فإذا أراد أحد منهم أن ينقلب ذئبا ثئاب مرارا ، وأحمر لونه ، فيخرج الخرزة من حقوه ويبتلعها ، فينقلب في الحال ذئبا له ذنب ووير ، ويمشى على أربع ، ويسوح فيفترس من وجدته من بنى آدم ، وما يظفر به من الغنم ، ولا يزال كذلك حتى إذا أراد أن يخرج من مسيلخ الذهب إلى هيئة الانسانية وصورته ، وتمرغ بالأرض ، وإذا به بشرا سويا كما كان ، فتقع تلك الخرزة ، وكلما أراد أن ينقلب ذئبا بلعها كما تقدم ، فإنه يصير ذئبا ، وهذا أمر مشهور عند جميع أهل حضرموت ، لا ينكره أحد منها ، لمعرفتهم به المعرفة التامة » (١٥٧) .

وقوله :

« ٠٠٠ وهذا الصنف من النساء لهن مع ذلك قوة التشكل والانقلاب في هيئة رخمة أي حدأة ، ثم تمر الواحدة مهن وقد صارت كذلك في الهواء ، ويصير صياحها كصياح الرخمة أو الحدأة ، فإذا سمع أهل حضرموت صياحهن علموا أن السواحر قد اجتمعن على أحد يردن به شيئا من أعمالهن ، فإذا كان لواحدة من هؤلاء النساء رجل من أقاربها أو زوج لها في سفر ، ولو أنه بأقصى الهند ، فإنها تتشكل حدأة أو رخمة ، وتمر في الهواء حتى تأقيه وتعرف خبره ، وتعود من ليلاتها فتخبر بذلك ، فيكون كما أخبرت » (١٥٨) .

وقوله :

« ٠٠٠ وفي جبال ظفار قوم يقال لهم : القمر ، أهل بادية ،

(١٥٧) المصدر السابق ق ٣ أ .

(١٥٨) نفسه ق ٣ ب .

وقد جرت العادة في ظفار أنها تمطر ثلاثة أشهر متوالية ليلا ونهارا مطرا غزيرا جدا ، فإذا أراد أحد أن يسافر في مدة المطر الى جهة من الجهات ، طلب واحدا من القمر ، ودفع له مالا ليدفع عنه المطر ، ثم سار معه والمطر نازل ، فيصير عن يمينه وشماله ولا يصيبه هو ولا أحماله منه قطرة واحدة ، حتى يبلغ حيث يريد « (١٥٩) » .

وما شابه ذلك من مستغربات الحدوث .

٢٨ - عقد جواهر الأسفاط في أخبار مدينة الفسطاط

أشار « المقرئى » اليه في صدر كتابه « اتعاظ الحنفاء » بقوله :

« ... ضمنته ما وقفت عليه ، وأرشدنى الله - سبحانه - اليه ، من أحوال مدينة الفسطاط ، منذ افتتح أرض مصر أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصارت دار اسلام ، الى أن قدمت جيوش الامام المعز لدين الله أبى تميم معد من بلاد المغرب ، مع عبده وقائده وكاتبه ، أبى الحسين ، جوهر القائد الصقلى ، فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، ونزلت فى شمالى الفسطاط بالمناخ ، وأسس مدينة القاهرة ، وحل بها » (١٦٠) .

وهكذا ، فقد اشتمل هذا المؤلف على فترة من تاريخ مصر الاسلامية امتدت فيما بين الفتحين الاسلامى والفاطمى لها .

٢٩ - قرض سيرة المؤيد لابن ناهض (١٦١) .

(١٥٩) نفسه ق ٥ .

(١٦٠) المقرئى . اتعاظ الحنفاء ج ١ ص ٤ ، وراجع السلوك ج ١

ص ٢٨ .

(١٦١) السخاوى . الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٣ .

٣٠ - ما شاهده وسمعه مما لم ينقل فى كتاب

يبدو أنه احتوى على كثير من النواذر التاريخية وغير التاريخية مما عايشه « المقرئى » أو أخبر به ، على النحو المدرك من قول السخاوى :

« ٠٠٠ ومن أعجب ما فيه أنه كان فى رمضان سنة احدى وتسعين (وسبعمائة) مارا بين القصرين ، فسمع العوام يتحدثون أن الظاهر برقوق خرج من سجنه بالكرك ، واجتمع عليه الناس . قال : فضبطت ذلك اليوم فكان كذلك » (١٦٢) .

٣١ - مجمع الفرائد ومنبع الفوائد

ذكر « السخاوى » مشيرا الى أنه « يشتمل على علمى العقل والنقل ، المحتوى على فنى الجد والهزل ، بلغت مجلداته نحو المائة » (١٦٣) ، بينما أشار « ابن تغرى بردى » الى أنه « كمل منه نحو الثمانين مجلدا كالتذكرة » (١٦٤) .

٣٢ - مختصر الكامل فى الضعفاء لأبن عدى (١٦٥) .

٣٣ - معرفة مايجب لآل البيت النبوى من الحق على من عداهم (١٦٦) .

(١٦٢) نفسه ج ٢ ص ٢٤ - ٢٥ .

(١٦٣) نفسه ج ٢ ص ٢٣ .

(١٦٤) ابن تغرى بردى . المنهل الصافى ج ١ ص ٣٩٨ .

(١٦٥) توجد منه نسخة خطية فى مكتبة « مراد ملا - تركيا » ، تقع فى نحو (٣١٥ ورقة) ، مقاسها : ١٧.٥ × ٢٥ سم ، ومسطرتها نحو ٢٥ سطرا ، وعنها مصورة معهد احياء المخطوطات العربية فى القاهرة ، ذات الرقم : « ٤٥٦ - تاريخ » .

(١٦٦) طبع فى القاهرة (الاعتصام ، ط ٢ ، ١٩٧٣) بتحقيق محمد

أحمد عاشور .

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول ما يجب لآل البيت النبوى على المسلمين من حبهم واجلالهم ونصرتهم ومودتهم ، فرغ « المقرئى » من تأليفها فى ذى القعدة سنة (٨٤١ هـ - ١٤٣٨ م) (١٦٧) مرتبا لها على مقدمة ، أشار فيها الى دافعه الى تأليفها ، قائلا :

« ٠٠٠ وبعد ، فانى لما رأيت أكثر الناس فى حق آل البيت مقصرين ، وعمالهم من الحق معرضين ، ولقدارهم مضيعين ، وبمكانتهم من الله - تعالى - جاهلين ، أحببت أن أقيد فى ذلك نبذة تدل على عظم مقدارهم ، وترشد المتقى الله - تعالى - على جليل أقدارهم ، ليقف عند حده ، ويصدق بما وعدهم الله ومن به عليهم من صادق وعده » (١٦٨) .

تتبعها فصول خمسة ، شارحة من خلال أقوال أئمة اللغة والتفسير لخمس آيات قرآنية ، مع ما اتصل بها من الأحاديث النبوية ، عالج موضوعه من خلالها ، وهى قوله تعالى :

« انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » (٣٣ ! الأحزاب) .

« والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم » (٢١ : الطور) .

« وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا » (٨٢ : الكهف) .

« جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم » (٢٣ : الرعد) .

(١٦٧) المقرئى . معرفة ما يجب لآل البيت ص ٨٦ .

(١٦٨) نفسه ص ١٧ .

« قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » (٢٣ : الشورى) .

مختتما لهذه الرسالة بعدد من الرؤى والحكايات الشفهية – التى أمدده بها شيوخه ورفقته – وتدور كلها حول الحدث على حب آل البيت النبوى وتعظيمهم (١٦٩) .

٣٤ – المقاصد السنية لمعرفة الأجسام المعدنية (١٧٠) .

مؤلف علمى بحث ، يبحث فى المعادن ، أشار « المقرئى » من خلاله الى كروية الأرض ، وحركتها ، واحاطة الماء باليابسة من سائر جهاتها ، والأجسام المتولدة عليها ، وتكويناتها ، مستطرقا للحديث عن المعادن ، كاشفا عن المعروف له من أقسامها ، وتكويناتها ، وصفاتها ، وأمكنة وجودها ، والقيمة العلمية والمادية والطبية لها .

٣٥ – مقالة لطيفة وتحفة سنية منيفة فى حرص النفوس على الذكر (١٧١) .

رسالة لطيفة الحجم ، أنشأها « المقرئى » هادفا من خلالها الى الترغيب فى عمل الخير ، مقدما لموضوعها بقوله :

« ... وبعد ، فهذه مقالة لطيفة ، وتحفة سنية شريفة ، فى حرص النفوس الفاضلة على بقاء الذكر ، أسأل الله – تعالى – أن

(١٦٩) المصدر السابق ص ٨٠ – ٨٦ .

(١٧٠) اعتمدت هذه الدراسة على مخط . مكتبة جامعة القاهرة ، رقم :

١٠/٢٦٢٤٧ .

(١٧١) اعتمدت هذه الدراسة على مخط . مكتبة جامعة القاهرة ، رقم .

١١/٢٦٢٤٧ .

يجعل لنا ثناء حسنا فى الصالحين ، وأن يحبونا بالزلفى يوم الدين ،
يمنه وكرمه « (١٧٢) » .

متبعاً ذلك بموضوع الكتاب ، وقد أشار من خلال مادته الى
أن « البقاء من أعظم وأحسن صفات الله تعالى « فى حين » ليس
للعبد من نفسه الا العدم » ، و « الفاضل هو الذى يحرص على بقاء
ذكره دائماً » ، على النحو الوارد فى القرآن - الكريم - على لسان
ابراهيم عليه السلام : « واجعل لى لسان صدق فى الآخرين »
(٨٤ : الشعراء) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا بأس أن يحب
الرجل أن يثنى عليه صالحاً » ، اذ « ذكر الفتى عمره الثانى » ،
و « الزمان الذى يثنى فيه على الميت بعد موته أحسن عمره وأطولهما
وأشرفهما » ، حثاً مطالع هذه الرسالة على أن يكون « كما ورد » ،
يرحل ويترك أريجاً طيباً ، ولا يتأتى ذلك الا بتهديب الأخلاق ،
والرياضة ، والسلوك الى الله - تعالى - والتعلى بالآداب الفاضلة
الروحانية .

٣٦ - منتخب التذكرة (١٧٣) .

مؤلف فى التاريخ الاسلامى العام ، اقتصر فيه « المقرئى » ،

(١٧٢) المقرئى . مقالة لطيفة وتحفه سنبة منيفة ق ١٩١ ا .
(١٧٣) اعتمدت هذه الدراسة على المجلد الاول - المتبقى - من هذا
المؤلف ، فى مصورته المحتفظ بها لدى « دار الكتب المصرية » فى القاهرة ،
برقم : ١٦٥٨ - تاريخ ، عن مخط . المكتبة الأهلية - باريس ، ذات الرقم :
١٥١٤ - عرب ، وتقع فى نحو ١٦٦ ورقة ، لطيفة الحجم ، مزدوجة الصفات
باستثناء أولها وآخرها ، مسطرتها نحو أربعة عشر سطرا ، وقد جاء على
صفحة الغلاف قوله :

« كتاب منتخب التذكرة فى التاريخ ، تأليف الامام العلامة ، تقى الدين ،
أبو بكر (كذا) المقرئى ، تغمده الله برحمته ورضوانه أمين » .
كما جاء فى الهامش الأيسر من الصفحة عينها قوله :

على « ذكر العرب والفرس » دون غيرهم « من الأمم المطيعة بهم في أطراف الأرض » ، اختصره عن مؤلف أبسط منه أسماه : « التذكرة » فكان ما أودعه في هذا المؤلف « اللب منه » .

أما التذكرة ، فلم يبق منه - فيما أعلم - سوى ما لخصه « ابن قطلوبغا الحنفى » عنه في مؤلفه « تاج التراجم » - على نحو ما سوف يشار إليه في هذا البحث - وأما « منتخب التذكرة » ، فلم يتبق منه سوى مجلد لطيف الحجم ، انخرم في آخره ، فأراد الناسخ إيهام اكتماله ، مزيلا آخر صفحاته بقوله : « ثم الكتاب ، بحمد الله وحسن توفيقه » (١٧٤) .

ويحتوى هذا المجلد من « المنتخب » على مقدمة ، أشار « المقرئى » فيها الى موضوع الكتاب ومنهجه في إيراد محتواه ، قائلا :

« ... ويعد ، فهذا كتاب عديم المثال ، قريب التناول ، فى جمل التاريخ ، انتخبته من كتابى المسمى بالتذكرة ، فأقول وبالله التوفيق » .

« ذكر الذهبى فى تاريخ الاسلام قال . فى سنة ٨٤٢ من الهجرة النبوية أحسن الله ختامها ، توفى فى عصر يوم الخميس سادس عشرى شهر رمضان من السنة المذكورة عن نحو الثمانين مؤرخ الوقت تقى الدين أبو العباس ، أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد المقرئى ، القاهرى ، مصنف هذا الكتاب ، رحمه الله تعالى » .

ولا يخفى وجه الخطأ فى نسبة هذا القول الى الذهبى ، فضلا عن تضمن تاريخ الاسلام له ، وفى التاريخ للوفاء .

(١٧٤) المقرئى . منتخب التذكرة ق ١٦٦ ١ .

أعلم أن أبلغ المواضع التفكير في القرون السالفة والأعصار ،
بانقراض جيل بعد جيل ، وفنساء قبيل اثر قبيل ، وقد نبهنا الله
- تعالى - على ذلك بقوله : « أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من
القرون يمشون في مساكنهم ، ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون » (٢٦ :
السجدة) ، فجعل الاعتبار بهم هداية لمن عقل ووعى .

وقال تعالى : « أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض
فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون » (٨٢ : غافر) ، الى غير ذلك
من الآيات .

وأنا أذكر في هذا الكتاب جملا من تاريخ الملوك والأعيان ،
ومدة ملك كل واحد منهم ، ووقت انقضائه ، وأنسابهم ، وتلخيص
أحوالهم ، عادلا عن الاطالة ، ومتمكبا شرح الحوادث ، فان ذلك
موجود في كتب التواريخ على شدة الاختلاف فيه ، وهذا انما هو
اللب من الكتاب ، فلا يليق به أبسط مما تضمنته ، ثم اقتصر على
ذكر العرب والفرس ، فان من عداهم من الأمم المطيفة بهم في أطراف
الأرض لا نجد فائدة في تكلف علم أحوالهم ، ولا وقعت الينا متسقة ،
وفيما وقفت عنده كفاية للمعتبر ، وفائدة ما تحويه من معرفة أهل
كل زمان ، والله الميسر لما يرضيه ، والموفق لاجتناب ما يخطئه ،
ويباعد عن طاعته (١٧٥) .

يتبع ذلك عرض سريع لمبدأ الخليقة ، يتلوه تعريف موجز بملوك
العرب بالفرس في الجاهلية (فيما قبل الاسلام) ، وكأنه جعل منهما
مدخلا لموضوع الكتاب ، ثم يبدأ التاريخ للدولة الاسلامية بسيرة
موجزة للمرسول - صلى الله عليه وسلم - تضمنت العناصر الثالوية :

نسبه ، أمه ، مولده ، بعثته ، هجرته ، وفاته ، سسنه حال
الوفاة ، ما تبع الوفاة من تجهيز ودفن ، أحواله - صلى الله عليه
وسلم - فى الجاهلية والاسلام ، صفته ، أزواجه ، أولاده ، مواليه .
كتابه ، ما كان له - عليه السلام - من الخيل والبغال والابل واللقاح
والسلاح ، حجه ، شزواته .

متبعاً سيرته - صلى الله عليه وسلم - بترجمات قصيرة للخلفاء
فى دولتى الخلافة الراشدة والخلافة الأموية ، مذيلاً على ترجماتهم
بحوليات متتابعة ، « منذ أول سننى الهجرة الى آخر أيام بنى أمية
(١ : ١٣٢ هـ) اقتضب فيها الحوادث اقتضاباً ، مذهباً من خلالها
على مشاهير المواليد والوفيات ، يستأنف بعدها الترجمة لخلفاء
بنى العباس (الدولة الهاشمية) ابتداء بأبى العباس السفاح ،
وانتهاء بالمقفى لأمر الله (ت ٥٥٥ هـ - ١١٦٠ م) ، مذيلاً على
ترجماتهم بحوليات موجزة ، اقتضب فيها - كذلك - الحوادث ،
ابتداء بسنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وانتهاء بسنة سبعين ومائتين
للهجرة ، حيث انخرم هذا المجلد المتبقى من الكتاب .

٣٧ - المنتقى من أخبار مصر لابن ميسر (١٧٦)

٣٨ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١٧٧)

(١٧٦) يضم الفترة فيما بين سنتى (٤٣٩هـ / ١٠٤٧م و ٥٥٣هـ /
١١٥٩م) ، انتقاه « المقرئى » فى ربيع الأول سنة (٨١٤هـ / ١٤١١م) .
طبع فى القاهرة (المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، ١٩٨١) بتحقيق أيمن
هواد سيد .

(١٧٧) راجع :

٣٩ - نبذ قاريخية (١٧٨)

٤٠ - نحل عبر النحل (١٧٩) .

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول « النحل » وما تخلف عنه من عسل وشمع ، مستلهما منه العبرة والعظة لبنى الانسان (١٨٠) وقد رتبت على مقدمة ، وخاتمة ، حصرتا فيما بينهما عشرة فصول .

أما المقدمة ، فقد أشار فيها الى موضوع الكتاب ، قائلا :

« ... وبعد ، فهذا قول وجيز فى ذكر النحل ، وما أودع فيه للبارئ - جلّت قدرته - من غرائب الحكمة ، وعجائب الصنع ، ليعتبر أولوا الأبصار ، ويتذكر أرباب الاعتبار ، والله الموفق » (١٨١) .

(١٧٨) توجد منه نسخة مخط - تقع فى (٥٢ ورقة) ، مقاسها نحو : ١٣ × ١٦ سم ، تحتفظ بها مكتبة بلدية الاسكندرية ، برقم : ٢١٢٥ د / ٢٥٩ ، وعنها مصورة معهد احياء المخطوطات العربية فى القاهرة ، برقم : ٨٤٥ - تاريخ ويبدو أن هذا ليس مؤلفا مستقلا ، ولكنه ملتقطات مما جمعه = « المقرئى ، من المصادر ، ليضمنه بعض مؤلفاته .

(١٧٩) طبع فى القاهرة (مكتبة الخانجي ، ١٩٤٦) بتحقيق د . جمال الدين الشيال .

(١٨٠) من ذلك قول المقرئى (نحل عبر النحل ص ٨) ، « ... وملوك النحل لا تلدغ ، لأن اليعسوب حلیم جدا ، وان فى هذا القدر لعبرة ، لأن هذا لو كان فى واحد من عقلاء الانس - الذين فضلوا على جميع الحيوان - لكان ذلك عجيبا ، .

وقوله (نفسه ص ٩ - ١٠) : « ... وكذلك ما ذكروا من طردها ذوات البطالة منها ، الكسالى ، المتكلة على كسب غيرها ، والمعولة على ذخائر سواها ، ولرأنا استحملنا مثل هذا التدبير فى كسالانا لكان أحزم لنا وأنفع لهم » .

(١٨١) المقرئى . نحل عبر النحل ص ١ .

وأما الخاتمة فقد أشار فيها الى انتهاء مادة الكتاب باكتماله
قائلا :

« ٠٠٠ تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، وصلى الله على
سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليما كثيرا دائما الى
يوم الدين ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على
المرسلين ، والحمد لله رب العالمين » (١٨٢) .

وأما الفصول - وقد اتصلت بعلوم : الحيوان ، واللغة ،
والتفسير ، والحديث ، والفقه ، والطب ، والبيطرة ، والنبات ،
والاقتصاد ، والتاريخ ، والأدب - فيجمل « المقرئى » فيها الحديث
عن « النحل » من الناحية الحيوانية ، ذاكرا أسماءه ، وألوانه ،
وأحجامه ، وصفاته ، وخلاياه ، وآفاته ، وعلاجها ، وعسله - أنواعه
وأصنافه - وجامعه (مشواره) ، وآلاته التى يستعين بها فى جمعه ،
ومايرعاه النحل من أزهار وأنوار ، وما ينتجه من شمع ، مفصحا
عن مركزه الاقتصادى فى مصر الاسلامية ، وما ورد فى النحل
والعسل من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وأقوال الحكماء
والفقهاء والمفسرين ، وما اتصل بالشمع من الحوادث التاريخية ،
سواء بالاستصباح (الاضاءة) به لدى الخلفاء والسلاطين
والفقهاء (١٨٣) ، أو باستخدامه فى القصور (١٨٤) والمواكب
السلطانية (١٨٥) وحفلات العرس والزواج (١٨٦) ، أو بالختم به على

-
- (١٨٢) نفسه ص ١٠٤ .
(١٨٣) المصدر السابق ص ٧٩ ، ٨٣ .
(١٨٤) نفسه ص ٨٠ - ٨٢ .
(١٨٥) نفسه ص ٨٧ .
(١٨٦) نفسه ص ٨٠ ، ٨٧ - ٩٠ .

تركات الموتى من أولاد الخلفاء (١٨٧) . مختتما ذلك بما أنشئ في
« الشمع » من أشعار (١٨٨) .

٤١ - النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم (١٨٩) .

رسالة لطيفة الحجم ، يدور موضوعها حول استئثار بنى أمية
وبنى هاشم بالخلافة من دون « على بن أبى طالب » وبنيه ، أشار
« المقرئى » من خلالها الى ما كان من منافرة ومنافسة بين بنى
أمية وبنى هاشم فيما قبل الاسلام وبعده ، ومعاداة بنى أمية للرسول
- صلى الله عليه وسلم - وعدم اخلاص زعاماتهم للاسلام ، مع
تولية الرسول - صلى الله عليه وسلم - وخليفته من بعده لهم بعض
الأعمال ، وما آل اليه الأمر بعد سقوط دولتهم من استئثار بنى العباس
بالخلافة - كذلك - وتنكيلهم ببنى عمومتهم (العلويين) وعدوهم فى
الأرض ، وخروجهم على تعاليم الاسلام ومبادئه ، معددا لمثالب
الأمويين والعباسيين ، مختتما هذه الرسالة بالمقارنة بين المسلمين
واليهود ، من حيث الانقسام الى شعوب وقبائل ، والاستخلاف بعد
 وفاة الرسول لدى كل ، وقد تقرر لديه أنه « اتفق فى الخلافة الاسلامية
كما اتفق فى الملة الموسوية حذو القذة بالقذة » (١٩٠) ، مستلهما ذلك
- فضلا عن الدراسة الظاهرية لبعض الحوادث التاريخية - من
قوله عليه السلام - فيما رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه :

« لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى

(١٨٧) نفسه ص ٩١ .

(١٨٨) نفسه ص ٩١ - ١٠٤ .

(١٨٩) طبع عدة طبعات ، آخرها (ط . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٨)

بتحقيق د . حسين مؤنس .

(١٩٠) المقرئى . النزاع والتخاصم ص ١١١ .

لو دخلوا حجر خضب لاتبعتموهم • فقلنا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ! » (١٩١) •

كما أشار « المقرئى » من خلال ترجمته لابن عرب شاه (١٩٢) الى أنه اختصر كتابه « عجائب المقدور فى نوائب تيمور » ، وأشار من خلال مادة مؤلفه « الاشارة والايماء الى حل لغز الماء » الى أن له حواشى على الانجيل (١٩٣) •

من هذا العرض الموجز لمجهودات « المقرئى » فى الكتابة التاريخية ، نجد أن مؤرخنا قد ألح من خلالها على التوكيد على ثلاث صفات امتاز بها « وهى : « مصريته » و « عربته » و « اسلامه » •

أما مصريته ، فتبدو فى تحمسه للتأريخ لمصر فى أطوارها المختلفة ، فيما قبل الاسلام وبعده ، حيث أنشأ فيها مؤلفا مجملا لتاريخها وخططها وعماراتها - منذ القدم وحتى وقته - وهو « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » ، ثم عمد الى تفصيل أكثر ما أجمله فيه ، بالتأريخ لمصر الاسلامية ، منذ الفتح الاسلامى لها والى قبيل وفاته ، فى عدة مؤلفات متتابعة ، وهى : « عقد جواهر الأسفاط » و « اتعاظ الحنفاء » و « السلوك » و « المقفى » •

وأما عربته ، فقد كانت دافعا قويا لديه الى انشاء عدة مؤلفات ، منها : « الخبر عن البشر » ، و « البيان والاعراب » ، و « تراجم ملوك الغرب » ، و « الطرفة الغربية » •

(١٩١) نفسه ص ١١٧ •

(١٩٢) المقرئى • درر العقود الفريدة ق ٨٧ ب •

(١٩٣) المقرئى • الاشارة والايماء ق ٦ ب •

وأما اسلامه ، فيتبدى - فضلا عن العاطفة الدينية الجياشة ،
المبثوثة فى سائر مؤلفاته - فى « امتاع الأسماع » ، وقد جعله تاريخا
مجملا للرسول - صلى الله عليه وسلم - وسيرته ، و « النزاع
والتخاصم » ، وهو - بالدرجة الأولى - مبحث فى الخلافة ،
و « التذكرة » ، و « منتخبها » ، و « الدرر المضية » ، و « الالمام » ،
وقد جعل من هذه المؤلفات تاريخا عاما للدولة الاسلامية فى مختلف
أطوارها وأمصارها .

بل ان أكثر رسائله ومؤلفاته الموجزة ، المفردة بالتأليف فى
موضوع بعينه ، تنزع الى أى من هذه الصفات الثلاث .

وفضلا عن ذلك ، فقد أوجد « المقرئى » مجالا للكتابة
التاريخية فى موضوعات ما كان يظن بها أنها يصلح للتأريخ ،
كالإمام ، والنحل ، والأوزان والمكايل ، والنقود ، والتوحيد ، والحج ،
والبناء (الزواج) ، والختان ، والختم بخير ، وثناء الذكر . . وما
الى ذلك ، مما أنشأ مؤرخنا فيه العديد من المؤلفات التاريخية ،
مبرزاً من خلالها الكثير من المناحي الاجتماعية والاقتصادية
والثقافية ، بما يشير الى أنه كان مؤرخاً مبتكراً ، واسع الأفق ،
غير تقليدى ، متعدد الاطلاعات ، متنوع المعارف .

ولعله يكون مفيدا فى سبيل الكشف عن « المنهج التاريخى »
للمقرئى ، الاقتصار - هنا - على الدراسة المفصلة لثلاثة من
مؤلفاته ، وهى : « الالمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك
الاسلام » ، و « درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة » ،
و « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » .

المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار

مؤلف في تاريخ « مصر » وخططها ، انقسم الى مقدمة وسبعة أجزاء أو فصول :

أما المقدمة ، فقد أشار مؤرخنا فيها الى دافعه الى تأليفه ، ومحتواه ، ومنهجه في تنظيم مادته ، بقوله :

« ... وكانت مصر هي مسقط رأسي ، وملعب أترابي ، ومجمع ناسي ، ومغنى عشيرتي ، وحامتي ، وموطن خاصتي وعامتي ، وجوؤي الذي ربي جناحي في وكره ، وعش مأربي ، فلا تهوى الأنفس غير ذكره ، لازلت منذ شذوت العلم وآتاني ربي الفطانة والفهم أرغب في معرفة أخبارها ، وأحب الاشراف على الاغتراف من آبارها ، وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها ، فقيدت بخطي في الأعوام الكثيرة ، وجمعت من ذلك فوائد قل ما يجمعها

(١٩٤) اعتمدت هذه الدراسة على نشرة « محمد عبد الرحمن قطرة العدوي » للكتاب ، والصادرة عن القاهرة ، مطبعة بولاق ، سنة (١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م) ، وتقع في مجلدين ، احتوينا على ١٠١٩ صفحة ، خلا الصفحات المعدة للفهارس والتصويبات .

كتاب أو يحويها ، لعزتها وغرابتها أهاب ، الا أنها ليست بمرتبة على مثال ، ولا مهندبة بطريقة مانسج على منوال ، فأردت أن ألخص منها أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية عن الأمم الماضية والقرون الخالية ، وما بقى بفسطاط مصر من المعاهد ، غير ما كاد يفنيه البلى والقدم ، ولم يبق الا أن يمحو رسمها الفناء والعدم ، وأذكر ما بمدينة القاهرة من آثار القصور الزاهرة ، وما اشتملت عليه من الخطط والأصقاع ، وحوته من المباني البديعة الأوضاع ، مع التعريف بحال من أسس ذلك من أعيان الأمثال ، والتنويه بذكر الذى شاهدها من سراة الأعظم والأفاضل ، وأنتثر خلال ذلك نكتا لطيفة ، وحكما بديعة شريفة ، من غير اطالة ولا اكثار ، ولا اجحاف مغل بالغرض ولا اختصار ، بل وسط بين الطرفين ، وطريق بين بين « (١٩٥) » .

مع التعليل لتسميته للكتاب ، ولنهجه فى تنظيم مادته ، بقوله :

« ٠٠٠ وأما عنوان هذا الكتاب — أعنى الذى وسمته به — فأنى لما فحصت عن أخبار مصر وجدتها مختلطة متفرقة ، فلم يتهيا لى اذ جمعتها أن أجعل وضعها مرتبا على السنين ، لعدم ضبط وقت كل حادثة ، لاسيما فى الأعصر الخالية ، ولا أن أضعها على أسماء الناس لعل آخر تظهر عند تصفح هذا التأليف ، فلهذا فرقتها فى ذكر الخطط والآثار ، فاحتوى كل على ما يلائمه ويشاكله ، وصار بهذا الاعتبار قد جمع ما تفرق وتبدد من أخبار مصر ، ولم أتحاس من تكرار الخبر اذا احتجت اليه بطريقة يستحسنها الأريب ولا يستهجنها الفطن الأديب ، كى يستغنى مطالع كل فصل بما فيه عما فى غيره من الفصول ، فلذلك سميته : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » .

والغرض من تأليفه ، بقوله :

« ٠٠٠ جمع ما تفرق من أخبار أرض مصر وأحوال سكانها ،
كى يلتئم من مجموعها معرفة جمل أخبار اقليم مصر ، وهى التى
اذا حصلت فى ذهن انسان اقتدر على أن يخبر فى كل وقت بما كان
فى أرض مصر من الآثار الباقية والبائدة ، ويقص أحوال من ابتدأها
ومن حلها ، وكيف كانت مصائر أمورهم ، وما يتصل بذلك على سبيل
الاتباع ٠٠ فتتهذب بتدبر ذلك نفسه ، وترتاض أخلاقه ، فيحب الخير
ويفعله ، ويكره الشر ويتجنبه ، ويعرف فناء الدنيا ، فيحظى
بالاعراض عنها والاقبال على ما يبقى » .

وبمعنى آخر ، فان الكتاب موظف لغرض « تعليمى - أخلاقى »

وبيان أجزاء الكتاب أو فصوله :

« ٠٠٠ وأما أجزاء هذا الكتاب ، فانها سبعة :

أولها يشتمل على جمل من أخبار أرض مصر ، وأحوال
نيلها ، وخراجها ، وجبالها .

وثانيها يشتمل على كثير من مدنها وأجناس أهلها .

وثالثها يشتمل على أخبار فسطاط مصر ومن ملكها .

ورابعها يشتمل على أخبار القاهرة ، وخلائقها ، وما كان لهم
من الآثار .

وخامسها يشتمل على ذكر ما أدركت عليه القاهرة وظواهرها
من الأحوال .

وسادسها يشتمل على ذكر قلعة الجبل وملوكها .

وسابعتها يشتمل على ذكر الأسباب التي نشأ عنها خراب
اقليم مصر (١٩٦) .

وقد تضمن كل جزء من هذه الأجزاء السبعة عدة أقسام .
وتنوع مصادره :

« . . . سبكت فيه ثلاثة أنحاء ، وهي : النقل من الكتب
المصنفة في العلوم ، والرواية عن أدركت من شيخة العلم وجلة
الناس ، والمشاهدة لما عاينته ورأيت » .

مجملا التعريف بالمصادر - السابقة عليه - المؤلفة في موضوع
كتابه ، مغفلا الإشارة الى أقربها اليه زمنا وموضوعا ، وهو « خطط
القاهرة » للأوحدى ، مما دفع « السخاوى » الى اتهامه بالانتحال
له ، قائلا في ترجمته للأوحدى :

« . . . وكتب مسودة كبيرة لخطط مصر والقاهرة ، تعب فيها ،
وأفاد وأجاد ، وبيض بعضها ، فبيضها التقى المقرئى ، ونسبها
لنفسه مع زيادات » (١٩٧) .

وفى ترجمته لمؤرخنا :

« . . . وصارت له فيه (فى التاريخ) جملة تصانيف ، كالخطط
للقاهرة ، وهو مفيد لكونه ظفر بمسودة الأوحدى ، فأخذها وزادها
زوائد غير طائلة » (١٩٨) .

ويبدو أن ما أشار اليه « السخاوى » من انتحال « المقرئى »

(١٩٦) لا وجود لهذا الجزء فيما تحت أيدينا من مخط . الكتاب
ومطبوعاته .

(١٩٧) السخاوى . الضوء اللامع ج ١ ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

(١٩٨) السخاوى . التبر المسبوك ص ٢٣ .

لخطط « الأوحدي » كان شائعاً في عصر مؤرخنا ، على النحو المدرك
- كذلك - من قول « السخاوي » :

« ... وكذا جمع خططها المقریزی ، وهو مفيد • قال لنا شيخنا
(ابن حجر) انه ظفر به مسودة لجاره الشهاب أحمد بن عبد الله بن
الحسن الأوحدي ، بل كان بيض بعضه ، فأخذها وزاد عليه زيادات ،
ونسبها لنفسه » (١٩٩) •

مما كان سبباً في تدارك « المقریزی » لذلك في مؤلف آخر له ،
هو « درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة » ، حيث صرح
فيه بما أغفل التصريح به في مقدمة « الخطط » ، مشيراً من خلال
ترجمته للأوحدي الى مكانته في علم التأريخ ، وانتفاعه به ، والظفر
بمسودات خطه ، التي ضمنها كتابه ، على النحو الوارد في قوله :

« ... وكان ضابطاً ، متقناً ، مفيداً ، ذاكراً لكثير من القراءات
وتوجهها وعللها ، حافظاً للكثير من التاريخ ، لاسيما أخبار مصر ،
فانه لا يكاد يشذ عنه من أخبار ملوكها وخلفائها وأمرائها ، ووقائع
حروبها ، وخطط دورها ، وتراجم أعيانها الا اليسير ، مع معرفة
النحو والعروض وقرض الشعر الحسن •

وكان - رحمه الله - كثير التعصب للدولة التركية ، محباً
لطريق الله • علقت عنه جملة أخبار ، واستفدت منه كثيراً في التاريخ ،
وأعانتني الله بمسودات من خطه في خطط القاهرة ، ضمنها كتابي
الكبير المسمى بكتاب المواظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار » (٢٠٠) •

(١٩٩) السخاوي • الاعلان بالتوبيخ ص ٦٤٧ •

(٢٠٠) المقریزی • درر العقود الفريدة ق ٤٦ ب •

ولا يخفى أن التضمنين يعنى : الاحتواء أو الاشتمال على الشيء المتضمن (٢٠١) ، مما يبطل ما اجتهد أحد الباحثين المحدثين فى الصاقه بالسخاوى من التحامل ، والافتراء ، والحسد ، والتناقض ، والحيدة عن النزاهة والحق ، فى سبيل تأصيله للخطط ، والبعد بها عن النقل (٢٠٢) ويكشف بالتالى عن سطحيته فى البحث ، وتسرعه فى اثبات أحكامه .

وأما الأجزاء أو الفصول : فقد أشار المقرئ فى أولها الى انقسام « علم النجوم » الى هيئة ، وزيج أو تقويم ، وأحكام ، مقتصرًا - هنا - على نبذة من علم الهيئة « تكون توطئة لما يأتى » ، معرّفًا من خلالها بصورة الأرض ، وموضع الأقاليم السبعة منها ، وقد تقرر لديه أن « فى كل اقليم من هذه الأقاليم السبعة أمم مختلفة اللسان والألوان ، وغير ذلك من الطبائع والأخلاق والآراء والديانات والمذاهب والعقائد والأعمال والصنائع والعادات لا يشبه بعضهم بعضًا ، وكذلك الحيوانات والمعادن والنبات ، مختلفة فى الشكل والطعم واللون والريح ، بحسب اختلاف أهوية البلدان وتربة البقاع وعذوبة المياه وملوحتها » ، وأن « الربع المسكون من الأرض على تفاوت أقطاره مقسوم بين سبع أمم كبار ، وهم : الصين والهند والسودان والبربر والروم والترك والفرس » . متطرقًا الى جغرافية مصر ، معرّفًا بمحلها من الأرض ، وموضعها من الأقاليم السبعة

-
- (٢٠١) راجع : الفيروزابادى . القاموس المحيط ص ١٥٦٤ ، الفيومى .
المصباح المنير ص ١٣٨ .
(٢٠٢) محمد عبد الله عنان . خطط المقرئ بين الأصالة والنقل ص ٣٩ - ٤٨ (ضمن كتاب . دراسات عن المقرئ . القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب) ، مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية . القاهرة ، الخانجى ، ط ٢ ، ١٩٦٩ ، ص ٥٦ - ٦٣ ، مؤرخو مصر الاسلامية ومصادر التاريخ المصرى . القاهرة ، اللجنة ، ط ١ ، ١٩٦٩ ، ص ٩٧ - ١٠٤ .

(الثاني والثالث) ، وحدودها ، وجهاتها ، معرقا بالبحرين الأحمر (القلزم) والمتوسط (الرومي) ، متبعا ذلك بالتعليل لتسميتها بمصر ، ومعناها ، واشتقاقها ، وما عرف لها من الفضائل أو الميزات (كندى ذكرها في القرآن - الكريم - صراحة أو إيماء ، وفي الحديث النبوي الشريف ، وأقوال مشهورى العلماء وأعيان السلف ، ومصاهرة بعض الأنبياء الى أهلها ، أو عبورهم لها ، أو إقامتهم فيها ، واختصاصها بالنيل ، واعتدال مناخها) ، مستطردا الى ذكر الشائع فى عصره من أسماء الفراعنة ، وما اقترن بهم من البرابى (المقابر) بما احتوت عليه من العجائب والطلاسمات (السحر) ، والمطالب (الدفائن والكنوز) ، وما أشيع من طمس (هلاك) أموالهم - لدعوة موسى عليه السلام عليه - وأخلاق أهل مصر ، وطبائعهم ، وأمزجتهم وقد تقرر لديه أن « منطقة الجوزاء تسامت رعوس أهل مصر ، فلذلك يتحدثون بالأشياء قبل كرنها . ويخبرون بما يكون ، ويذنبون بالأمور المستقبلية » ، وإن عاب عليهم ما نعتهم به من « ثلثة الفيرة » على نسائهم ، و « الاعراض عن النظر فى العواقب » ، « كأنما فرغوا من الحساب » .

ثم ينتقل الى التعريف بنيل مصر ، وأثره فى نظمها الاجتماعية والاقتصادية والزراعية ، مشيرا الى فضائله ، ومخرجه وانبعاشه ، معبرا لغيره ، معددا لمقاييسه وزياداته ، وقد نعت المقياس لديه بأنه « عمود رخام أبيض ، مئمن ، فى موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه اليه ، وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعا ، كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسما متساوية تعرف بالأصابع ، ماعدا الاثنى عشر ذراعا الأولى ، فانها مفصلة على ثمان وعشرين أصبعا كل ذراع ، » منبها الى أن « أتم الزيادات كلها ، العامة الناتج البلاد كله سبعة عشر ذراعا ، وفى ذلك كفايتها وروى جميع أرضها » شرافها ذاك بما قيل فى النيل - شعرا ونثرا - من مدح وإنم ، وما

احتوى عليه من العجائب (كفرس البحر ، والقنقور ، والتمساح ،
والسمك البلطي واللبيس والرعاد) ، والخلجان التى تششق عند
انتهاء زيادته (كخليج سخاوسردوس والاسكندرية والمنهى والفيوم
والقاهرة والناصرى وبحر أبى المنجا) ، وانقسام أرض مصر - فى
الزمن الأول - الى كور ، تهتم بحفر الترع وعمارة الجسور لضبط
الذيل ، وتصريفه فى أوقاته ، مقدرا لخراجها - آنذاك - وما عمله
المصريون عند الفتح فى الخراج ، متطرقا الى الحديث عن انتفاض
(ثورة) القبط على العرب ، ونزول العرب بريف مصر ، واتخاذهم
الزرع معاشا لهم ، ومصايرتهم القبط ، واختلاطهم بهم فى الأنساب ،
مما أدى الى انتشار اللغة العربية والاسلام فيما بينهم . منتهيا الى
أن البلاد - آنذاك - كانت مضمونة بقبالات معروفة (ضمانات
بخراج الأرض تجدد كل أربع سنوات) ، يقبضها متولى الخراج
الذى كان محل جلوسه جامع عمرو فالجامع الطولونى فدار الوزير
يعقوب بن كلس فالقصر بالقاهرة ، الى أن قسمت الى اقطاعات فى
ظل الدولتين الأيوبية والمملوكية ، معرفا بالاقطاع ، والأصل فى
نشأته ، مجعلا الحديث عن الروك الناصرى ، وما أبطله « الناصر
محمد بن قلاوون » من المظالم (المكوس والضرائب والضمانات) ،
معرفا بالديوان - وقد استحدث فى الاسلام زمن عمر بن الخطاب ،
وفى مصر فى ولاية عمرو بن العاص - مقتصرا على ديوان «العساكر
والجيوش » - فى زمنه - وقد صنفت عساكره الى أجناد حلقة
وممالك سلطانية ، اختصت بالاقطاعات بدلا من العطاء ، مقسما
أرض مصر الى سبعة أقسام ، وهى : ديوان السلطان ، والأمراء
والأجناد ، والوقف ، والأحباس ، والمبايع والمشتري ، والمرعى ،
وغير العامر . معللا لاتضاع خراج مصر فى زمنه بقوله :

« . . . وسبب اتضاع خراج مصر بعدما بلغ مع الروم فى
آخر سنة ملكوا قبل فتح مصر عشرين ألف ألف دينار ، أن الملوك

لم تسمح نفوسهم بما كان يتفق فى كلف عمارة الأرض ، فانها تحتاج أن يتفق عليها ما بين ربع متحصلها الى ثلثه ، •

مصنفا الأرض من حيث الزراعة الى : باق ، وششراقى ، وبرايىب ، وسقماهىة ، وششونىة ، وسالىج ، ووسىخ ، وغالب ، وخشرس ، وسبباخ ، معرفا بكل صنف منها ، وبما يصلح للزراعة فيها على مدار السنة ، من الحبوب والفلات والخضروات والفاكهة والزهور والورود ، مذهبها الى أنه لا غنى للأرض المنزرعة عن الجسور (سلطانىة وبلدىة) ، مقدرا مساحاة الفدان ، مقسما مال مصر الى « خراجى وهلالى وجوالى (جزىة) » ، منتهيا الى التعريف بدور الضرب (سلك العملة) فى القاهرة والاسكندرىة وقوص •

معقبا على كل هذا بوصف مسهب للاهرامات وأبى الهول والجبال •

وفى الجزء الثانى : يتحدث عن مدائن مصر - قبلىها وبحرىها - وقد تقرر لديه أنها « كثيرة ، منها ما دثر وجهل اسمه ورسمه ، ومنها ما عرف اسمه وبقى رسمه ، ومنها ما هو عامر » ، معرفا بهذه الأصناف كلها ، محددًا ماكان منها دار ملك (حاضرة أو عاصمة) ، متتبعا لتارىخها وعمرانها فىما قبل الاسلام وبعده ، ناسبا اليها ماشهرت به من صناعة ، أو تعدين ، أو صيد ، أو زراعة ، أو تجارة ، وماشاع عنها من العجائب (أو الخرافات ومستغربات الحدوث) •

وفى الجزء الثالث : يتحدث عن حواضر مصر (عواصمها) فىما بين الفتح العربى والغزو الفاطمى لها ، وهى : الفسطاط والقطائع والعسكر ، معللا لتسمية كل منها ، معرفا بموضعها قبل البناء ، وما آلت اليه بعده ، وحدودها ، ومقدار عمارتها ، وهىئة

سورها وأبوابها ، وما شهرت به من آثار ، وما عرف من أسباب أو
علل أدت إلى خرابها .

وفي الجزء الرابع : يسهب الحديث عن القاهرة - رابع حواضر
مصر الإسلامية - معرّفا بموضعها قبل البناء ، وحدودها ، وما كانت
عليه زمن « الفاطميين » ، وما طرأ عليها في عصره من التغيرات ،
والعلة في تسميتها ، ووصف أسوارها ، وأبوابها ، ومسالكها ،
وشوارعها ، وحاراتها ، وأخطاطها ودورها وقصورها ، وأسواقها ،
ومناظرها ومقنناتها ، وسجونها ، مستطردا إلى التعريف بالدعوة
الفاطمية ، وترتيبها ، ورسوم الخلفاء الفاطميين ونظمهم في الجلوس
في قصورهم ، ومد أسمطتهم ، والاحتفال بأعيادهم ، ومواكبهم ،
وعدة دراويذهم ، ورتب أمراءهم وقضاتهم وموظفيهم ، ورواتبهم ،
وملابسهم ، وفرشهم ، وأمتعتهم ، وسلاحهم ، وقت تقرر لديه أن
القاهرة لم تزل « دار خلافة » ، ومنزل ملك ، ومعقل قتال ، لا ينزلها
إلا الخليفة وعساكره وخراصه الذين يشرفهم بقربه فقط « إلى أن
نقلها صلاح الدين الأيوبي » عما كانت عليه من الصيانة ، وجعلها
مبتدأة لسكن العامة والجمهور ، وحط من مقدار قصور المشايخ ،
وأسكن في بعضها ، وتهدم البعض ، وأزيلت معالمه ، وتغيرت
معاهده ، فصارت خططا وحارات وشوارع ومسالك وأزقة » .

وفي الجزء الخامس : يتحدث عن القاهرة وعصر المعاصرتين ،
معددا ما بهما من مشهورى الحارات والأخطاط وظواهرهما ،
والدروب ، والأزقة ، والسيوح ، والرحاب ، والميادين ، والأوكار ،
والدور ، والقصور ، والحمامات ، والقياسر ، والعمارات ، والحدائق ،
والأسواق ، والمساجد ، والجوامع ، والمصليات ، والرباط ، والأزوايا ،
والشوارع ، والكنائس ، والأديرة ، والمدارس ، والبيمارستانات ،
والسجون ، والمشاهد والقبور ، والأحواض والآبار ، والسخانات ،
والقنات ، والبرك ، والجزائر ، والبرك ، والبيمارستانات .

وفي الجزء السادس : وقد أتت مادته متوسطة لمادة القسم الخامس - يصف قلعة الجبل ، بما اشتملت عليه من العمائر ، كالمساجد والجوامع ، والقصور ، والخزائن ، والاسطىطبات ، والدواهل ، والدواولن . فضلا عن السور وأبوابه ، وما كان عليه موضع القلعة قبل البناء ، مشيرا الى ما ارتبط بها من الرسوم ، معرفا بأرباب الوظائف فيها .

وهو لم يقتصر فى هذه الأجزاء الستة على الخطط - فقط - وإنما وجد يؤرخ لمصر من خلالها ، معرفا بحكامها (من الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء) ، وبأحوالها ، منذ الفتح العربى لها وحتى سلطنة « الأشرق برسباى » (٢٠٣) ، بحيث يمكن أن يجرى من هذا المؤلف تاريخ موجز ومتتابع لمصر فى الاسلام طيلة ثمانية قرون هجرية ، حصرت فيما بين سنتى ٢٠ و ٨٢٦ هـ فضلا عن الترجمة للشخصيات المتصلة بما تردد فى الكتاب من آثار أو عمائر ، مع ذكر الحوادث المرتبطة بها .

وهكذا ، فقد جمع الكتاب بين العديد من المباحث التاريخية ، والأثرية ، والجغرافية ، واللغوية ، والفقهية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، مما جعله موسوعة لتاريخ مصر (السياسى والحضارى) ، وقد اتسعت رقعته المكانية لتشتمل على كافة أرجاء مصر ، ورقعته الزمانية لتشتمل على تاريخها ، فيما بين عصر الفراعنة وعصره .

(٢٠٣) وان أتت له اشارات الى حكامها منذ القدم ، فيما قبل الطوفان وبعده ، وحتى الفتح العربى لمصر ، متخللة الجزءين الأول والثانى بيد أنها مضطربة المادة ، لا صحة لأكثرها .

مصادر مادة الكتاب

أولا : انواع المصادر :

تنوعت مصادر « الخطط » ، وتعددت ، بحيث يمكن اجمالها في الآتى :

(١) المشاهدة والمشاركة :

ويمثلها قوله فى معرض الحديث عن « بركة قرموط » ، وقد شاركت فى اثباته عدة حواس ، منها : البصر ، والسمع ، والشم ، فضلا عن رهاقة الحس ، وحسن الاستنباط :

« ... وأدركنا بها ديارا جليلة ، تنامى أربابها فى احكام بنائها وتحسين سقوفها ، وبالغوا فى زخرفتها بالرخام والدهان ، وغرسوا بها الأشجار ، وأجروا اليها المياه من الآبار ، فكانت تعد من المساكن البديعة النزهة ، وأكثر من كان يسكنها الكتاب مسلموهم ونصاراهم ، وهم فى الحقيقة المترفون أولوا النعمة ، فكم حوت تلك الديار من حسن ومستحسن . »

وانى لأذكرها وما مررت بها - قط - الا وتبين لى من كل دار
هناك آثار النعم : اما روائح تقالنى المطابخ ، أو عبير بخور العود
والند ، أو نفحات الخمر ، أو صوت غناء ، أو دق هاون ، ونحو ذلك
مما يبين عن ترف سكاك تلك الديار ، ورفاهة عيشهم ، وغضارة
نعمهم » .

وقوله فى معرض الحديث عن سور القاهرة :

« . . . وقد أدركت من هذا السور اللبن قطعاً ، وآخر ما رأيت
منه قطعة كبيرة كانت فيما بين باب البرقية ودرب بطوط ، هدمها
شخص من الناس فى سنة ثلاث وثمانمئة ، فشاهدت من كبر لبنها
ما يتعجب منه فى زماننا حتى ان اللبنة تكون قدر ذراع فى ثلثى
ذراع » .

وقوله فيما تعلق بقصر الزمرد :

« . . . وأدركنا لجر هذين العمودين أوقاتاً فى أيام تجمع الناس
فيها من كل أوب لمشاهدة ذلك ، ولهجوا بذكرهما زمناً ، وقالوا فيهما
شعراً وغناء كثيراً ، وعملوا نمودجات من ثياب الحرير وتطريز
المناديل ، عرفت بجر العمود » .

وكانت الأنفس - حينئذ - منبسطة ، والقلوب خالية من الهموم ،
وللناس اقبال على اللهو لكثرة نعمهم وطول فراغهم » .

وقوله عن وكالة قوصون :

« . . . وقد أدركنا هذه الوكالة ، وان رؤيتها من داخلها
وخارجها لتدهش ، لكثرة ما هنالك من أصناف البضائع ، وازدحام
الناس ، وشدة أصوات العتالين عند حمل البضائع ونقلها لمن
يبتاعها » .

وقوله فى « كوم الريش » :

« ٠٠٠ وأنا أدركت بها سوقا عامرة بالمعاش بأنواعها من
المآكل ، ولا أعرف اليوم بالقاهرة مثله فى كثرة المآكل ، وأدركت
بها حماما وجامعين تقام بهما الجمعة ، وموقف مكارية ، ومنارة
لا يقدر الواصف أن يعبر عن حسننها ، لما اشتملت عليه من كل معنى
رائق بهيج » .

وقوله فى « قرية الخندق » خارج باب الفتوح :

« ٠٠٠ وأدركت الخندق قرية لطيفة يبرز الناس من القاهرة
اليها ليتنزهوا بها فى أيام النيل والربيع ، ويسكنها طائفة كبيرة ،
وفيهما بساتين عامرة بالنخيل الفخر والثمار ، وبها سوق وجامع
تقام به الجمعة ، وعليه قطعة أرض من أرض الخندق يتولاها
خطيبه » .

وقوله فى « بركة الحبش » :

« ٠٠٠ وعاينت من هذه البركة أيام فيض النيل عليها أبهج
منظر ، ثم زرتها أيام غاض الماء وبقيت فيها مقطعات بين خضر من
القرط والكتان تفتن الناظر ، وفيها أقول :

يا بركة الحبش التى يومى بها

طول الزمان مبارك وسعيد

حتى كأنك فى البسيطة جنة

وكان دهري كله بك عيد

يا حسن ما يبدو بك السكتان فى

نواره أو زره معقود

والماء منك سـ يوقه مسـ اولة
والقـرط فيك رواقـه مـمـرد
وكأن أبراجـها عـلـيك عرائس
جلـيت وطـيرك حـولـها غـريد
يا ليت شـعرى هل زـمـانك هـائـد
فالشـوق فيـه مـبـدىء ومـعـيد «

وقوله فى « بركة بطن البقر » الواقعة فيما بين أرضى الطباله
وأراضى اللوق :

« . . . وأدركنا بهذه البركة مراحا عظيما للأغنام التى يعلفها
التركمانى حب القطن وغيره من العلف ، فتبلغ النهاية فى السمن ،
حتى انه يدخل بها الى القاهرة محمولة على العجل لعظم جثتها
وثقلها وعجزها عن المشى ، وكان يقال : كبش بركاوى ، نسبة
الى هذه البركة . وشاهدت مرة كبشا من كباش هذه البركة ، وزنت
شقيقته اليمنى فبلغت زنتها خمسة وسبعين رطلا سوى الألية ، وبلغنى
عن كبش أنه وزن ما فى بطنه من الشحم خاصة فبلغ أربعين رطلا ،
وكانت أليا تلك الكباش تبلغ الغاية فى الكبر » .

وقوله فى معرض الحديث عن « مسجد ابن البناء » ، وقد
تعاون السمع والنظر لديه فى تصوير ما كان بجواره من الازدحام :

« . . . واتفق لى عند هذا المسجد أمر عجيب ، وهو أنى مررت
من هناك يوما - أعوام بضع وثمانين وسبعمائة - والقاهرة -
يومئذ - لا يمر الانسان بشارعها حتى يلقي عناء من شدة ازدحام
الناس ، لكثرة مرورهم ركبانا ومشاة ، فعندما حاذيت أول هذا
المسجد اذا برجل يمشى أمامى وهو يقول لرفيقه : والله يا أخى ،

ما مررت بهذا المكان - قط - الا وانقطع نعلى * فوالله ، ما فرغ من كلامه حتى وطىء شخص من كثرة الزحام على مؤخر نعله وقد مد رجله ليخطو فانقطع تجاه باب المسجد ، فكان هذا من عجائب الأمور وغرائب الاتفاق » .

وقوله ناعتا جانبا من مظاهر الاحتفاء بعيد الميلاد :

« ... وأدركنا الميلاد بالقاهرة ومصر وسائر اقليم مصر موسمًا جليلا ، يباع فيه من الشموع المزهرة ، بالأصباغ المليحة ، والتماثيل البديعة ، بأطوال لا تنحصر ، فلا يبقى أحد من الناس اعلام وأدنام حتى يشتري من ذلك لأولاده وأهله ، وكانوا يسمونها الفوانيس - واحدها فانوس - ويعلقون منها فى الأسواق بالحوانيت شيئا يخرج عن الحد فى الكثرة والملاحه ، ويتنافس الناس فى المغالاة فى اثمانها ، حتى لقد أدركت شمعة عملت قبل مئذمها ألف درهم وخمسمائة درهم فضة ، عنها يومئذ ما ينيف على سبعين مثقالا من الذهب .

وأعرف السؤال فى الطرقات أيام هذا الموسم ، وهم يسألون الله أن يتصدق عليهم بفانوس ، فيشتري لهم من صغار الفوانيس ما يبلغ ثمنه الدرهم وما حوله » .

ومكذا فان هذا النوع من المصائد - وان وجد مثيله فى كتابات غير « المقرئى » من المؤرخين - يعد فريدا فى نوعه ، هاما فى موضعه ، وقد حذق مؤرخنا من خلاله تصوير الحياة فى مجتمعه بشتى جوانبها ، بحيث لم ترد الآثار أو الخطط من خلاله - وقد اندرس أكثرها ، وغاب أهلها - صامتة ، وانما وجدت نابضة بأهلها ، مختلطة بهم ، تشاهد من خلالها حركة المارة ، وموضع أقدام بعضهم فى ازدحامهم ، وتسمع فيها جلبة أصواتهم ، وأصوات ما

يلقى فى الأسواق أو يرفع من بضائع ، فضلا عن وزنها ، وما يصدر
من أصوات عن الهاونات فى أيدي المحجوبات فى بيوتهن ، كما
تشتم فيها الروائح ، وتميز أنواعها ، ناهيك عن نعت تلك الآثار
وهاتيك الخطط عينها •

(ب) المشاهدة :

ويمثلها قوله :

« ••• وأخبرنى المقرئ ، الأديب ، المؤرخ الضابط ، شهاب
الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي - رحمه الله - قال :
أخبرنى المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ، قال :
أخبرنى العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصنائع
الحنفى أنه أدرك بجامعة عمرو بن العاص بمصر - قبل الوباء الكائن
فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة - بضعا وأربعين حلقة لأقراء العلم
لاتكاد تبرح منه » •

وقوله :

« ••• وأخبرنى شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد العزيز
العذرى البشبيشى - رحمه الله - قال : أخبرنى القاضى بدر الدين
أبو اسحاق إبراهيم ابن القاضى صدر الدين أبى البركات أحمد ابن
فخر الدين أبى الروح عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن ،
المعروف بابن الخشاب أن قيسارية الفاضل وقفت بضع عشرة مرة ،
منها مرتين أو أكثر زف كتاب وقفها بالأغاني فى شارع القاهرة » •

وقوله :

« ••• ولقد حدثنى غي واحد ممن قدم مع قاضى القضاة عماد
الدين أحمد الكركى أنه لما قدموا من الكرك فى سنة اثنتين وتسعين

وسبعمائة كادوا يذهلون عند مشاهدة بين القصرين ، وقال لى ابنه
محب الدين محمد : أول ما شاهدت بين القصرين حسبت أن زقة
أو جنازة كبيرة تمر من هنالك ، فلما لم ينقطع المارة سألت : ما بال
الناس مجتمعين للمرور من هاهنا ، ف قيل لى : هذا دأب البلد
دائما » .

وقوله :

« . . . أخبرنى شيخ معمر ولد بعد سنة سبعمائة ، يعرف
بمحمد السعودى ، أنه أدرك هذا الخليج والمراكب تمر فيه بالناس
للنزهة ، وأنها كانت تعبر من تحت باب القنطرة غادية ورائحة » .

وقوله :

« . . . وأخبرنى الشيخ المعمر حسام الدين حسين بن عمر
الشهرزورى أنه يعرف خليج الذكر هذا وفيه الماء ، وسبح فيه غير
مرة ، وأرانى آثاره » .

وقوله :

« . . . وأخبرنى شيخنا قاضى القضاة مجد الدين اسماعيل
ابن ابراهيم الحنفى ، وخال أبى ، تاج الدين اسماعيل بن أحمد بن
الخطباء ، أنهما أدركا بكوم الريش عدة أمراء يسكنون فيها دائما ،
وأنه كان من جملة من يسكن فيها - دائما - نحو الثمانمائة من الجند
السلطاني » .

وقوله :

« . . . وأخبرنى المشيخة أنه مازال الرسم الى قريب : أنه
لا يمر بشارع بين القصرين حمل تبى ولا حمل حطب ، ولا يستطيع
أحد أن يسوق فرسا فيه ، فان ساق أحد أنكر عليه وخرق به » .

وقوله :

« ٠٠٠ ولقد أخبرني الطواشي مقل الشامي أنه سمع السلطان حسنا يقول : انصرف على القالب الذي بنى عليه عقد الايوان الكبير مائة ألف درهم نقرة ، وهذا القالب مما رمى على الكيمان بعد فراغ العقد المذكور . »

قال : وسمعت السلطان يقول : لولا أن يقال : ملك مصر عجز عن اتمام بناء بناه لترك بناء هذا الجامع من كثرة ما صرف عليه . »

وقوله :

« ٠٠٠ وقد أخبرني القاضي الرئيس تاج الدين أبو الفداء اسماعيل ابن أحمد بن عبد الوهاب بن الخطباء الخزومي ، خال أبي - رحمه الله - قبل أن يختلط ، قال : أخبرني مؤدبي الذي قرأت عليه القرآن ، أن هذا المكان كان كوما (رحبة أبي تراب) ، وأن شخصا حفر فيه ليبنى عليه دارا ، فظهرت له شرافات ، فما زال يتبع الحفر حتى ظهر هذا المسجد ، فقال الناس : هذا أبو تراب من حينئذ . »

ويؤيد ما قال أني أدركت هذا المسجد محفوا بالكيمان من جهاته ، وهو نازل في الأرض ، ينزل اليه بنحو عشر درج ، وما يرح كذلك الى ما بعد سنة ثمانين وسبعمائة ، فنقلت الكيمان التراب التي كانت هناك حوله ، وعمر مكانها ما هنالك من دور ، وعمل عليها دراب من بعد سنة تسعين وسبعمائة ، وزالت الرحبة ، والمسجد على حاله . »

وهكذا ، فقد أتت الرواية الشفهية في بعض هذه الشواهد مسندة الى سلسلة من الروايات ، على غرار الرواية الحديثية ، كما أتت بعضها مسندة الى مجازيل « غير واحد » ، أو « الشيخة » ، أو

مسندة الى شخص بعينه من أساتذة ، أو أقارب ، أو أقران مؤرخنا ،
وقد اعتنى فى الاسناد الى بعضهم : بتقدير العمر « الشيخ المعمر » ،
أو توثيق المصدر « المؤرخ الضابط » ، « قبل أن يختلط » .

(ج) الخطوط والآثار :

كنحو قوله فى باب زويلة ، أحد أبواب القاهرة :

« ٠٠٠ » ومن تأمل الأسطر التى قد كتبت على أعلاه من خارجه ،
فانه يجد فيها اسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ
بنائه » .

وقوله واصفاً مسجد أبى تراب :

« ٠٠٠ » وأنا قرأت على بابيه - فى رخامة قد نقش عليها بالقلم
الكوفى - عدة أسطر تتضمن أن هذا قبر أبى تراب ، حيدرة بن
المستنصر بالله ، أحد الخلفاء الفاطميين » .

وقوله واصفاً المصحف المودع - آنذاك - فى جامع عمرو :

« ٠٠٠ » وقد أنكر قوم أن يكون هذا المصحف مصحف عثمان
- رضى الله عنه - لأن نقله لم يصح ، ولم يثبت بحكاية رجل واحد .

ورأيت أنا هذا المصحف ، وعلى ظهره ما نسخته : بسم الله
الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين . هذا المصحف الجامع لكتاب
الله - جل ثناؤه وتقديس أسماؤه - حمله المبارك مسعود بن سعد
الهيثى لجماعة المسلمين القراء للقرآن التالين له ، المتقربين الى
الله - جل ذكره - بقراءته والمتعلمين له ، ليكون محفوظاً أبداً ما بقى
ورقه ولم يذهب اسمه ، ابتغاء ثواب الله - عز وجل - ورباء
غفرانه ، وجعله عدة ليوم فقره وفاقته وحاجته اليه ، أناله الله ذلك
برأفته ، وجعل ثوابه بينه وبين جماعة من نظر فيه .

وقد درس ما بعد هذا الكلام من ظهر المصحف ، والمندرس يشبه أن يكون : وتبصر قى ورقه ، وقصد بإيداعه فسطاط مصر فى المسجد الجامع ، جامع المسلمين العتيق ، ليحفظ حفظ مثله مع سائر مصاحف المسلمين ، فرحم الله من حفظه ومن قرأ فيه ومن عنى به ، وكان ذلك فى يوم الثلاثاء مستهل ذى القعدة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ، وصلى الله على محمد ، سيد المرسلين ، وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

(د) الوثائق :

ويمثلها قوله فى المدرسة « السيوفية » :

« . . . كتاب وقفها موجود ، قد وقفت عليه ، ولخصت منه ما ذكرته ، وفيه أن واقفها السلطان صلاح الدين ، وخطه على كتاب الوقف ، ونصه : الحمد لله وبه توفيقى ، وتاريخ هذا الكتاب تاسع عشرى شعبان سنة اثنتين وخمسمائة » .

(هـ) المؤلفات السابقة :

تنوع هذا النوع من المصادر فى « الخطط » تنوعا ملحوظا ، بحيث اشتمل على كثير من فروع المعرفة وفنونها ، المتداولة فى عصر « المقرئى » ، كاللغة ، والأدب ، والحديث ، والتفسير ، والفقه ، والتصوف ، والعقائد ، والفلسفة ، والطب ، والصيدلة ، والنبات والفلاحة ، والجغرافيا والرحلات ، والتاريخ بشتى فنونه ، وكثرت .

أما المصادر اللغوية ، فيمثلها :

- كتاب ليس لابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ - ٩٨٠ م) .
- الخصائص لابن جنى (ت ٣٩٢ هـ - ١٠٠١ م) .

- الصحاح فى اللغة للجوهري (٣٩٣ هـ – ١٠٠٣ م) .
- المحكم والمحيط الأعظم فى لغة العرب لابن سيده
(ت ٤٥٨ هـ – ١٠٦٦ م) .

بينما يمثل المصادر الأدبية :

- الحيوان ، ومدح مصر للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ – ٨٦٩ م) .
- الكامل للمبرد (ت ٢٨٥ هـ – ٨٦٨ م) .
- الأغاني للأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ – ٩٦٧ م) .
- الأمالى للقالى (ت ٣٥٦ هـ – ٩٦٧ م) .
- تحفة الألباب لابن أبى الربيع التيسى (ت ٥٦٥ هـ –
١١٦٩ م) .
- معالم الكتابة وفضائل الاصابة لابن شيث (ت ٦٢٥ هـ –
١٢٢٨ م) .
- المحلى بالأشعار لابن سعيد المغربى (ت ٦٨٥ هـ –
١٢٨٦ م) .
- السوانح الأدبية فى المذائح القنبية لابن أبى البقاء العكبرى
(ت ٧ هـ – ١٣ م) .

ويمثل المصادر الحديثية :

- مسند الامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ – ٨٥٥ م) .
- صحيح البخارى (ت ٢٥٦ هـ – ٨٧٠ م) .
- صحيح مسلم الشيرى (ت ٢٦١ هـ – ٨٧٥ م) .

- سنن ابن ماجه (ت ٢٧٣ هـ - ٨٨٧ م) .
- سنن أبى داود (ت ٢٧٥ هـ - ٨٨٩ م) .
- غريب الحديث لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ - ٨٨٩ م) .

ويمثل المصادر التفسيرية :

- معانى القرآن لأبى القاسم الزجاجى (ت ٣٢٧ هـ - ٩٤٩ م) .
- الوسيط للواحدى (ت ٤٦٨ هـ - ١٠٧٦ م) .
- معالم التنزيل للبغوى (ت ٥١٦ هـ - ١١٢٢ م) .
- الكشاف للزمخشرى (ت ٥٢٨ هـ - ١١٤٤ م) .
- الوجيز لابن عطية (ت ٥٤٦ هـ - ١١٥١ م) .
- مفاتيح الغيب للفخر الرازى (ت ٦٠٦ هـ - ١٢١٠ م) .

ويمثل المصادر الفقهية :

- الرسالة لأبى يوسف (ت ١٨٢ هـ - ٧٩٨ م) .
- الأموال لابن سلام (ت ٢٢٤ هـ - ٨٢٨ م) .
- الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ - ٩٤٨ م) .
- الأحكام السلطانية للماوردى (ت ٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م) .
- القمهيد لابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ - ١٠٧١ م) .
- المنهاج فى علم الخراج للقاضى السعيد (ت ؟)

ويمثل المصادر القصصوف :

- الرسالة القشيرية للامام أبى القاسم القشيري (ت ٤٦٥ هـ - ١٠٧٢ م) .
- عوارف المعارف للسهروردي (ت ٦٣٢ هـ - ١٢٣٤ م) .
- الملاحمة للابن العربي (ت ٦٣٨ هـ - ١٢٤٠ م) .
- وشرحها .
- هادى الراغبين فى زيارة قبور الصالحين لأبى محمد .
- عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الكريم بن على بن محمد بن على بن طلحة .

ويمثل المصادر العقائدية :

- المصاحف للسجستاني (ت ٣١٦ هـ - ٩٢٩ م) .
- السنكسار .
- شرح الانجيل .
- السند هند ، والهارزوان ، والأزدجهر ، فى عقائد الهند .

ويمثل المصادر الفلسفية :

- الآثار العلوية لأرسطوطاليس .
- أسرار مقدمة المعرفة ليعقوب بن اسحاق الكندي (ت ٣٨٧ هـ - ٨٦٧ م) .
- مفاتيح العلوم للخوارزمي (ت ٣٨٧ هـ - ٩٩٧ م) .

ويمثل مصادر الطب والصحة :

- تدبير أبدان الأصحاء لابن حاسويه (ت ٢٤٣ هـ - ٨٥٧ م)
- القانون في الطب لابن سينا (ت ٤٢٨ هـ - ١٠٣٧ م)
- تقويم الصحة لابن بطالان (ت ٤٤٤ هـ - ١٠٥٢ م)
- شرح كتاب الأربع (لبطليموس) لابن رضوان (ت ٤٥٣ هـ - ١٠٦١ م)
- منهاج البيان فيما يستعمله الانسان لابن جزلة (ت ٤٩٣ هـ - ١١٠٠ م)
- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار (ت ٦٤٦ هـ - ١٢٤٨ م)
- شرح القانون لابن النفيس (ت ٦٨٧ هـ - ١٢٨٨ م)

ويمثل مصادر النبات والفلاحة :

- النبات لأبى حنيفة الدينورى (٢٨٢ هـ - ٨٩٥ م)
- الفلاحة النبطية لابن وحشية (ت ٢٩٦ هـ - ٩٠٩ م)

ويمثل مصادر الجغرافيا والرحلات :

- الأقاليم ووصف الجزائر والبخار والمدن لبطليموس
- كتاب هروشيوس ، فى ترجمته العربية
- المسالك والممالك لابن خرداذبة (ت ٣٠٠ هـ - ٩١٣ م)
- صور الأقاليم لأبى زيد البلخى (ت ٣٢٢ هـ - ٩٣٤ م)
- صورة الأرض لابن حوقل (ت ٣٦٧ هـ - ٩٧٧ م)

- رسم المعمور للخوارزمي (ت ٣٨٣ هـ - ٩٩٣ م) .
- معجم ما استعجم للبكري (ت ٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م) .
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي (ت ٥٦٠ هـ - ١١٦٥ م) .
- رحلة ابن جبير (ت ٦١٤ هـ - ١٢١٧ م) .
- المشترك وضعا والمفترق صقعا لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ - ١٢٢٩ م) .
- عجائب البنيان لشافعي بن علي الكناني (ت ٧٣٠ هـ - ١٣٣٠ م) .

ويمثل المصادر المتصلة بعلم الأنساب :

- التيجان في معرفة ملوك الزمان لابن هشام (ت ٢١٣ هـ - ٨٢٨ م) .
- الأكليل للهمداني (ت ٣٣٤ هـ - ٩٤٦ م) .

ويمثل المصادر التاريخية :

- كتاب المبدأ لابن اسحاق (ت ١٥١ هـ - ٧٦٨ م) .
- الفتوح للمراقدي (ت ٢٠٧ هـ - ٨٢٣ م) .
- الطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠ هـ - ٨٤٥ م) .
- المنق لابن حبيب (ت ٢٤٥ هـ - ٨٦٠ م) .
- فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكيم (ت ٢٥٧ هـ - ٨٧٠ م) .
- تاريخ المدينة لعمر بن شبة (ت ٢٦٢ هـ - ٨٧٦ م) .

- أخبار مكة للفاكهى (ت ٢٧٢ هـ - ٨٨٥ م) .
- فتوح البلدان للبلاذرى (ت ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م) .
- تاريخ اليعقوبى (ت ٢٨٤ هـ - ٨٩٧ م) .
- تاريخ الرسل والملوك للطبرى (ت ٣١٠ هـ - ٩٢٣ م) .
- أخبار الزمان ، والتنبية والاشراف ، ومروج الذهب للمسعودى (ت ٣٤٥ هـ ٩٥٦ م) .
- تاريخ الغرباء ، وتاريخ مصر لابن يونس (ت ٣٤٧ هـ - ٩٥٨ م) .
- أخبار مسجد أهل الراية الأعظم ، والجند الغربى ، والموالى وأمراء مصر للكندى (ت ٣٥٠ هـ - ٩٦١ م) .
- أعيان الفرس لعلى بن حمزة الأصفهاني (ت ٣٧٥ هـ - ٩٨٥ م) .
- التحف والهدايا للخالدين (ت ٤ هـ - ١٠ م) .
- أخبار (سيرة) المادرائيين كتاب مصر ، وانمام أخبار أمراء مصر (للكندى) ، وسيرة المعز ، وسيرة الاخشيد ، والعيون الدعيح فى حلى دولة بنى طغج لابن زولاق (ت ٣٨٧ هـ - ٩٩٧ م) .
- الديارات للشابشتى (ت ٣٨٨ هـ - ٩٩٨ م) .
- تاريخ أفريقيا والمغرب للرقيق القيروانى (كان حيا سنة ٣٨٨ هـ - ٩٩٨ م) .
- أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل لعبد الله بن أحمد ابن سليم الأسوانى (ق ٤ هـ - ١٠ م) .
- سيرة أحمد بن طولون للبلوى (ق ٤ هـ - ١٠ م) .

- فضائل مصر لابن الكندي (كان حيا في النصف الثاني من ق ٤ هـ — ١٠ م) .
- أخبار مصر للمسيحي (ت ٤٢٠ هـ — ١٠٢٩ م) .
- الفهرست للنديم (ت ٤٣٨ هـ — ١٠٤٧ م) .
- الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني (ت ٤٤٠ هـ — ١٠٤٨ م) .
- المختار في ذكر الخطط والآثار للقزاعي (ت ٤٥٤ هـ — ١٠٦٢ م) .
- نقط العروس لابن حزم (ت ٤٥٦ هـ — ١٠٦٤ م) .
- دلائل النبوة للبيهقي (ت ٤٥٨ هـ — ١٠٦٦ م) .
- طبقات الأمم لابن صاعد (ت ٤٦٢ هـ — ١٠٧٠ م) .
- الذخائر والتحف للرشيد بن الزبير (ق ٥ هـ — ١١ م) .
- الرسالة المصرية لابن أبي الصلت (ت ٥٢٩ هـ — ١١٣٥ م)
- الإشارة الى من نال الوزارة لابن منجب الصيرفي (ت ٥٤٢ هـ — ١١٤٧ م) .
- تاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١ هـ — ١١٧٦ م) .
- معجم السفرة للسلفي (ت ٥٧٦ هـ — ١١٨٠ م)
- الروض الآنف للسهيلى (ت ٥٨١ هـ — ١١٨٥ م) .
- أخبار مصر للمأمون البطائحي (ت ٥٨٨ هـ — ١١٩٢ م) .
- الجواهر المكنون في معرفة القبائل والبطون ، والنقط على ما أشكل من المخطوطات للشريف الجواني (ت ٥٨٨ هـ — ١١٩٢ م) .

- تعليق المتجددات (مياومات) القاضى الفاضل (ت
٥٩٦ هـ - ١٢٠٠ م) .
- جواهر البحور وعجائب الدهور فى أخبار الديار المصرية
لابن وصيف شاه (ت ٥٩٩ هـ - ١٢٠٣ م) .
- قوانين الدواوين لابن مماتى (ت ٦٠٦ هـ - ١٢٠٩ م) .
- نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين لابن الطوير (ت ١٦٧ هـ
- ١٢٢٠ م) .
- الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة
فى أرض مصر لعبد اللطيف البغدادى (ت ٦٢٩ هـ - ١٣٢١ م) .
- معادن الذهب فى تاريخ الخلفاء والملوك وذوى الرتب لابن
أبى طى (ت ٦٣٠ هـ - ١٢٣٣ م) .
- الكامل فى التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ - ١٢٣٣ م) .
- حسن السيرة فى اتخاذ الحصن بالجزيرة (كان حيا سنة
٦٣٢ هـ - ١٢٣٥ م) .
- تاريخ ذى الرياستين (النبراس) لابن دحية (ت ٦٣٣ هـ
- ١٢٣٥ م) .
- المعجم المترجم للمنذرى (ت ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م) .
- عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (ت
٦٦٨ هـ - ١٢٧٠ م) .
- تاريخ الجمال اليعمورى (ت ٦٧٣ هـ - ١٢٧٤ م) .
- أخبار مصر لابن ميسر (ت ٦٧٧ هـ - ١٢٧٨ م) .
- وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ - ١٢٨٢ م) .

– المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد المغربى (ت ٦٨٥ هـ – ١٢٨٦ م) .

– الدر النظيم فى أوصاف القاضى عبد الرحيم ، والروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة لابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢ هـ – ١٢٩٣ م) .

– ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل (ت ٧٣٠ هـ – ١٣٢٩ م) .

– كنز الدرر وجامع الغرر لابن الدوادارى (ق ٨ هـ – ١٤ م)

– حوادث الزمان للشمس الجزرى (ت ٧٣٩ هـ – ١٣٣٩ م) .

– مجانى الهصر لأبى حيان (ت ٧٤٥ هـ – ١٣٤٤ م) .

– الطالع السعيد للكمال الأدفوى (ت ٧٤٨ هـ – ١٣٤٧ م) .

– نزهة الناظر فى سيرة الملك الظاهر لليوسفى (ت ٧٥٩ هـ – ١٣٥٨ م) .

– العبر فى أخبار من مضى وغير للشمس ابن النقلش (ت ٧٦٣ هـ – ١٣٦١ م) .

– أعيان العصر وأعوان النصر للصالح الصفدى (ت ٧٦٤ هـ – ١٣٦٣ م) .

– العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ – ١٤٠٦ م) .

– خطط الأوحدى (ت ٨١١ هـ – ١٤٠٨ م)

– أخبار أمير المؤمنين المعتضد بالله أبى العباس أحمد ابن أبى طلحة الموفق ابن المتوكل لأبى الحسين عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبى طاهر (ت ؟؟)

– تاريخ يوسف بن كريون (ت ؟؟)

ثانيا : الاسناد الى المصادر :

تنوعت طرق « المقرئى » فى الاسناد الى المصادر ، لتتمثل فى :

(أ) الاسناد الى المصدر ، مصرحا باسم المؤلف وعنوان الكتاب :
ويمثله قوله :

« ٠٠٠ وقال الجاحظ فى كتاب مدح مصر : ٠٠٠ »

وقوله :

« ٠٠٠ وقال الشريف محمد بن أسعد الجوانى فى كتاب الجوهر
المكنون فى معرفة القبائل والبطون : ٠٠٠ »

(ب) الاسناد الى المصدر ، مصرحا باسم المؤلف ، مع اغفال
التصريح بعنوان كتابه :

كنحو قوله :

« ٠٠٠ وقد روى الحافظ أبو بكر بن ثابت من حديث نبيط بن
شريط ، قال : ٠٠٠ »

وقوله :

« ٠٠٠ قال ابن الطوير : ٠٠٠ »

وقوله :

« ٠٠٠ قال المسعودى : ٠٠٠ »

(ج) الاسناد الى المصدر ، مصرحا بعنوان الكتاب ، مع اغفال
التصريح باسم مؤلفه :

ويمثله قوله :

« ٠٠٠ قال فى تاريخ مدينة رومة : ٠٠٠ »

وقوله :

« ٠٠٠ وقد حكى صاحب كتاب محاسن الأبرار ومجالس الأخيار : ٠٠٠ »

وقوله :

« ذكر فى كتاب عجائب الحكايات وغرائب الماكرات : ٠٠٠ »

(د) الإسناد الى مذهبهم :

كنحو قوله :

« ٠٠٠ وقال بعض المفسرين رحمهم الله تعالى : ٠٠٠ »

وقوله :

« ٠٠٠ حكى القبط فى كتبهم أن : ٠٠٠ »

وقوله :

« ٠٠٠ وذكر بعض المؤرخين أن : ٠٠٠ »

وقوله :

« ٠٠٠ وقد اختلف أهل العلم فى المعنى الذى من أجله سميت هذه الأرض بمصر ، فقال قوم : ٠٠٠ ، وقيل : ٠٠٠ ، وقيل : ٠٠٠ ، وقال آخرون : ٠٠٠٠ »

(هـ) إهمال الإسناد الى المصدر :

ومع ذلك ، فقد أهمل « المقرئى » فى مواضع كثيرة من « الخطط » التصريح بمصدره فيها ، ومن ذلك قوله فى معرض الحديث عن القطائع :

« ٠٠٠ وكان أحمد بن طولون قد مات أبوه فى سنة أربعين ومائتين ، ولأحمد عشرون سنة منذ ولد من جارية كانت تدعى قاسم ،

وكان مراده فى سنة عشرين ومائتين ، وولدت - أيضا - أخاه
موسى وحبيسية وسمانة .

وكان طولون من الطغرغر ، مما حمله نوح بن أسد عامل
بخارى الى المأمون ، فيما كان موظفا عليه من المال والرقيق والبرانيين
وغير ذلك فى كل سنة ، وذلك فى سنة مائتين .

فنشأ أحمد بن طولون نشأ جميلا ، غير نشىء أولاد العجم ،
فوصف بعلو الهمة ، وحسن الأدب ، والذهاب بنفسه عما كان يترامى
اليه أهل حابقته ، وطلب الحديث ، وأحب الغزو ، وخرج الى طرسوس
مرات ، وإقى المحدثين ، وسمع منهم ، وكتب العلم ، وصحب الزهاد
وأهل الورع ، فتأدب بأدابهم .

وظهر فضله ، فاشتهر عند الأولياء ، وتميز على الأتراك ،
وصار فى عداد من يوثق به ، ويؤتمن على الأموال والأسرار ،
فزوجه ياجور ابنته ، وهى أم ابنه العباس وابنته فاطمة .

ثم انه سأل الوزير عبيد الله بن يحيى أن يكتب له برزقة على
الثمن ، فأجابه ، وخرج الى طرسوس ، فأقام بها . وشق على أمه
مفارقته ، فكاتبته بما أقلقه .

فلما قفل الناس الى سر من رأى ، سار معهم الى لقاء أمه ،
وكان فى القافلة نحو خمسمائة رجل ، والخليفة ان ذاك المستعين
بالله أحمد ابن المعتصم ، وكان قد أنفذ خادما الى بلاد الروم لعمل
أشياء نفيسة ، فلما عاد بها - وهى وقر بغل - الى طرسوس ، خرج
مع القافلة .

وكان من رسم الغزاة أن يسيروا متفرقين ، فطرق الأعراب
بعض سوادهم ، وجاء الصائح ، فبدر أحمد بن طولون لقتالهم

وتبعوه ، فوضع السيف فى الأعراب ، ورمى بنفسه فيهم حتى استنقذ منهم جميع ما أخذوه وفروا منه .

وكان من جملة ما استنقذ من الأعراب البغل المحمل بمتاع الخليفة ، فعظم أحمد بما فعل عند الخادم ، وكبر فى أعين القافلة .

فلما وصلوا الى العراق ، وشاهد المستعين ما أحضره الخادم أعجب به ، وعرفه الخادم خروج الأعراب وأخذهم البغل بما عليه ، وما كان من صنع أحمد بن طولون ، فأمر له بألف دينار ، وسلم عليه مع الخادم ، وأمره أن يعرفه به اذا دخل مع المسلمين ، ففعل ذلك .

وتوالت عليه صلوات الخليفة حتى حسنت حاله ، ووهبه جارية اسمها مياس ، استولدها ابنه خمارويه فى النصف من المحرم سنة خمسین ومائة .

وهذا النقل - على طوله - قد أخذه « المقرئى » عن « سيرة أحمد بن طولون » للبلوى ، دون عزو اليه ، وهو فيها على النحو التالى :

« . . . وكان أحمد بن طولون قد مات أبوه فى سنة أربعين ومائتين ، ولأحمد عشرون سنة ، من جارية كانت لأبيه تعرف بقاسم ، ولدت أحمد فى سنة عشرين ومائتين ، وولدت بعده أخاه موسى وحبيسة وسمانة . وكان طولون من طغرغر ، حملة نوح بن أسد عامل بخارى وخراسان الى المأمون ، فيما كان موظفا عليه من المال والرقيق والبراذين وغير ذلك فى كل سنة ، وذلك فى سنة مائتين .

« . . . فنشأ أحمد بن طولون نشوءا جميلا غير نشوء أولاد العجم ، من بعد الهمة ، وحسن الدين ، والذهاب بنفسه عما كانت تسف اليه طبيقته ، وطلب الحديث ، وأحب الغزو ، وخرج الى طرسوس مرات ،

ولقى شيوخ المحدثين وسمع منهم ، وكتب العلم • وحصل له من ذلك
قطعة كبيرة •

وآلف بطرسوس جماعة من الزهاد ، وأهل الدين والورع ،
فأدبوه بأدابهم ، فحسنّت طريقته ، وظهر فضله ، فتمكن له فى قلوب
الأولياء ما ارتفع به على طبقته ، وبان فضله على وجوه الأتراك ،
وصار محله عندهم محل من يوثق به على الأموال والأسرار والفروج ،
ومثل هذا عند العجم محله عظيم فى نفوسهم ، لو تصنع به متصنع ،
فكيف من مبتدئ غير متصنع ! فخطب الى يارجوخ ابنته فزوجه ،
وكانت أم ابنه العباس وابنته فاطمة •

فلما كان فى نفسه من محبة الخير ورغبته فيه — سأل الوزير
أن يكتب برزقة الى الثغر ، وعرفه رغبته فى المقام به فأجابه الوزير
عبيد الله بن يحيى الى ذلك وكتب له به ، وخرج فأقام بطرسوس مدة ،
وشق على أمه مفارقتها لها ، فكاتبته بما ألقه ، فلما قفل الناس الى
سدر من رأى قفل مسهم بسبب أمه ، وكان جملة القافلين نحووا من
خمسائة رجل ، والخليفة — يومئذ — المستعين بالله •

وكان قد اتفق أن المستعين بالله استحسن شيئاً يعمل ببلاط
الروم ، من بزيون وكراسى حديد منقوشة بأحسن نقش ، يجرى فيها
الذهب ، وأشياء يضمن بها الملك أن تخرج الى أرض العرب ، فأنفذ
خادماً من خدمه يتكلم بالرومية الى ملك الروم ، برسالة جعلها سبباً
لما يريد ، وأمر الخادم أن يتلطف فى ابتياع ما تهيا له مما قدمنا ذكره
وقدر عليه ، وخرج الخادم ووصل الى ملك الروم وأدى الرسالة ،
وانزل فى دار قرشت له ، وبلغ فى اكرامه كل مبلغ ، وجعل يلتمس
شراء كل ما يمكنه بضعف ثمنه المبيع منه ، فاشتري ما حصل له
منه وقر بغل ، لم يمكنه أكثر منه •

فأجاب ملك الروم المستعين عن رسالته ، وحمل اليه هدايا حسنا ، وخلص الخادم ذلك البغل المحمل ذلك المتاع بالحيلة ، على محله من أمير المؤمنين في حمله ما حمل معه ، وخرج حتى حصل طرسوس ، وخرج مع القافلين ، وفيهم أحمد بن طولون .

ومن رسم الغزاة أن يسيروا متفرقين مثل العقبان ، فنظرت الأعراب شيئا من سوادهم في بعض المواضع فأخذوه ، ووقعت الصيحة ، وجاء النذير الى الطائفة التي فيها أحمد بن طولون ، فكان أول من انتدب ، وحضر على القتال ، والذهاب خلف الأعراب الى حيث قصدوا ، وسار يريداهم ، فلما رآه الباقون اتبعوه ، فكان أول من لحق بالأعراب ، ووضع فيهم السيف ، ورمى بنفسه عليهم ، وحذفهم بالنشاب ، وكان حسن الرمي لا يخطئ شيئا ، فحلى الأعراب عن جميع ما أخذوه ، ونجوا بأنفسهم على خيولهم .

وكان فيما أخذ الأعراب البغل المحمل ذلك المتاع الذي لم يوصل اليه الا بالحيلة ، وكانت نفس الخادم قد كادت أن تخرج لذلك . . . وعظم أحمد بن طولون في عينه وقلبه ، وصار له كالعبد ، وكبر في قلوب أهل القافلة ، فلما وصلوا الى العراق حضر الخادم ذلك المتاع الى المستعين ، فاستحسنه وسر به كل سرور ، فذكر له الخادم ما عاناه في أمره قبل الوصول اليه ، وقال له : وأعظم ما جرى يامولاي أنه لما حصل وسلم الى طرسوس وقفلت مع الناس ، خرج علينا الأعراب فأخذوه ، فلولا أن الله - جل اسمه - من على بسلام من غلمان مولاي أمير المؤمنين يعرب بأحمد بن طولون ، فإنه أول من انتدب وخرج اليهم ، وحصله وجميع ما أخذوه ، لقتلت نفسي أسفا على فواته .

فازداد به المستعين سرورا ، وأمر في الوقت لأحمد بن طولون بألف دينار ، وقال للخادم : امض أنت بها اليه سرا ، وأقرئه مني

السلام ، وقل له عنى : لولا خوفى من أن يعلم محله من قلبى فيحسد
ويقتل لبلغته أفضل مراتب أمثاله ، وإذا هو دخل الى فى المسلمين
أرنيه • فأوصل اليه الخادم المال ، وعرفه الرسالة ، فحمد الله - عز
وجل - على ذلك •

فلما كان يوم السلام ، ودخل مع الأولياء ، غمز الخادم
المستعين عليه حتى رآه ، فأشار اليه المستعين بالسلام ، ولم يزل
يفعل ذلك كلما دخل اليه فى المسلمين ، ويوجه اليه بالصلة الواغرة
فى كل وقت ، دفعة بعد دفعة ، حتى حسنت حاله بذلك ، ووهب له
جارية اسمها مياس . فولدت له ابنا الجيش فى التصف من المحرم
سنة خمسين ومائتين •

وهكذا ، فان « المقرئى » قد نقل عن « البلوى » فى هذا الموضع
نقلا متتابعاً دون عزو اليه ، مع ما تخلل من قوله عنه من الحذف
مما يجعل مصدره - فيما نقل عنه - مصدراً رئيساً لا غنى عنه •

ثالثاً : طرق النقل :

راوح « المقرئى » فى الخطط بين النقل الحرفى عن مصادر
والنقل عنها متصرفاً فى النسقين الترتيبى والتعبيرى المصاحبين
لنقله عنها •

أما النقل الحرفى : فيمثله قوله معرفاً بجهاركس الصلاحى :

« ... بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى النسوبة اليه ، رأيت
جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون : لم نر فى شىء من
البلاد مثلاً فى حسناتها وعظمتها واحكام بنائها ، وبنى بأعلاها
مسجداً كبيراً وربعا معلقاً • وتوفى فى بعض شهور سنة ثمان
وستمئة بدمشق ، ودفن فى جبل الصالحية ، وتربيته مشهورة هناك :
رحمه الله » •

وهو قول مطابقى وقول ابن خلكان :

« ٠٠٠ بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة اليه ، رأيت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون : لم تر فى شىء من البلاد مثلها فى حسنها وعظمتها واحكام بنائها ، وبنى بأعلاها مسجدا كبيرا ، وربعا معلقا . وتوفى فى بعض شهور سنة ثمان وستمئة بدمشق ، ودفن فى جبل الصالحية ، وتربته مشهورة هناك ، رحمه الله تعالى » .

وقوله فى الاسكندرية :

« ٠٠٠ وقال ابن خرداذبة : روى أن الاسكندرية بنيت فى ثلاثمئة سنة ، وأن أهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها بالنهار الا بخرق سود ، مخافة على أبصارهم من شدة بياض حيطانها ، ومنازلها العجيبة على سرطان زجاج فى البحر ، وأنه كان فيها سوى أهلها ستمئة ألف من اليهود خولا لأهلها » .

ويقابله لدى « ابن خرداذبة » قوله :

« ٠٠٠ والاسكندرية ، يقال : انها بنيت فى ثلاثمئة سنة ، وأن أهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها بالنهار الا بخرق سود ، مخافة على أبصارهم من شدة بياض حيطانها ، ومنازلها العجيبة على سرطان من زجاج فى البحر ، وكان فيها سوى أهلها ستمئة ألف من اليهود خولا لأهلها » .

وأما التصرف فى النسقين الترتيبى والتعبيرى للمنقول ، أو فى أحدهما ، فيمثل قوله :

« قال ياقوت فى باب حلب : الأول - حلب المدينة المشهورة بالشام ، وهى قصبة نواحى قنسرين والعواصم اليوم . الثانى - حلب الساجور من نواحى حلب أيضا . الثالث - كفر حلب ، من

قراها أيضا . الرابع - محلة بظاهر القاهرة ، بالشارع من جهة
الفسطاط ، والله تعالى أعلم » .

ويقابله لدى ياقوت قوله :

« باب حلب : أربعة مواضع ، بفتح الحاء واللام والباء موحدة :

الأول - حلب المدينة المشهورة . وهى قصبة نواحي قنسرين
والعواصم بالشام ، مضى عظيم خرج منها من لا يحصى كثرة من أهل
العلم فى كل فن .

الثانى - كفر حلب من قراها .

الثالث - حلب ، محلة كبيرة بالشارع فى ظاهر القاهرة من
جهة الفسطاط .

الرابع - حلب الساجور ، من نواحي حلب - أيضا - لها ذكر
فى الفتوح » .

وبالمقابلة بين النصين ، نجد أن « المقرئى » قد تصرف فى
منقوله عن مصدره ، معدلا النسخ الترتيبى المصاحب له ، بتقديم
« حلب الساجور » على « كفر حلب » ، و « محلة حلب » ، كما عمد
الى تعديل التعبير - كذلك - سواء بحذف بعض الكلمات ، أو بإبدالها
بألفاظ متقاربة المعنى .

ومن أمثلة ذلك قوله :

« . . . وقال قدامة بن جعفر فى كتاب الخراج : انبعث النيل
من جبل القمر وراء خط الاستواء ، من عين تجرى منها عشرة أنهار ،
كل خمسة منها تصب الى بطيحة ، ثم يخرج من كل بطيحة نهران ،
وتجرى الأنهار الأربعة الى بطيحة كبيرة فى الاقليم الأول ، ومن
هذه البطيحة يخرج نهر النيل » .

ويقابله فى مصدره قوله :

« أول العيون عين تخرج من جبل القمر حذاء خط الاستواء ، ثم يتشعب منها عشرة أنهار ، وتصب كل خمسة منها فى بطيحة من بطيحتين من الناحية الجنوبية وراء خط الاستواء ، ثم يتشعب من كل بطيحة ثلاثة أنهار ، تجتمع الى البطيحة فى الاقليم الأول عند بعد جزء من خط الاستواء ، ثم يخرج من هذه البطيحة نهر - هو نيل مصر - حتى يمر بمدينة النوبة ، ويقطع الاقليم الأول حتى يتجاوزه على سمته بمقدار جزء ونصف من الاقليم الثانى . » .

وبالمقابلة بين النصين ، نجد أن « المقرئى » لم يلتزم بالنسقين الترتيبى والتعبيرى المصاحبين لنقله عن مصدره ، كما أنه لم يكن دقيقا فى النقل ، حيث أشار الى أن كل بطيحة يخرج منها « نهران » بينما أشار مصدره الى أنه « يتشعب من كل بطيحة ثلاثة أنهار » . ويمثل ذلك - أيضا - قوله :

« وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى : وكانت دار الملك بمصر فى قديم الدهر مدينة منف ، وهى فى غربى النيل على مسافة اثنى عشر ميلا من الفسطاط . »

فلما بنى الاسكندر مدينة الاسكندرية رغب الناس فى عمارتها ، فكانت دار العلم ومقر الحكمة الى أن فتحها المسلمون فى أيام عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - واختط عمرو بن العاص مدينته المعروفة بالفسطاط ، فانتشر أهل مصر وغيرهم من العرب والعجم الى سكناها ، فصارت قاعدة ديار مصر ومركزها الى وقتنا هذا . »

ويقابله لدى مصدره قوله :

« . . . والملك بمصر من قديم الزمان بمدينة منف ، وهى فى غربى النيل ، على مسافة اثنى عشر ميلا من الفسطاط . » ولما بنى

الاسكندر مدينة الاسكندرية منذ نحو ألف سنة وأربعمائة سنة وأربعين سنة ، رغب الناس فى عمارتها ، وكانت دار علم ، ومقر الحكمة ، الى ان تغلب عليها المسلمون فى خلافة عمر بن الخطاب - رضوان الله عليه - واختط عمرو بن العاص مدينته المعروفة بالفسطاط ، فانسرب أهل مصر وغيرهم من العرب والعجم الى سكناها ، فصارت قاعدة ديار مصر ومركزها الى وقتنا هذا » .

وبالمقابلة بين النصين ، نجد أن « المقرئى » قد حافظ على النسق الترتيبيى المصاحب لنقوله عن مصدره ، بينما تصرف فى نسقه التعبيرى سواء بالاسقاطات ، أو بالابدال فى بعض ألفاظه بالفاظ متقاربة فى المعنى .

النقد التاريخى فى الخطط

المطلع على ما دونه « المقرئى » فى الخطط يعجب لكثرة ما تردد فيها من الخرافات (أو مستغربات الحدوث) المثبتة لديه عن مصادره ، خاصة « ابن وصيف شاه » وقد وثق فيه ، على النحو الرارد فى قوله :

« ٠٠٠ فان ابن وصيف شاه أعرف بأخبار اهل مصر ، »

ولعل هذا العجب ليس منصرفاً الى اثباته هذه الخرافات عن مصادره ، انصرافه الى ما جبل عليه مؤرخنا من التصديق لأكثرها ، بل والتدليل على صحتها ، وان كان فيها ما يمجى العقل ، ويأباه الذوق ، ومن ذلك قوله مدللاً على صحة ما تردد فى مصدره من جلب سبعة من العواميد ، منها عمود السوارى - من الصعيد الى الاسكندرية - حملاً تحت الآباط ، قائلاً :

« ٠٠٠ ويقال : ان عمود السوارى الموجود - الآن - خارج مدينة الاسكندرية أحد سبعة أعمدة ، أتى بأحدها البتون بن مرة العادى ، وهو يحمله تحت ابطه من جبل بريم الأحمر - قبلى أسوان - الى الاسكندرية ، فانكسر ضلعه لأنه كان ضعيف القوى

فى قومه ، فشق ذلك على يعمر بن شداد ابن عاد ، وقال : ليتنى قديته بنصف ملكى ، وجاء بعمود آخر جحدر بن سنان الهمودى ، وكان قويا ، فحملة من أسوان تحت ابطة ، وجاء يقية رجالهم ، كل رجل بعمود ، فأقام العمود السبعة الجارود بن قطن المؤتفكى ، وكان بناءها بعد أن اختاروا لها طالعا سعيدا كما هى عادتهم فى عامة أعمالهم .

... وكأنى بمن قل علمه ينكر على ايراد هذا الفصل وبراء من قبيل الحال ، ومما وضعه القصاص ، ويجزم بكذبه ، فلا يوحشك حكايتى له ، واسمع قول الله - تعالى - عن عاد قوم هود : « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة » (٦٩ : الأعراف) ، أى طولا وعظم جسم .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا ، وهذه الزيادة كانت على خلق آبائهم ، وقيل : على خلق قوم نوح .

وقال وهب بن منبه : كان رأس أحدهم مثل قبة عظيمة ، وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع ، وكذلك مياخريهم .

وروى شهر بن حوشب عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه قال : « إن كان الرجل من قوم عاد ليحمل المصراعين لو اجتمع عليه خمسمائة من هذه الأمة لم يطيقوه ، وإن كان أحدهم ليغمز بقدمه الأرض فيدخل فيها . »

وروى عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافى عن ابن بجرة ، قال : استظل سبعون رجلا من قوم موسى - عليه السلام - فى قحف رجل من العماليق .

وعن زيد بن أسلم : بلغنى أن الضبعة وأولادها ربين فى حجاج عين رجل من العماليق .

وقال تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، ارم ذات العماد ،
التي لم يخلق مثلها في البلاد » (٦ - ٨ : الفجر) .
قال المبرد : وقولها - يعنى الخنساء : رفيع العماد ، انما تريد
الطول . يقال : رجل معمد ، يريد طويلا ، ومنه قوله تعالى : « ارم
ذات العماد » ، أى الطول .

وقال البيهقي : سموا ذات العماد ، لأنهم كانوا أهل عمد سيارة ،
وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي ، ورواية عطاء عن ابن عباس .
وقال بعضهم : سموا ذات العماد لطول قاماتهم . قال ابن عباس :
يعنى طولهم مثل العماد : قال مقاتل : كان طول أحدهم اثني عشر
ذراعا .

وفي كشف الزمخشري : لم يخلق مثلها : مثل عاد ، في البلاد
عظم أجرام وقوة ، كان طول الرجل منهم أربعمئة ذراع ، وكان يأتي
الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحى فيهلكهم .

وقد ذكر غير واحد أنه وجد في خلافة المقتدر بالله أبى الفضل
جعفر ابن المعتضد كنز بمصر فيه ضلع انسان طوله أربعة عشر
شبرا في عرض ثلاثة أشبار .

واعلم أن أعين بنى آدم ضيقة ، وقد نشأت نفوسهم في محل
صغير ، فإذا حدث القوم بما يتجاوز مقدار عقولهم أو مبلغ أجسامهم
بما ليس له عندهم أصل يقيسونه عليه الا بما يشاهدونه أو يألّفونه
عجلوا الى الارتياح فيه ، وسارعوا الى الشك في الخبر عنه ، الا
من كان معه علم وفهم ، فانه يفحص عما يبلغه من ذلك حتى يجد
دليلا على قبوله أو رده . وكيف يرد مثل هذه الأخبار وفي الصحيح
أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : خلق الله آدم طوله
ستون ذراعا في السماء ، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن .

وهكذا ، فإن مؤرخنا قد ألح على تأكيد هذا الخبر بما فيه من الخرافة - المدرك نكارتها لدى مطالعتها - موهما صحتها ، استنادا الى أقوال علماء التفسير والحديث واللغة والمؤرخين في « عاد ، قوم هود » معتقدا أن العلم والفهم ينقيان الارتياح فيه ، بل فيهما الدليل على تصديقه ، وإن لم تنطبق تلك الشواهد على طولها وتعددتها على الواقعة المراد التدليل على صحتها ، فعمود السوارى لم يكن من فعل « عاد ، قوم هود » ، وشواهد القرآن - الكريم - وصحيح الحديث ، وما عثر عليه من الجثث المحنطة - وهى سابقة لزمانهم - ليس فيها ما ينبىء بهذا الافراط الجسدى ، فضلا عن حمل الأعمدة تحت آباط الرجال .

فاذا ما تجاوزنا هذه المواضع بشواهدنا ، وجدنا أن «المقريزى» مؤرخ على درجة كبيرة من الحس التاريخى ، والادراك الواعى لما يثبته عن مصادره ، وأن جوانب النقد لديه فى « الخطط » خصبة ومتعددة ، بحيث يمكن تصنيفها الى الموضوعات الآتية :

(أ) مناقشة مصادره المكتوبة تصويبا لأخطائها :

على الرغم من أن « المقريزى » اعتمد كثيرا من المصادر فى بناء مادة كتابه ، فإنه كانت له نظرة فى تلك الأخبار المنقولة عنها ، عامل بها هذه الأخبار على أنها جزئيات تخضع للنقد - اقرارا أو تفنيدا - ولذا لم يتحرج من مناقشتها ، وكشف أوهامها ، على النحو المدرك من قوله معرفا بقرية الخندق :

« . . . وقال أبو الفرج على بن الحسين الأصبهاني فى كتاب الأغاني الكبير : عن الرياشى انه قال عن سكيئة بنت الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام : ان أبا عذرتها عبد الله بن الحسن

ابن على ، ثم خلفه عليها العثماني ، ثم مصعب بن الزبير ، ثم الأصمغ بن عبد العزيز بن مروان .

قال : وكان يتولى مصر ، فكتبت اليه سكيئة : ان مصر أرض وخمة ، فبنى لها مدينة تسمى بمدينة الأصمغ ، وبلغ عبد الملك تزوجه اياها ، فنفس بها عليه ، وكتب اليه : اختر مصر أو سكيئة ، فبعث اليه بطلاقها ، ولم يدخل بها ، ومتعها بعشرين ألف دينار .

قلت : في هذا الخبر أوهام :

منها أن الأصمغ لم يل مصر ، وإنما كان مع أبيه عبد العزيز ابن مروان .

ومنها أن الذي بناه الأصمغ لسكيئة منية الأصمغ هذه ، وليست مدينة .

ومنها أن الأصمغ لم يطلق سكيئة ، وإنما مات عنها قبل أن يدخل بها .

وقوله :

» ... وقال ابن عبد الظاهر : الخندق هو منية الأصمغ ، وهو الأصمغ بن عبد العزيز بن مروان .

قال مؤلفه رحمه الله : وقد وهم ابن عبد الظاهر ، فجعل أن الخندق احتفاره العزيز بالله ، وإنما احتفاره جواهر كما تقدم .

وقوله في معرض الحديث عن الحارة المحمودية :

» ... واشتبه أمر هذه الحارة على ابن عبد الظاهر ، فلم يعرف نسبتها لمن ، وقال : لا أعلم في الدولة المصرية من اسمه محمود إلا ركن الاسلام محمود ابن أخت الصالح بن رزيك صاحب القرية بالقرافة ، اللهم إلا أن يكون محمود بن مصال الملكي الوزير ،

فيذكر ابن القفطي أن اسمه محمود ، ومحمود صاحب المسجد بالقرافة ، وكان في زمن السرى بن الحكم قبل ذلك .

وهذا وهم آخر ، فإن ابن مصال الوزير اسمه سليهان ، وينعت بنجم الدين » .

وقوله في الحارة اليانسية :

» . . . قال ابن عبد الظاهر : اليانسية خارج باب زويلة ، أظنها منسوبة ليانس وزير الحافظ لدين الله ، الملقب بأمير الجيوش سيف الاسلام ، ويعرف بيانس الفاصد ، وكان أرمني الجنس ، وسمى الفاصد ، لأنه فصد الأمير حسن بن الحافظ ، وتركه محلولا فصاده حتى مات . وله خبر غريب في وفاته .

كان الحافظ قد نقم عليه أشياء طلب قتله بها باطنا ، فقال لطبيبه : اكفني أمره بمأكل أو مشرب ، فأبى الطبيب ذلك خوفا أن يصير عند الحافظ بهذه العين ، وربما قتله بها ، والحافظ يحثه على ذلك .

فاتفق ليانس الوزير المذكور أن مرض بزحير ، وأن الحافظ خاطب الطبيب بذلك ، فقال : يامولاي ، قد أمكنتك الفرصة ، وبلغت مقصودك ، ولو أن مولانا عاده في هذه المرضة اكتسب حسن أحداث ، وهذه المرضة ليس دواؤه منها إلا الدعة والسكون ، ولا شيء أضر عليه من الانزعاج والحركة ، فبمجرد ما سمع بقصد مولانا له يتحرك ، واهتم بلقاء مولانا وانزعج ، وفي ذلك تلاف نفسه . ففعل الخليفة ذلك ، وأطال الجلوس عنده ، فمات .

وهذا الخبر فيه أوهام ، منها أنه جعل اليانسية منسوبة ليانس الوزير ، وقد كانت اليانسية قبل يانس هذا بمدة طويلة .

ومنها أنه ادعى أن حسن بن الحافظ مات من فصاده ، وليس كذلك ، وإنما مات مسموماً .

ومنها أنه زعم أن يانس تولى فصاده ، وليس كذلك ، بل الذى تولى قتله بالسسم أبو سعيد ابن فرقة .

ومنها أن الذى نقم عليه الحافظ من الأمراء فخانه فى ابنه حسن ، إنما هو الأمير المعظم جلال الدين محمد ، المعروف بجلب زاغب .

وهذا نص الخبر ، فنزه بالك ، والله تعالى أعلم ، .

وقوله فى معرض الحديث عن حارة الحسينية :

« . . . وقال (ابن عبد الظاهر) فى موضع آخر : الحسينية منسوبة لجماعة من الأشراف الحسينيين ، كانوا فى الأيام الكاملية ، قدموا من الحجاز ، فنزلوا خارج باب النصارى بهذه الأمكنة واستطونوها ، وبنوا مدابغ صنعوا بها الأديم المشبه بالطائفى ، فسميت بالحسينية ، ثم سكنها الأجناد بعد ذلك ، وابتنوا بها هذه الأبنية العظيمة .

وهذا وهم ، فانه تقدم أن من جملة الطوائف فى الأيام الجاكمية الطائفة الحسينية ، وتقدم - فيما نقله ابن عبد الظاهر أيضا - أن الحسينية كانت عدة حارات ، والأيام الكاملية إنما كانت بعد الستمائة ، وقد كانت الحسينية قبل ذلك بما يذيف عن مائتى سنة ، فتدبر . »

وقوله فى معرض الحديث عن المدرسة السيوفية .

« . . . وقد وهم القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر ، فانه قال فى كتابه الروضة الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة : مدرسة

السيوفية ، وهى للحنفية ، وقفها عز الدين فرخشاه قريب صلاح الدين .

وما أدري كيف وقع له هذا الوهم ؟ فإن كتاب وقفها موجود قد وقفت عليه ، ولخصت منه ما ذكرته ، وفيه أن واقفها السلطان صلاح الدين ، وخطه على كتاب الوقف . . . » .

وقوله معرفا بالفسطاط :

« . . . وقال ابن سعيد فى كتابه المغرب : وأما فسطاط مصر . فإن مبانيها كانت فى القديم متصلة بمباني مدينة عين شمس ، وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن ، وعليه نزل عمرو بن العاص ، وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه .

وهذا وهم من ابن سعيد ، فإن فسطاط عمرو إنما كان مضروباً عند درب حمام شمول بخط الجامع ، هكذا هو بخط الشريف محمد ابن أسعد الجوائى النسابة ، وهو أقعد بخط مصر ، وأعرف من ابن سعيد » . . .

وقوله معرفا بجامع راشدة :

« . . . وقال ابن المتوج : هذا الجامع فيما بين دير الطين والفسطاط ، وهو مشهور - الآن - بجامع راشدة ، وليس بصحيح ، وإنما جامع راشدة كان جامعاً قديماً البناء بجوار هذا الجامع ، عمر فى زمن الفتح ، عمرته راشدة ، وهى قبيلة من القبائل ، كقبيلة تجيب ومهرة ، نزلت فى هذا المكان ، وعمروا فيه جامعاً كبيراً أدركت أنا بعضه ومحرابه . . . فذاك الجامع هو المعروف بجامع راشدة . وأما هذا الموجود - الآن - فمن عمارة الحاكم .

« . . . قال مؤلفه : هذا وهم من ابن المتوج فى موضعين :

أولهما أن راشدة عمرت هذا الجامع فى زمن فتح مصر ، وهذا

قول لم يقله أحد من مؤرخي مصر ، فهذا الكندي ، ثم القضاعى - وعليهما يعول فى معرفة خطط مصر - ومن قبلهما ابن عبد الحكم ، لم يقل أحد منهم أن رابضة عمريت زمن الفتح مسجداً ، ولا يعرف من هذا السلف - رحمهم الله - فى جند من أجناد الإمبراطور التي فتحتها الصحابة - رضى الله عنهم - أنهم أقاموا خطبتين فى مسجد واحد .

وقد حكينا ما تقدم عن المسجى - وهو مشاهد - ما نقله من بناء الجامع المذكور فى موضع الكنيسة بأمر الحاكم بأمر الله ، وتغييره لبنائه غير مرة ، وتبعه القضاعى على ذلك . وقد عد القضاعى والكندى فى كتابيهما المذكور فيهما خطط مصر ما كان بمصر من مساجد الخطبة القديمة والمحدث ، وذكرنا مساجد رابضة ، ولم يذكرنا فيها جامعاً اختبطته رابضة ، وذكرنا هذا البير ، وعين القضاعى اسمه ، وهدم وبني فى مكانه جامع رابضة ، ونأهيك بهما معرفة لآثار مصر وخططها .

والوهم الثانى الاستدلال على الوهم الأول بمشاهدة بقايا مسجد قديم ، ولا أدري كيف يستدل بذلك ؟ فمن أنكر أن يكون قد كان هناك مسجد ؟ بل المدعى أنه كان لرابضة مساجد ، لكن كونها اختطت جامعاً هذا غير صحيح .

وقال ابن أبى طى فى أخبار سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة فى كتابه تاريخ حلب :

كانت النصارى اليقوبية قد شرعوا فى انشاء كنيسة كانت قد اندرست لهم بظاهر مصر ، فى الموضع المعروف برابضة ، فنار قوم من المسلمين وهدموا ما بني النصارى ، وأنهى الى الحاكم ذلك ، وقيل له : ان النصارى ابتدأوا بناءها ، وقال النصارى : انها كانت قبل الاسلام . فأمر الحاكم حسين بن جوهر بالنظر فى حال الفريقين ،

فمما في الحكم مع النصارى ، وتبين للحاكم ذلك ، فأمر أن تبني تلك الكنيسة مصجداً جامعاً ، فبني في أسرع وقت ، وهو جامع راشدة ، وراشدة اسم الكنيسة .

« . . . وهذا - أيضاً - مخرج بأن جامع راشدة أسسه الحاكم ، وفيه وهم ، لكونه جعل راشدة اسماً للكنيسة ، وانما راشدة اسم لقبيلة من العرب نزلوا عند الفتح هناك ، فعرفت تلك البقاع بخط راشدة »^١

(ب) التثبت من صحة ما أهدته به الرواية الشفهية من أخبار :

ويمثله قوله في معرض الحديث عن دمياط :

« . . . وقد أخبرني الأمير الوزير المشنير الأستاذار يلغا السامى - رحمه الله - أنه لم ير في البلاد التي سلكها من سمرقند إلى مصر أحسن من دمياط هذه ، فظننت أنه يخلو في مدنها إلى أن شاهدها ، فإذا هي أحسن بلد وأزهر ، وفيها أقول :

سقى عهد دمياط وهيباه من عهد

فقد زلنى ذكراه وجدا على وجد

ولازالت الأنواء تسقى سخابها

ديارا حكى من حسنها جنة الخلد

(الطويل)

وقوله في معرض الحديث عن خط بين القصرين :

« . . . وقع في سنة ست وثمانين (وسبعمائة) شيء لا يكاد يصدقه اليوم من لم يدرك ذلك الزمان ، وهو أنه كان لنا من جيراننا بحارة برجوان شخص يعانى الجندية ويركب الخيل ، فبلغنى عن

غلامه أنه خرج فى ليلة من ليالى رمضان - وكان رمضان ان ذاك
فى فصل الصيف - ومعه رفيق له من غلمان الخيل ، وأنهما سرقا
من شارع بين القصرين وماً قرب منه بضعا وعشرين بطيخة خضراء ،
وبضعا وثلاثين شقفة جبن ، والشقفة أبدا من نصف رطل الى رطل ،
فما منا الا من تعجب من ذلك ، وكيف تهيأ لاثنتين فعل هذا ، وحمل
هذا القدر يحتاج الى دابتين ، الى أن قدر الله - تعالى - لى بعد
ذلك أن اجتمعت بأحد الغلامين المذكورين ، وسألته عن ذلك فاعترف
لى به . قلت : صف لى كيف عملتما . فذكر أنهما كانا يقفان على
حانوت الجبان أو مقعد البطيخى ، وكان ان ذاك يعمل من البطيخ
فى بين القصرين مرصات كثيرة جدا ، فى كل مرص ما شاء الله من
البطيخ ، قال : فاذا وقفنا قلب أحدهما بطيخة وقلب الآخر أخرى ،
فلشدة ازدحام الناس يتناول أحدهما بطيخته بخفة يد وصناعة ويقوم
فلا يظن به ، أو يقلب أحدهما ورفيقه قائم من ورائه والبيع مشغول
البال لكثرة ما عليه من المشتريين وما فى ذلك الشارع من غزير
الناس ، فيحذفها من تحته وهو جالس القرفصاء ، فاذا أحس بها
رفيقه تناولها ومر ، وكذلك كان فعلهم مع الجبانين ، وكانوا كثيرا .

(ج) تصويب الكثير من الأخطاء الشائعة فى عصره :

كنحو قوله فى رحبة باب العيد :

« . . . هذا الباب مكانه اليوم داخل درب السلامى بخط رحبة
باب العيد . وهو عقد محكم البناء ، ويعلوه قبة قد عملت مسجدا ،
وتحتها حانوت يسكنه سقاء ، ويقابله مصطبة . وأدركت العامة
وهم يسمون هذه القبة بالقاهرة ، ويزعمون أن الخليفة كان يجلس
بها ويرضى كفه ، فتأتى الناس وتقبله . وهذا غير صحيح » .

وقوله فى باب بزويلة :

« . . . والى الآن مشهور بين الناس أن من يسلك من هناك

لا تقتضى له حاجة ، ويقول بعضهم : من أجل أن هنالك آلات المنكر
(آلات الطرب من الطنابير والعيدان ونحوهما) وأهل البطالة من
المغنين والمغنيات •

• وليس الأمر كما زعم ، فإن هذا القول جار على السنة أهل
القاهرة من حين دخل المعز إليها ، قبل أن يكون هذا الموضع سوقا
للمعازف ، وموضعا لجلوس أهل المعاصى •

وقوله فى بركة الجب :

« ••• ومن الناس من يقول : جب يوسف ، وهو خطأ ، وإنما
هى أرض جب عميرة ، وعميرة هذا هو ابن قميم بن جزء التجيبى
من بنى القرناء فسببت هذه الأرض إليه ، ف قيل لها : أرض جب
عميرة ، ذكره ابن يونس » •

وقوله فى مسجد زرع النوى :

« ••• وتزعم العامة أنه بنى على قبر رجل يعرف بزرع النوى،
وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وهذا - أيضا - من افتراء العامة الكذب • فإن الذين أفردوا
أسماء الصحابة - رضى الله عنهم - كالامام أبى عبد الله محمد بن
إسماعيل البخارى فى تاريخه الكبير ، وابن أبى خيثمة ، والحافظ
أبى عبد الله بن منذر ، والحافظ أبى نعيم الأصفهائى ، والحافظ أبى
عمر بن عبد البر ، والفقيه الحافظ أبى محمد على بن أحمد بن سعيد
ابن حزم ، لم يذكر أحد منهم صحابيا يعرف بزرع النوى •

وقد ذكر فى أخبار القرافة من هذا الكتاب من قبر بمصر من
الصحابة ، وذكر فى أخبار مدينة قسطنطين مصر - أيضا - من دخل
مصر من الصحابة ، وليس هذا منهم •

وهذا ان كان هناك قبر ، فهو لأمين الأمناء ، أبى عبد الله ،
الحسن ابن طاهر الوزان » .

وقوله فى رحبة جعفر :

« . . . هذه الرحبة تجاه برجوان ، يشرف عليها شباك مسجد
تزعّم العوام أن فيه قبر جعفر الصادق ، وهو كذب مختلق وافتك
مفتري ، ما اختلف أحد من أهل العلم بالحديث والآثار والتاريخ
والسير أن جعفر بن محمد الصادق - عليه السلام - مات قبل بناء
القاهرة بدهر ، وذلك أنه مات سنة ثمان وأربعين ومائة ، والقاهرة
بلا خلاف اختطت فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، بعد موت جعفر
الصادق بنحو مائتى سنة وعشر سنين » .

والذى أظنه أن هذا موضع قبر جعفر ابن أمير الجيوش بدر
الجمالى ، المكنى بأبى محمد ، الملقب بالمظفر ، » .

وقوله فى رحبة أبى تراب :

« . . . وشبب نسبتها الى أبى تراب أن هناك مسجدا من
مساجد الخلفاء الفاطميين تزعم العامة ومن لا خلاق له أن به قبر
أبى تراب النخشبى ، وهذا القول من أبطل الباطل ، وأقبح شىء
فى الكذب ، فإن أبا تراب النخشبى هو أبو تراب عسكر بن حصين
النخشبى ، صاحب حاتم الأصم وغيره ، وهو من مشايخ الرسالة ،
ومات بالبادية ، نهشته السباع سنة خمس وأربعين ومائتين ، قبل
بناء القاهرة بنحو مائة وثلاث سنين » .

وقوله فى مسجد الفجل :

« . . . وتسميه العامة مسجد الفجل ، وتزعم أن النيل الأعظم
كان يمر بهذا المكان ، وأن الفجل كان يغسل موضع هذا المسجد .
فعرف بذلك » .

وانما جاء ذلك من قبل ضعفة خلفاء بنى العباس عندما غضوا
بمكان الفاطميين ، فانهم كانوا قد اتصلت دولتهم نحو من مائتين
وسبعين سنة ، وملكوا من بنى العباس بلاد المغرب ومصر والشام
وديار بكر والحرمين واليمن ، وخطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة •

وعجزت عساكر بنى العباس عن مقاومتهم فلانذت - حينئذ -
بتنفير الكافة عنها باشاعة الطعن فى نسبهم ، وبث ذلك عنهم
خلفاؤهم ، وأعجب به أولياؤهم وأمراء دولتهم الذين كانوا يحاربون
عساكر الفاطميين كى يدفعوا بذلك عن أنفسهم وسلطانهم معرفة العجز
عن مقاومتهم ، ودفعهم عما غلبوا عليه من ديار مصر والشام
والحرمين حتى اشتهر ذلك ببغداد •

وأسجل القضاة بتنفيهم من نسب العلويين ، وشهد بذلك من
أعلام الناس جماعة ، منهم الشريهان الرضى والمرضى ، وأبو حامد
الاسفراينى والقدرى ، فى عدة وافرة ، عندما جمعوا لذلك ، فى
سنة اثنتين وأربعمائة ، أيام القادر •

وكانت شهادة القوم فى ذلك على السماع ، لما اشتهر وعرف
بين الناس ببغداد • وأهلها انما هم شيعة بنى العباس الطاعنون
فى هذا النسب والمتطيرون من بنى على بن أبى طالب ، الفاعلون
فيهم منذ ابتداء دولتهم الأفاعيل القبيحة ، فنقل الاخباريون وأهل
التاريخ ذلك كما سمعوه ، ورووه حسب ما تلقوه من غير تدبر •

والحق من وراء هذا ، وكفاك بكتاب المعتضد من خلائف بنى
العباس حجة ، فانه كتب فى شأن عبيد الله الى ابن الأغلب بالقيروان
وابن مدرار بسجل ماسة بالقبض على عبيد الله •

فتفطن - أعزك الله - لصحة هذا الشاهد ، فان المعتضد لولا
صحة نسب عبيد الله عنده ما كتب لمن ذكرنا بالقبض عليه ، ان القوم

— حينئذ — لا يدعون لدعى البتة ، ولا يذعنون له بوجه ، وانما ينقادون لمن كان علويا ، فخاف مما وقع ، ولو كان عنده من الأدعياء لما مر له بفكر ، ولا خافه على ضيعة من ضياع الأرض .

وانما كان القوم — أعنى بنى على بن أبى طالب — تحت ترقب الخوف من بنى العباس لتطلبهم لهم فى كل وقت ، وقصدهم اياهم دائما بأنواع من العقاب ، فصاروا ما بين طريد شريد ، وبين خائف يتربق . ومع ذلك فان لشيعتهم الكثيرة المنتشرة فى أقطارهم من المحبة لهم والاقبال عليهم مالا مزيد عليه .

وتكرر قيام الرجال منهم مرة بعد مرة ، والطلب عليهم من ورائهم فلاذوا بالاختفاء ، ولم يكادوا يعرفون ، حتى تسمى محمد ابن اسماعيل الامام — جد عبيد الله المهدي — بالمكتوم ، سماه بذلك الشيعة عند اتفاقهم على اخفائه حذرا من المتغلبين عليهم .

... هذه خلاصة أخبارهم فى أنسابهم ، فتفطن ولا تغتر بزخرف القول الذى لفقوه من الطعن فيهم ، والله يهدي من يشاء .

(د) استجلاء مواطن العبرة والعظة :

كنحو قوله مترجما « الناصر محمد بن قلاوون » منشئ الجامع الجديد الناصرى :

« ... فسبحان من لا يحول ولا يزول ، هذا ملك أعظم المعمور من الأرض مات غريبا ، وغسل طريحا ، ودفن وحيدا ، ان فى ذلك لعبرة لأولى الألباب » .

وقوله فى المدرسة الآقبغاوية ، مترجما « علاء الدين » آقبغا بن عبد الواحد « ، وكان على جانب كبير من الظلم والطمع والتعاضم وقد قبض عليه من دمشق ، وأرسل الى الاسكندرية مقيدا ليقتل بها :

« ٠٠٠ ومن غريب ما يحكى عن طمع آقبغا ، أن مشد الحاشية دخل عليه ، وفى اصبعه خاتم بفص أحمر من زجاج له بريق . فقال له آقبغا : آيش هو هذا الخاتم ؟ فأخذ يعظمه ، وذكر أنه من تركة أبيه ، فقال : بكم حسبوه عليك ؟ فقال : بأربعمائة درهم ، فقال : أرنيه . فناوله إياه ، فأخذه وتشاغل عنه ساعة ، ثم قال له : والله ، فضيحة أن نأخذ خاتمك ، ولكن خذ أنت وهات ثمنه ! ودفعه إليه ، وألزمه باحضار الأربعمائة درهم ، فما وسعه الا أن أحضرها إليه . فعاقبه الله بذهاب ماله وغيره ، وموته غريبا » .

وقوله فى سوق الدجاجين :

« ٠٠٠ وكان يوجد فى كل وقت بهذه الحوانيت من الأقفاص التى بها هذه العصافير آلاف ، ويبيع بهذا السوق عدة أنواع من الطير ، وفى كل جمعة يباع فيه بكرة أصناف القمارى والهزارات والشحارير والبيغاء والسمان » .

وكنا نسمع أن من السمان ما يبلغ ثمنه المئات من الدراهم ، وكذلك بقية طيور المسموع ، يبلغ الواحد منها نحو الألف . لتنافس الناس فيها ، وتوفر عدد المعتنين بها ، وكان يقال لهم : غواة طيور المسموع ، سيما الطواشية ، فانه كان يبلغ بهم الترف أن يقتنوا السمان ، ويتأنقوا فى أقفاصه ، ويتغالوا فى أثمائه ، حتى بلغنا أنه بيع طائر من السمان بألف درهم فضة ، عنها - يومئذ - نحو الخمسين ديناراً من الذهب ، كل ذلك لأعجابهم بصوته ، وكان صوته على وزن قول القائل : طقطلق وعوع ، وكلما كثر صياحه كانت المغالاة فى ثمنه .

فاعتبر بما قصصته عليه حال الترف الذى كان فيه أهل مصر ، ولا تتخذ حكاية ذلك هزواً تسخر به ، فتكون ممن لا تنفعه المواقظ ، بل يمر بالآيات معرضاً غافلاً ، فتحرم الخير » .

(هـ) الكشف عن عاطفته :

وهى عاطفة قوية ، مجلة لموطنه مصر ، متحسرة فى مواضع ،
حزينة فى أخرى ، باكية فى غيرها ، لما يصيبها من خراب أو
اتضاع .

ومن ذلك تحسره لما درس من عادات مصر ورسومها ، على
النحو المدرك من قوله فى الحمام الرسائلى :

« ٠٠٠ قال مؤلفه رحمه الله : قد بطل الحمام من سائر المملكة
الا ما ينقل من قطيا الى بلبيس ، ومن بلبيس الى قلعة الجبل ،
ولا تسئل بعد ذلك عن شيء ، وكأنى بهذا القدر وقد ذهب ، ولا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم » .

وقوله فى المدرسة الصحابية البهائية :

« ٠٠٠ وكانت من أجل مدارس الدنيا ، وأعظم مدرسة بمصر
٠٠٠ ثم تلاشى أمرها حتى هدمت ، وسيجهل عن قرب موضعها ،
والله عاقبة الأمور » .

وحزنه لما حل بسوق بين القصرين على عهده ، كما هو مصرح
به فى قوله :

« ٠٠٠ هذا السوق أعظم أسواق الدنيا فيما بلغنا ، وكان فى
الدولة الفاطمية براحا واسعا يقف فيه عشرة آلاف ما بين فارس
وراجل ، ثم لما زالت الدولة ابتدل وصار سوقا يعجز الواصف عن
حكاية ما كان فيه - وقد تقدم ذكره فى الخطط من هذا الكتاب -
وفيه الى الآن بقية تحزننى رؤيتها ان صارت الى هذه القلة ، » .

وبكائه لما حل بكوم الريش من خراب ، بعد أن كانت بلدة عامرة
كما هو مدرك من قوله :

« ٠٠٠ وما برحت على ذلك الى أن حدثت المذن من سنة ست
وثمانمائة ، فطرقها أنواع الرزايا حتى صارت بلاقع ، وجهلت طرقها ،
وتغيرت معاهدها ، ونزل بها من الوحشة ما أبكاني ، وأنشدت في
رؤيتها عندما شاهدها خرابا :

قفرا كأنك لم تكن تلهو بهـا

في نعمة وأوانس أتراب

« وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة ، ان أخذه اليم
شديد » (١٠٢ : هود) » .

(و) النعت بالحسن أو بالشناعة :

من ذلك قوله فى جامع شيخو :

« ٠٠٠ وجامعه هذا وخانقاهه التى بخط الصليبية لم يعمر
مثلها قبلهما ، ولا عمل فى الدولة التركية مثل أوقافهما ، وحسن
ترتيب المعالم بهما » .

وقوله فى معرض حديثه عن كنائس النصارى ، وقد حدث
ما نسميه اليوم بالمفتنة الطائفية ، التى راح ضحيتها العديد من
الكنائس والمساجد ، وغيرهما :

« ٠٠٠ ولم يسمع بأبشع من هذه الكائنة ، فانه احترق على
يد النصارى بالقاهرة ربع فى سوق الشوائين ، وزقاق العريسة بحارة
الديلم ، وستة عشر بيتا بجوار بيت كريم الدين ، وعدة أماكن بحارة
الروم ، ودار بهادر ، بجوار المشهد الحسينى ، وأماكن باصطبل
الطارمة وبدرب العسل ، وقصر أمير سلاح ، وقصر سلار بخط بين
القصرين ، وقصر بيسرى ، وخان الحجر والجمالون ، وقيسارية
الأدم ، ودار بيبرس بحارة الصالحية ، ودار ابن المغربى بحارة

زويلة ، وعدة أماكن بخط بئر الوطاويط وبالحكر وفي قلعة الجبل ،
وفي كثير من الجوامع والمساجد الى غير ذلك من الأماكن بمصر
والقاهرة ، يطول عددها .

وخرب من الكنائس كنيسة بخرائب التتر من قلعة الجبل ،
وكنيسة الزهرى فى الموضع الذى فيه - الآن - البركة الناصرية ،
وكنيسة الحمراء ، وكنيسة بجوار السبع سقايات ، تعرف بكنيسة
البنات ، وكنيسة أبى المنيا ، وكنيسة الفهادين بالقاهرة ، وكنيسة
بحارة الروم ، وكنيسة بالبندقانيين ، وكنيستان بحارة زويلة
وكنيسة بخزانة البنود ، وكنيسة بالخدق ، وأربع كنائس شمر
الاسكندرية ، وكنيستان بمدينة دمنهور الوحش ، وأربع كنائس
بالغربية ، وثلاث كنائس بالشرقية ، وست كنائس بالبهنساوية
وبأسيوط ومنفلوط ومنية الخصيب ثمان كنائس ، وبقوص وأسيوط
أحدى عشرة كنيسة ، وبالأطفيحية كنيسة ، وبسوق وردان من مدينة
مصر وبالمصاصة وقصر الشمع من مصر ثمان كنائس ، وخرب من
الديارات شىء كثير ، وأقام دير البغل ودير شبران مدة ليس فيها
أحد .

وكانت هذه الخطوب الجلية فى مدة يسيرة ، قلما يقع مثله
فى الأزمان المتطاولة ، هلك فيها من الأنفس ، وتلف فيها من الأموال
وخرب من الأماكن ، مالا يمكن وصفه لكثرتة ، والله عاقبة الأمور .

وهكذا ، فإن مؤرخنا قابل خسائر المسلمين بخسائر النصراني
معددا بأمانة لكل منها ، وقد اعتبر الجميع « خطوبا جلية » مما
يشير الى أن الشناعة لاتصاحب جانبا دون غيره ، وفى هذا ما يشير
الى التزام دينى مدرك لأهمية الخطب الجلل ، المستهدف للطمع
معا ، وبالتالي يشير الى نزاهة صاحبه وعدم تعصبه .

(٢٠) نقد أحوال مجتمعه :

من ذلك غمزه أمراء الممالك في عصره وأربابهم ، من خلال حديثه عن رتب أمراء الفاطميين ، قائلا :

« ٠٠٠ وكانت الدولة لا تسند ذلك (الرتب والوظائف) الا الى أرباب الشجاعة والنجدة ، ولهذا دخل فيه أخلاط الناس من الأرمن والروم وغيرهم . وعلى ذلك كان عملهم لا للزينة والتباهى » .

واشارته الى اتضاع رتب الأمراء في عصره وتلاشى أحوالهم ، قائلا :

« ٠٠٠ وقد اختلت - الآن - الرسوم ، واتضعت الرتب ، وتلاشت الأحوال ، وعادت أسماء لا معنى لها ، وخيالات حاصلاها عدم . والله يفعل ما يشاء » .

ومقابلته بين حكمين قضائيين ، سالف ومعاصر ، للدلالة على تساهل القضاة في عصره وتناقضهم ، في معرض حديثه عن « جامع الحاكم » وقد عقد مجلس للحكم في صحة وقف قطعة أرض في طنطا على مصالح هذا الجامع بحضور « الناصر حسن » لرغبته في ابطال الحكم بصحة الوقف ، وقد اختلف المفتون والقضاة ، قائلا :

« ٠٠٠ انظر تثبت القضاة وقايس بين هذه الواقعة وما كان من تثبت القاضي تاج الدين المناوى - وهو يومئذ خليفة الحكم - ومصادمته الجبال ، وبين ما ستقف عليه من التساهل والتناقض في خبر أوقاف مدرسة جمال الدين يوسف الأستادار ، وميز بعقلك فرق ما بين القضيتين » .

وهذه الأرض التي ذكرت هي - الآن - بيد أولاد الهرماس ، بحكم الكتاب الذى حاول السلطان نقضه فلم يوافق المناوى ، والجامع

— الآن — متهدم ، وسقوفه كلها ما من زمن الا ويسقط منها الشيء
بعد الشيء فلا يعاد » .

وانتقاده تصرفات العامة ، فيما تعلق بالتوسل الى الله بأرباب
المشاهد والقبور ، قائلاً في معرض حديثه عن رحبة أبي تراب :

« . . . وبالله ، ان الفتنة بهذا المكان ، وبالمكان الآخر من حارة
برجوان ، الذى يعرف بجعفر الصادق لعظيمة ، فانهما صارا
كالأنصاب التى كان يتخذها مشركوا العرب ، يلجأ اليها سفهاء
العامة والنساء فى أوقات الشدائد ، وينزلون بهذين الموضعين كربهم
وشدائدهم التى لا ينزلها العبد الا بالله ربه ، ويسألون فى هذين
الموضعين ما لا يقدر عليه الا الله — تعالى — وحده من وفاء الدين
من غير جهة معينة ، وطلب الولد ، ونحو ذلك ، ويحملون النذور
من الزيت وغيره اليهما ، ظناً أن ذلك ينجيهم من الكاره ، ويجلب
اليهم المنافع .

ولعمري ان هى الاكرة خاسرة ، والله الحمد على السلامة . .
وسببه من يتعاطون الحشيش ، منقرا منه ، معددا لآثاره السيئة
على مجتمعه ، قائلاً :

« . . . فلما كان فى سنة خمس عشرة وثمانمائة شنع التجاهر
بالشجرة الملعونة ، فظهر أمرها واشتهر أكلها ، وارتفع الاحتشام
من الكلام بها ، حتى لقد كادت أن تكون من تحف المترفين .

وبهذا السبب غلبت السفالة على الأخلاق ، وارتفع ستر الحياء
والحشمة من بين الناس ، وجهروا بالسوء من القول ، وتفاخروا
بالمعائب ، وانحطوا عن كل شرف وقصيلة ، وتحلوا بكل ذميمة من
الأخلاق ورذيلة ، فلولوا الشكل لم تقض لهم بالانسانية ، ولولا الحس
لما حكمت عليهم بالحيوانية ، وقد بدا المسخ فى السمائل والأخلاق ،

المنذر بظهوره على الصور والذوات ، عافانا الله - تبارك وتعالى -
من بلائه » .

ونقده لحال وطبيعة السجون فى عصره ، نافيا عنها الشرعية ،
بقوله :

« ٠٠٠ وأما الحبس الذى هو - الآن - فإنه لايجوز عند أحد
من المسلمين ، وذلك أنه يجمع الجمع الكثير فى موضع يضيق عنهم ،
غير متمكنين من الوضوء والصلاة ، وقد يرى بعضهم عورة بعض
ويؤذيهم الحر فى الصيف والبرد فى الشتاء ، وربما يحبس أحدهم
السنة وأكثر ولا جدة له ، وإن أصل حبسه على ضمان . وأما سجون
الولاية فلا يوصف بما يحل بأهلها من البلاء واشتهر أمرهم أنهم
يخرجون مع الأعوان فى الحديد حتى يشحنوا وهم يصرخون فى
الطرقات (من) الجوع ، فما تصدق به عليهم لاينالهم منه الا ما
يدخل بطونهم ، وجميع ما يجمع لهم من صدقات الناس يأخذه السجنان
وأعوان الوالى ، ومن لم يرضوا بالغوا فى عقوبته ، وهم مع
ذلك يستعملون فى الحفر فى العماثر ونحو ذلك من الأعمال الشاقة ،
والأعوان تستحثهم ، فإذا انقضى عملهم ردوا الى السجن فى
حديدهم من غير أن يطعموا شيئا ، الى غير ذلك مما لا يسع حكايته
هنا ، » .

(ح) استقراء التاريخ للكشف عن العامل الرئيس فى توجيه
حوادثه :

وشواهد كثيرة ، منها قوله فى ابتدال القاهرة بعد سقوط
الخلافة الفاطمية :

« ٠٠٠ وصارت القاهرة دار خلافة ينزلها الخليفة بحرمة
وخواصه الى أن انقرضت الدولة الفاطمية . . فصارت القاهرة مدينة

سكنى ، بعدما كانت حصننا يعتقل به ، ودار خلافة يلتجأ اليها .
فهانت بعد العز ، وابتذلت بعد الاحترام .

وهذا شأن الملوك ، مازالوا يطمسون آثار من قبلهم ، ويميتون
ذكر أعدائهم ، فقد هدموا بذلك السبب أكثر المدن والحصون ، وكذلك
كانوا أيام العجم وفي جاهلية العرب ، وهم على ذلك فى أيام الاسلام ،
فقد هدم عثمان بن عفان صومعة غمدان ، وهدم الآطام التى كانت
بالمدينة ، وقد هدم زياد كل قصر ومصنع لابن عامر ، وقد هدم بنو
العباس مدن الشام لبنى مروان .

واذا تأملت البقاع وجديتها
تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

وتعليله لخراب ودثور أكثر أحياء مصر ، قائلا :

« . . . واتصلت عمائر مصر والقاهرة ، فصارا بلدا واحدا ،
يشتمل على البساتين والمناظر والقصور والدور والرباع والقياسر
والأسواق والفنادق والخانات والحمامات والشارع والأزقة والدروب
والخطط والحارات والأحكار والمساجد والجوامع والزوايا والربط
والمشاهد والمدارس والترب والخوانيت والمطابخ والشئون والبرك
والخلجان والجزائر والرياض والمتنزهات ، متصلا جميع ذلك بعضه
ببعض من مسجد تبر الى بساتين الوزير قبلى بركة الحبش ، ومن
شاطيء النيل بالجيزة الى المقطم . ومازالت هذه الأماكن فى كثرة
العمارة وزيادة العدد تضيق بأهلها لكثرتهم ، وتختال عجا بهم ،
لما بالغوا فى تحسينها ، وتأنقوا فى جودتها وتنميقها ، الى أن حدث
القضاء الكبير فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، فخلا كثير من هذه
المواضع ، وبقي كثير أدركناه .

فلما كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة ، وقصر جرى
النيل فى هذه ، وخربت البلاد الشامية بدخول الطاغية تيمور لك

وتحريقها وقتل أهلها ، وارتفاع أسعار الديار المصرية ، وكثرة الغلاء فيها وطول مدته ، وتلافى النقود المتعامل بها وفسادها ، وكثرة الحروب والفتن بين أهل الدولة ، وخراب الصعيد وجلاء أهله عنه ، وتداعى أسفل أرض مصر من البلاد الشرقية والغربية الى الخراب ، واتضاع أمور ملوك مصر ، وسوء حال الرعية ، واستيلاء الفقر والحاجة والمسكنة على الناس ، وكثرة تنوع المظالم الحادثة من أرباب الدولة بمصادرة الجمهور ، وتتبّع أرباب الأموال ، واحتجاب ما بأيديهم من المال بالقوة والقهر والغلبة ، وطرح البضائع مما يتجر فيه السلطان وأصحابه على التجار والباعة بأعلى الأثمان ، الى غير ذلك مما لا يتسع لأحد ضبطه ، ولا تسع الأوراق حكايته ، كثر الخراب (٢٠٤) بالأمّاكن التى تقدم ذكرها ، وعم سائرهما ، وصارت كيمانا وخرائب موحشة مقفرة يأويها اليوم والرخم ، أو مستهدمة واقعة أو آيلة الى السقوط والدثور . سنة الله التى قد خلت فى عباده ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وهكذا ، فإنه علل لهذه الظاهرة بعدة حوادث داخلية وخارجية ، طبيعية وبشرية ، مجتمعة ، ولم يكتف بالتعليل لها بعامل واحد ، موجه بالعاطفة الدينية كما فعل كثير من معاصريه من المؤرخين .

ويلحق بذلك المقابلة بين حال الممالك فى الزمن الأول وحالهم فى زمنه للكشف عن العامل الرئيسى فى اختلال أمرهم ، على النحو المدرك من قوله :

(٢٠٤) تظهر هذه الشذرات النقدية الواردة فى التعليل لخراب مصر ، أن مؤرخنا قد عدل عن جعلها فصلا « سابعا » مستقلا يرد فى آخر الخطط ، وبالتالي فإن الخطط قد وصلتنا تامة ، وقرينة ذلك أن ما أشير اليه فى مقدمة الكتاب من جعل وصف « قلعة الجبل » قسما سادسا ، قد عدل عنه ، بحيث أتت مادته متخللة مادة القسم الخامس .

» ٠٠٠ وكانت للمماليك بهذه الطباق عادة جميلة : أولها أنه إذا قدم بالملوك تاجره عرضه على السلطان ، ونزله في طبقة جنسه ، وسلمه لطواشى برسم الكتابة • فأول ما يبدأ به تعلمه ما يحتاج اليه من القرآن الكريم ، وكانت كل طائفة لها ققيه يحضر اليها كل يوم ، ويأخذ في تعليمها كتاب الله - تعالى - ومعرفة الخط ، والتمرن بآداب الشريعة ، وملازمة الصلوات والأذكار •

وكان الرسم ان ذاك أن لا تجلب التجار الا المماليك الصغار . فإذا شب الواحد من المماليك ، علمه الفقيه شيئاً من الفقه ، وأقراده فيه مقدمة ، فإذا صار الى سن البلوغ ، أخذ في تعليمه أنواع الحرب من رمى السهام ، ولعب الرمح ونحو ذلك ، فيتسلم كل طائفة معلم حتى يبلغ الغاية في معرفة ما يحتاج اليه ، وإذا ركبوا الى لعب الرمح أو رمى النشاب ، لا يجسر جندي ولا أمير أن يحدثهم أو يدنو منهم •

فينقل اذن الى الخدمة ، وينتقل في أطوارها رتبة بعد رتبة الى أن يصير من الأمراء ، فلا يبلغ هذه الرتبة الا وقد تهذبت أخلاقه ، وكثرت آدابه ، وامتزج تعظيم الاسلام وأهله بقلبه ، واشتد ساعده في رماية النشاب ، وحسن لعبه بالرمح ، ومرن على ركوب الخيل ، ومنهم من يصير في رتبة فقيه عارف ، أو أديب شاعر ، أو حاسب ماهر •

هذا ، ولهم أزيمة من الخدم ، وأكابر من رءوس النوب ينفصون عن حال الواحد منهم الفحص الشافى ، ويؤاخذونه أشد المؤاخذة ، ويناقشونه على حركاته وسكناته ، فإن عثر أحد من مؤدبيه - الذى يعلمه القرآن ، أو الطواشى الذى هو مسلم اليه ، أو رأس النوبة الذى هو حاكم عليه - على أنه اقترب ذنباً أو أخل برسم ، أو ترك

أدبا من آداب الدين أو الدنيا ، قابله على ذلك بعقوبة مؤلمة شديدة
بقدر جرمه •

••• فلذلك كانوا سادة يديرون الممالك ، وقادة يجاهدون في
سبيل الله ، وأهل سياسة يبالغون في اظهار الجميل ، ويرعون من
جار أو تعدى •

وكانت لهم الادارات الكثيرة من اللحوم والأطعمة والحلاوات
والفواكه والكسوات الفاخرة ، والمعالي من الذهب والفضة ، بحيث
تتسع أحوال غلمانهم ، ويفيض عطاؤهم على من قصدهم •

ثم لما كانت أيام الظاهر برقوق ، راعى الحال في ذلك بعض
الشيء الى أن زالت دولته في سنة احدى وتسعين وسبعمائة ، فلما
عاد الى المملكة رخص للممالك في سكنى القاهرة وفي التزوج ،
فنزّلوا من الطباق من القلعة ، ونكحوا نساء أهل المدينة ، وأخلدوا
الى البطالة ، ونسوا تلك العوائد •

ثم تلاشت الأحوال في أيام الناصر فرج بن برقوق ، وانقطعت
الرواتب من اللحوم وغيرها ، حتى عن ممالك الطباق مع قلة عددهم،
ورتب لكل واحد منهم في اليوم مبلغ عشرة دراهم من الفلوس ،
فصار غذاؤهم في الغالب الفول المصلوق ، عجزا عن شراء اللحم
وغيره •

هذا ، وبقي الجلب من الممالك انما هم الرجال الذين كانوا في
بلادهم مابين ملاح سفينة ، ووقاد في تنور خباز ، ومحول ماء في
غيط أشجار ، ونحو ذلك • واستقر رأى الناصر على أن تسمي
الممالك للفقيه يتلفهم ، بل يتركون وشئونهم •

فبدلت الأرض غير الأرض ، وصارت الممالك السلطانية أرذل
الناس وأدناهم ، وأخسهم قدرا ، وأشحهم نفسا ، وأجهلهم بأمر

الدنيا ، وأكثرهم اعراضاً عن الدين • ما فيهم الا من هو أزننى من
قرء ، والص من قارة ، وأفسد من نئب ، لا جرم أن خربت أرض
مصر والشام - من حيث يصب النيل الى مجرى الفرات - بسوء
إبالة الحكام ، وشدة عبث الولاة ، وسوء تصرف أولى الأمر ، حتى
انه ما من شهر الا ويظهر من الخلل العام ما لا يتدارك فرطه •

وهكذا ، فان مؤرخنا - كذلك - قد عمد فى هذا الموضع الى
البحث عن الأسباب الرئيسية فى تبدل حال الممالك السلطانية على
عصره ، محللاً وناقداً ، متبعاً ذلك بما يترتب على سوء حالهم من
تخريب البلاد واختلال أمورها •

ويواكب ذلك - أيضاً - قوله معللاً لتأثر الممالك بالانظم المغولية
ثم انتقاده لحجابهم ، وقد تقلدوا وظيفة القضاء :

« ••• فلما كثرت وقائع التتر فى بلاد المشرق والشمال وبلاد
القبجاق ، وأسروا كثيراً منهم وباعوهم ، تنقلوا فى الأقطار •••
ثم كانت لقطز معهم الواقعة المشهورة على عين جالوت ، وهزم التتار
وأسر منهم خلقاً كثيراً صاروا بمصر والشام •

ثم كثرت الوافدية فى أيام الملك الظاهر بيبرس ، وملؤا مصر
والشام ، وخطب للملك بركة بن يوشى بن جنكز خان على منابر
مصر والشام والحرمين ، فغصت أرض مصر والشام بطوائف المغل ،
وانتشرت عاداتهم بها وطوائفهم • هذا وملوك مصر وأمرأؤها
وعساكرها قد ملئت قلوبهم رعباً من جنكز خان وبنيه ، وامتزج
بلحمهم ودمهم مهابتهم وتعظيمهم •

وكانوا انما ربوا بدار الاسلام ولقنوا القرآن ، وعرفوا أحكام
الملة المحمدية ، فجمعوا بين الحق والباطل ، وضموا الجيد الى
الردىء ، وفوضوا لقاضى القضاة كل ما يتعلق بالأمور الدينية

من الصلاة والصوم والزكاة والحج ، وناطوا به أمر الأوقاف والأيتام ، وجعلوا اليه النظر فى الأقضية الشرعية ، كداعى الزوجين ، وأرباب الديون ونحو ذلك .

واحتاجوا فى ذات أنفسهم الى الرجوع لعادة جنكز خان والاقتراء بحكم الياسة .

فلذلك نصبوا الحاجب ليقضى بينهم فيما اختلفوا فيه من عوائدهم ، والأخذ على يد قويهم ، وانصاف الضعيف منه ، على مقتضى ما فى الياسة ، وجعلوا اليه مع ذلك النظر فى قضايا الدواوين السلطانية ، عند الاختلاف فى أمور الاقطاعات ، لينفذ ما استقرت عليه أوضاع الدواوين وقواعد الحساب ، وكانت من أجل القواعد وأفضلها ، حتى تحكم القبط فى الأموال وخراج الأراضى فشرعوا فى الديوان مالم يأذن به الله تعالى ، ليصير لهم ذلك سبيلا الى أكل مال الله - تعالى - بغير حقه . وكان مع ذلك يحتاج الحاجب الى مراجعة النائب أو السلطان فى معظم الأمور .

هذا ، وستر الحياء - يومئذ - مسدول ، وظل العدل صاف ، وجانب الشريعة محترم ، وناموس الحشمة مهاب ، فلايكاد أحد أن يزيغ عن الحق ، ولا يخرج عن قضية الحياء ، ان لم يكن له وازع من دين ، كان له ناه من عقل ، ثم تقلص ظل العدل ، وسفرت أوجه الفجور ، وكشر الجور أنيابه ، وقلت المبالاة ، وذهب الحياء والحشمة من الناس ، حتى فعل من شاء ما شاء ، وتعدت منذ عهد المحن التى كانت فى سنة ست وثمانمئة الحجاب ، وهتكوا الحرمة ، وتحكموا بالجور تحكما خفى معه نور الهدى ، وتسلطوا على الناس مقتا من الله لأهل مصر وعقوبة لهم بما كسبت أيديهم ، ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون .

ومن الشواهد الدالة على استقرار التاريخ لديه للكشف عن العامل الرئيس في توجيه حوادثه ، قوله في انتقال الملك عن مؤسسى الدول الى غير اولادهم :

» ٠٠٠ قال ابن عبد الظاهر : وسمعت حكاية تحكى عن صلاح الدين أنه طلعها (القلعة) ومعه أخوه الملك العادل ، فلما رآها التفت الى أخيه وقال : ياسيف الدين ، قد بنيت هذه القلعة لأولادك !

فقال : ياخـوند ، من الله عليك أنت وأولادك وأولاد أولادك بالدنيا .

فقال : ما فهمت ما قلت لك . أنا نجيب ما يأتى لى أولاد نجباء ، وأنت غير نجيب فأولادك يكونون نجباء . فسكت .

قال مؤلفه رحمه الله : وهذا الذى ذكره صلاح الدين يوسف ، من انتقال الملك عنه الى أخيه وأولاد أخيه ، ليس هو خاصا بدولته بل اعتبر ذلك فى الدول تجد الأمر ينتقل عن أولاد القائم بالدولة الى بعض أقاربه :

هذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو القائم بالملة الاسلامية ، ولما توفى - صلى الله عليه وسلم - انتقل أمر القيام بالملة الاسلامية بعده الى أبى بكر الصديق - رضى الله عنه . ثم لما انتقل الأمر بعد الخلفاء الراشدين - رضى الله عنهم - الى بنى أمية ، كان القائم بالدولة الأموية معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية ، فلم تفلح أولاده ، وصارت الخلافة الى مروان بن الحكم بن العاصى ابن أمية ، فتوارثها بنو مروان حتى انقضت دولتهم بقيام بنى العباس - رضى الله عنه - فكان أول من قام من بنى العباس عبد الله بن محمد السفاح ، ولما مات انتقلت الخلافة من بعده الى أخيه أبى جعفر عبد الله بن محمد المنصور ، واستقرت فى بنيه الى أن انقرضت الدولة العباسية من بغداد .

وكذا وقع في دول العجم - أيضا - فأول ملوك بني بويه
عماد الدين أبو علي الحسن بن بويه ، والقائم من بعده في السلطنة
أخوه حسن بن بويه وأول ملوك بني سلجوق طغريل ، والقائم من
بعده في السلطنة ابن أخيه ألب أرسلان بن داود بن ميكال بن
سلجوق .

وأول قائم بدولة بني أيوب السلطان صلاح الدين يوسف بن
أيوب ، ولما مات اختلف أولاده ، فانتقل ملك مصر والشام وديار بكر
والحجاز واليمن إلى أخيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، واستمر
فيهم إلى أن انقرضت الدولة الأيوبية ، فقام بمملكة مصر المماليك
الأتراك .

وأول من قام منهم بمصر الملك المعز أيبك ، فلما مات لم يفلح
ابنه علي ، فصارت المملكة إلى قطز .

وأول من قام بالدولة الجركسية الملك الظاهر برقوق ، وانتقلت
المملكة من بعد ابنه الملك الناصر فرج إلى الملك المؤيد شمس
المحمودي الظاهري .

وقد جمعت في هذا فصلا كبيرا ، وقلما تجد الأمر بخلاف ما قلته
لك ، والله عاقبة الأمور .

وقوله وقد رجح فكره على فكر الفقهاء ، مستهجنا تخرجهم
من الصلاة في المارستان المنصوري لإخراج أهل موضعه منه كرها ،
والاعتساف في بنيانه :

« ٠٠٠ قال مؤلفه : ان كان التخرج من الصلاة لأجل أخذ الدار
القطبية من أهلها بخير رضاهم ، وإخراجهم منها بعسف ، واستعمال
إنقاض القلعة بالروضة ، فلعمري ما تملك بني أيوب الدار القطبية ،
وبناؤهم قلعة الروضة ، وإخراجهم أهل القصور من قصورهم التي

كانت بالقاهرة ، واخراج سكان الروضة من مساكنهم الا كاخذ
قلاوون الدار المذكورة وبنائها بما هدمه من القلعة المذكورة ، واخراج
مؤنسة وعيالها من الدار القطبية .

وأنت ان أمعنت النظر ، وعرفت ما جرى ، تبين لك أن ما القوم
الا سارق من سارق ، وغاصب من غاصب .

وهكذا ، فان « المقریزی » كان واسع الأفق ، لا تهمه ظواهر
الأمور بقدر ما يعنيه التوغل الى أعماقها ، تحليلها وتفسيرها .

(ط) تمجيد مصر ، والتدليل على عظمتها :

وشواهد ذلك كثيرة ، منها قوله مستدلا من سعة مال أبي
البركات ابن أبي الليث متولى ديوان المجلس الفاطمي على عظم شأن
مصر في ظل الخلافة الفاطمية ، قائلا :

« . . . فانظر - أعزك الله - الى سعة أحوال الدولة من معلوم
رجل واحد من كتاب ذواوئنها ، يتبين لك - بما تقدم ذكره في هذه
المرافعة - من عظم الشأن وكثرة العطاء ، ما يكون دليلا على باقى
أحوال الدولة » .

وقوله معقبا على ما أثبت من امتلاك « المكين » متولى قضاء
الاسكندرية اثناء قيمته خمسمائة دينار ، جعل لحفظ دهن الشمع :

« . . . فانظر - رحمك الله - الى من يكون دهن الشمع عنده
في اثناء قيمته خمسمائة دينار ، ودهن الشمع لا يكاد أكثر الناس يحتاج
اليه البتة ، فماذا تكون ثيابه وخلى نساءه وفرش داره وغير ذلك من
التجملات » .

وهذا انما هو حال قاضى الاسكندرية ، ومن قاضى الاسكندرية

بالنسبة الى اعيان الدولة بالحضرة ، وما نسبة اعيان الدولة - وان عظمت أحوالهم - الى أمراء الخلافة وأبهتها الا يسير حقير » .

وليس هذا اعزازا للدولة الفاطمية التي تردد في المصادر الحديثة أو في بعضها تعصب المقریزی لها - وقد ادعى انتسابه اليها - بقدر ما هو اعزاز لمصر ، وقد كان حكم هذه الدولة قطعة من تاريخها ، ودليله تمجيد مصر والتدليل على عظمتها من خلال قوله في الفسطاط على عهد الطولونيين :

« . . . قال ابن المتوج . . : وأخبرني بعض المشايخ العدول عن والده - وكان من أكابر الصلحاء - أنه قال : عددت من مسجد عبد الله الى جامع ابن طولون ثلاثمائة وتسعين قدر حمص مصلوق بقصبة هذا السوق بالأرض ، سوى المقاعد والحوانيت التي بها الحمص .

فتأمل - اعزك الله - ما في هذا الخبر مما يدل على عظمة مصر ، فإن هذا السوق كان خارج مدينة الفسطاط ، وموضعه اليوم الفضاء الذي بين كوم الجارح وبين جامع ابن طولون .

ومن المعروف أن الأسواق التي تكون بداخل المدينة أعظم من الأسواق التي هي خارجها ، ومع ذلك ففي هذا السوق من صنوف واحد من المأكّل هذا القدر ، فكم ترى يكون جملة ما فيه من سائر أصناف المأكّل ، وقد كان ان ذاك بمصر عشرة أسواق كلها أو أكثرها أجل من هذا السوق !؟ .

وقوله معقبا على ما أورده « ابن زولاق » بشأن سعة عيش أحد كتاب الخراج في الدولة الطولونية :

« . . . فتأمل ما اشتمل عليه هذا الخبر من سعة حال كاتب من كتاب مصر ، كيف كان له في قرية واحدة هذا القدر من صنوف القمح ،

وكيف صار مما يفضل عنه حتى يجعله ضيافة ، وكيف لم يعبا
بأربعمائة دينار حتى وهبها لدقاق قمح • وما ذاك الا من كثرة المعاش
وقس عليه باقى الأحوال •
وقوله :

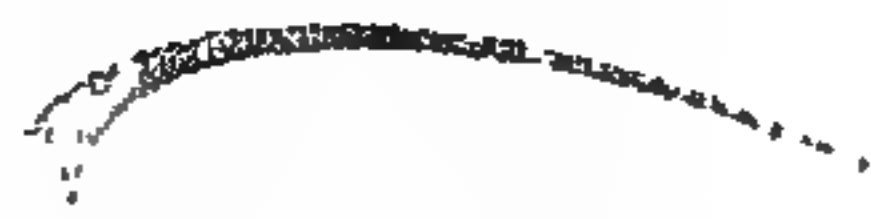
» ••• فانظر ما تضمنته أخبار المادرائى ، وقس عليها بقية
أحوال مصر ، فما كان سوى كاتب الخراج ، وهذه أمواله كما قد
رأيت •

وهكذا ، فان الغاية هى تلمس عظمة مصر ، بالتدليل على
عظمة الدول الحاكمة فيها ، وليس التعصب لدولة من الدول لادعاء
نسب أو غيره •

صدر من هذه السلسلة :

- ١ - مصطفى كامل فى محكمة التاريخ
د • عبد العظيم رمضان
- ٢ - على ماهر
اعداد : رشوان محمود جاب الله
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة
اعداد : عبد السلام عبد الحليم عامر
- ٤ - التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة
د • محمد نعمان جلال
- ٥ - غارات أوربا على الشواطىء المصرية فى العصور
الوسطى
عطية عبد السميع
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر ج ١
لمعى المطيعى

- ٧ - صلاح الدين الأيوبي
د • عبد المتعم ماجد
- ٨ - رؤية السجبرتي لازمة الحياة الفكرية
د • علي بركات
- ٩ - صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل
د • محمد أنيس
- ١٠ - توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية
محمود فوزي
- ١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية
شكري القاضي
- ١٢ - هدى شعراوي وعصر التنوير
د • نبيل راغب
- ١٣ - أكذوبة الاستعمار المصري للسودان
د • عيد العظيم رمضان
- ١٤ - مصر في عصر الولاة
د • سيدة اسماعيل كاشف
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ الإسلامي
د • علي حسن الخربوطلي
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعي في مصر
د • حلمي أحمد شلبي



- ١٧ - القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى
د • محمد قصر فرحات
- ١٨ - الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية
د • على السيد محمود
- ١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين
د • أحمد محمود صابون
- ٢٠ - المراسلات السرية بين سعد زعلول وعبد الرحمن فهمى
د • محمد أنيس
- ٢١ - التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ١
توفيق الطويل
- ٢٢ - نظرات فى تاريخ مصر
جمال بدوى
- ٢٣ - التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ٢
توفيق الطويل
- ٢٤ - الصحافة الوفدية
د • تجوى كامل
- ٢٥ - المجتمع الاسلامى
ترجمة : د • عبد الرحيم مصطفى
- ٢٦ - تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة
د • سعيد اسماعيل على
- ٢٧ - فتح العرب لمصر ج ١
ترجمة : محمد فريد أبو حديد
- ٢٨ - فتح العرب لمصر ج ٢
ترجمة : محمد فريد أبو حديد

- ٢٩ - مصر فى عهد الأخشيديين
د • سيدة اسماعيل كاشف
- ٣٠ - الموظفون فى مصر
د • حلمى أحمد شلبى
- ٣١ - خمسون شخصية وشخصية
شكرى القاضى
- ٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج ٢
لمعى المطيعى
- ٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الافريقى
د • خالد الكومى
- ٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية الغربية
د • يوتان لبيب رزق
- ٣٥ - اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة
عبد الحميد توفيق زكى
- ٣٦ - المجتمع الاسلامى والغرب ج ٢
ترجمة : د • أحمد عبد الرحيم مصطفى
- ٣٧ - الشيخ على يوسف
تأليف : د • سليمان صالح
- ٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى
العصر العثمانى
د • عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم
- ٣٩ - قصة احتلال محمد على لليونان
د • جميل عبيد
- ٤٠ - الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب ١٩٤٨
د • عبد المعتم الدسوقي الجميعى

- ٤١ - محمد فريد الموقف والمأساة
رفعت السعيد
- ٤٢ - تكوين مصر عبر العصور
محمد شفيق غريال
- ٤٣ - رحلة في عقول مصرية
ابراهيم عبد العزيز
- ٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر
العثماني
د . محمد عفيفي
- ٤٥ - الحروب الصليبية
تأليف : وليم الصوري
ترجمة : ١ . د . حسن حبشي
- ٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٣٩ : ١٩٥٧
تأليف : د . عبد الرؤوف أحمد عمرو
- ٤٧ - تاريخ القضاء المصري الحديث
تأليف : ١ . د . لطيفة محمد سالم
- ٤٨ - الفلاح المصري
تأليف : د . زبيد عطا
- ٤٩ - العلاقات المصرية الاسرائيلية
تأليف : ١ . د . عبد العظيم رمضان
- ٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية
تأليف : د . سهير اسكندر
- ٥١ - تاريخ المدارس في مصر الاسلامية
اعداد : د . عبد العظيم رمضان
- ٥٢ - مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن
الثامن عشر
تأليف : د . الهام محمد على ذهني

الفهرس

٥	• • • • •	تقديم
٧	• • • • •	اهـداء
٩	• • • • •	مقدمة

الفصل الأول :

١٣	•	المحيى الكافيجى وكتابه « المختصر فى علم التاريخ »
١٥	• • • • •	— دراسة حياة
٢٠	• • • • •	— المختصر فى علم التاريخ

الفصل الثانى :

٣٣	• • •	ابن الفرات وكتابه « تاريخ الرسل والملوك »
٣٥	• • • • •	— ابن الفارت : دراسة حياة
٤٠	• • • • •	— مجهوداته فى الكتابة التاريخية
٤٣	• • • • •	— تاريخ الدول والملوك
٧٣	• • • • •	— مصادر مادة الكتاب
٩١	• • • • •	— النقد التاريخى
٩٦	• • • • •	— تقويم مادة الكتاب

الفصل الثالث :

- ابن دقماق وكتابه « الجواهر الثمين فى سسير الملوك والسلطين » ١٠٢
- ابن دقماق - دراسة حياة ١٠٥
- مجهوداته فى الكتابة التاريخية ١٠٩
- الجواهر الثمين فى سير الملوك والسلطين ١١٢
- مصادر مادة الكتاب ١٢٢
- النقد التاريخى ١٣٠
- بين المخطوط والمطبوع ١٣٦

الفصل الرابع :

- التقى المقرئى وكتابه « المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار » ١٥٥
- التقى المقرئى - دراسة حياة ١٥٧
- مجهوداته فى الكتابة التاريخية ١٧٧
- المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ٢١٩
- مصادر مادة الكتاب ٢٣٠
- النقد التاريخى فى الخطط ٢٦٠

رقم الايداع ١٩٩٢/٣٥٠٨

الترقيم الدولى 3 — 3027 — 01 — 977 I.S.B.N.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

هذا الكتاب

دراسة تتيح للقارئ الاطلاع على اربعة مؤلفات لأربعة مؤرخين :

- المختصر في علم التاريخ للمحيى الكافيجي
 - تاريخ الرسل والملوك لابن الفرات
 - الجواهر الثمين في سير الملوك والسلاطين لابن دقماق
 - المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار للتقى المقرئى
- وجميعها كتابات تاريخية قيمة قد لا يتيسر للقارئ الاطلاع عليها إلا من خلال هذا العمل الذى كتبه متخصص ذو منهج تحليلى يستفيد منه الدارس المتخصص والقارئ العادى ، وغير خاف ان هذه المؤلفات هى مصادر لا غنى عنها للكتابة التاريخية فى العصر الإسلامى والوسيط ، ونأمل ان يجد فيه القارئ مبتغاه .

Bibliotheca Alexandrina
مكتبة الإسكندرية



مطابع الهيئة المصرية الـ

٣٦٠ قرشاً